مختارات ميريت

ابراهيم عبد العزيز

سائل طه حسين

تقديم: نجيب محفوظ

Bibliotheca Alexandrina
0200405

ميريت للنشر والمعلومات

إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات
القاهرة ٢٠٠٠

مكتبة الاسكندرية

إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات
٦ب ش قصر النيل
القاهرة
تليفون وفاكس:
(٠٢)٥٧٥١٥٠٠
merit56@hotmail.com
المدير العام: محمد هاشم

الطبعة الأولى
القاهرة ٢٠٠٠

الغلاف للفنان:
أحمد اللباد

رقم الإيداع:
٩٩/١٧٦١٩

الإهداء

إلى زوجتى خالص الشكر
وإلى أبنائى حسن الذكر

المؤلف

الفهرس

- تقديم نجيب محفوظ ٧
- مقدمة ١٣
- مقدمة بقلم طه حسين .. أنا ١٥
- أنا المصرى ١٦
- ابنى طه بك حسين ١٩
- مراسلات النحاس باشا.. طه حسين ٢٣
- مراسلات طه حسين .. نجيب الهلالى ٤٧
- خاص جدا من سهير القلماوى إلى طه حسين ٦٧
- جامعة طه حسين ٨٩

– أحمد أمين صاحب موسوعة فجر الإسلام ٩٠

– عبد الحميد العبادى مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى ١٠١

– من أمين الخولى إلى طه حسين: لن يختلسونى! ١١٠

– عبد الوهاب عزام خادم الإسلام ١١٢

– الإسلام وأصول الحكم بين على عبد الرازق وطه حسين ١١٨

– الشيخ مصطفى عبد الرازق.. أول عمامة فى مجلس الوزراء ١٢٣

– مؤامرات السنهورى وتناقضات طه حسين ١٢٨

– عبد الحميد بدوى.. أول دكتوراه مصرية فى القانون ١٢٤

– سليم حسن و"الردح" في بيان رسمي ١٤٥
– احمد بدوى في بلاد العجائب ١٥٢
– من حسين مؤنس إلى طه حسين: عن معركة والت ديزنى ٩٩ في مدريد ٥٤ ١٥٨
– سعد زغلول ينقذ مصطفى مشرفة من لطفى السيد ١٦٣
– محمد عوض محمد .. كن طه حسين ١٦٨
– جن طه حسين ١٤٧
– أزمات طه حسين في الجامعة ١٨٠
• من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية إلى طه وزير الفلاحين ٢٠١
• محمد كامل حسين صاحب الكتاب الذى لم يبرح صاحبه وقارئه ٢٠٧
• إحسان عبد القدوس أمام النيابة ٢١١
• من أمين يوسف غراب موباسان الشرق إلى أبى طه حسين ٢١٧
• من العقاد إلى طه حسين : أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن الشجاعة! ٢٢٧
• طه يقنع عبد الوهاب بالغناء فى أزمته! ٢٣٥
• الشعراوى وطه حسين فى الأراضى المقدسة ٢٣٧
– إصدارات أدبية للمؤلف ٢٥٠
• ملحق الوثائق ٢٥١

تقديم نجيب محفوظ (*)

لا أتذكر بداية محددة لتعرفي على طه حسين، ولكنني أذكر أنني كنت أعرفه طوال عمري، ولا أدري متى وكيف وأين سمعت عنه، ولكنني عرفت طه حسين الأديب وطه حسين الأستاذ وطه حسين العميد.

ولاشك أنني قرأت الأيام لطه حسين بمتعة لا مزيد عليها، وأنا لا أزال أقرن على الكتابة ، ولعلني كنت في أوائل المرحلة الثانوية، فحاولت تقليدها في كراسة أو كشكول وأسميتها "الأعوام" على نفس الوزن محاولا أن أقلد نفس الأسلوب ونفس الطريقة ، وأحكي فيها عن نشأتي كما حكى طه حسين عن نشأته . وقد أعطانا طه حسين في رواياته المعروفة كل نماذج الرواية تقريبا، من رواية السيرة الذاتية في "الأيام" ، إلى الرواية الموضوعية كما في "دعاء الكروان" إلى رواية الأجيال كما في "شجرة البؤس" التي هي أول رواية في اللغة العربية من روايات الأجيال التي لا يخلو منها أدب أمة في أوربا، وقد تأثرت تأثراً كبيراً "بشجرة البؤس" وظل هذا التأثير ينمو حتى كتبت "الثلاثية".

وقد ارتبط طه حسين الأديب، في أذهاننا "بالحرية" والبحث العقلي الموضوعي كمفكر كبير.

ويعتبر طه حسين أحد الرواد مع العقاد والمازني، وحسين هيكل وسلامة موسى الذين قامت عليهم حياتنا الأدبية في مطلع القرن العشرين.

فالعقاد شخصية لا تتكرر، والمازني كان أديبا عظيما جداً لم يأخذ حقه في حياته ولا

(*) من حوار لنجيب محفوظ مع المؤلف عن طه حسين كما أكد هو بخطه في نهايته.

في موته رغم أنه كان من أدق الناس في الترجمة، وله أسلوب من أجمل الأساليب العربية الأدبية يرشحه لأن يكون الروائي الأول، ولكن كان في المازني شئ من الاستهانة، الله هو الأعلم بأسبابها ، مما لم يجعله يتخصص في شئ ويعطيه حياته.

فقد كان طه حسين والعقاد والمازني ود. محمد حسين هيكل ، وسلامة موسى، من الرواد الذين لا يقل تقديري لأحدهم عن الآخر في مجال الأدب.

أما طه حسين الأستاذ فقد كان عميدا عندما دخلت كلية الآداب، ولم يكن بالنسبة لي أستاذا مباشراً للأسف - ولكن في بعض الأحيان بعد الظهر، تكون لنا محاضرة، في الوقت الذي كانت لطه حسين محاضرة قبلها أو بعدها، فأحضرها ، وكنت أرى من تلاميذه في ذلك الوقت، سهير القلماوي، وكان طه حسين في محاضرته يقرأ القصيدة ثم يترك الطلبة يشرحونها، ثم يسألهم في دقائقها:

لماذا قال الشاعر ما قال ، ولماذا لم يقل شيئا غير ذلك الذي قال ؟ أو أسئلة من هذا النوع، فكانت الدراسة على يدى طه حسين متعة وتربوية وفنية وجمالية جمالاً يفوق الوصف.

أما طه حسين العميد فقد راح يربينا تربية جامعية عظيمة، فينبه على الأساتذة ألا يسمحوا لنا بكتابة المحاضرات ، ولا يجوز لنا أن نقيد في أوراقنا إلا اسم مرجع، أو سؤال نريد أن نسأله . أما أن أقيد ما يقوله الأستاذ وأحفظه، فهذا ما كان يرفضه طه حسين، وكان يقول لنا: أكتبوا المحاضرات مما استوعبته عقولكم ، ولديكم المراجع في مكتبة الجامعة. فكانت تربيته الجامعية لنا تربية عالية جداً. ولذلك اعتبرنا قرار إخراجه من الجامعة، كارثة، وقمنا بإضراب في كلية الآداب شاركتنا فيه بقية الكليات والمدارس العليا.

ولكن طه حسين الذي تظاهرنا من أجله في الثلاثينات غضبنا منه في الستينات حينما قام بأول هجوم علني على العقاد بعد وفاته من خلال ندوة تليفزيونية حضرتها، وقال فيها إنه لم يفهم "عبقرية عمر". ولم نكن نعلم سوى أن العلاقة بين الأديبين الكبيرين هي علاقة مودة وإعجاب متبادل ، فالعقاد يقدم لنا "دعاء الكروان شعراً، وطه حسين ينقده نقدا جميلا في "الرسالة"، ويهديه "دعاء الكروان" نثرا بإهداء مطبوع:

To: www.al-mostafa.com

إلى صديقي الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.

سيدى الأستاذ

أنت أقمت للكروان ديوانا فخما في الشعر العربي الحديث، فهل تأذن لي أن أتخذ له عشا متواضعا في النثر العربي الحديث، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص".

وفي مسرح الأزبكية اجتمعنا جميعا، وجاء طه حسين وتوج العقاد "أميراً للشعراء"، بعد وفاة شوقي، وكتب مقالا هزنا جميعا من الأعماق، مقدما فيه حيثيات تتويجه للعقاد أميرا للشعراء "لأن العقاد ليس مقلدا ولا يستطيع أن يقلد ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته، وشخصية العقاد فوق الفساد" كما قال طه حسين، فالعلاقة بين الاثنين كما رأيناها وسمعناها وقرأناها علاقة ممتازة ، فماذا حدث حتى يهاجم طه حسين ، العقاد بعد وفاته؟ لقد كان العقاد شخصية قوية مهيبة مخيفة في حياته.

وقد اهتزت صورة طه حسين قليلا بعد هذا الهجوم، فنحن نحب طه ونحب العقاد، وقد هزنا ما قاله طه في حق العقاد.

وفي الوقت الذى كان فيه العقاد كاتب الوفد الأول، وعلمت أن طه حسين كان عدواً لسعد زغلول، حزنت وغضبت، وقلت لنفسي يعني يا دكتور طه بشعبيتك وعلو فكرة الحرية عندك وأنت رجل من صميم الشعب، فأنت مرشح لكي تكون كاتبا لسعد زغلول، فكيف تكون كاتب الأرستقراطية المصرية ؟ هذه لم أفهمها، وربما كان مبعث ذلك علاقته الشخصية والفكرية بحزب الأحرار الدستوريين.

ولكن بعد إخراج طه حسين من الجامعة، تلقفه "الوفد" وبدأ يكتب في صحفه ومجلاته، فبدأت أقرأ له ككاتب سياسي، رغم أنه كان كاتبا سياسيا من قبل ، ولكنني لم أكن أقرأ له حينذاك حيث لم نكن بعد قد تعلمنا قراءة الصحف، حتى بدأت اقرؤه ككاتب من كتاب "الوفد" الكبار ، ثم تتبعناه حتى صار مديراً لجامعة الإسكندرية، ثم وزيراً للمعارف في وزارة "الوفد" الأخيرة، وكان هو الذى قرر مجانية التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وقال : إن التعليم ضرورة كالماء والهواء.

لكل هذا أرى أن طه حسين شخصية كبيرة متعددة الجوانب، تجد فيها الوزير

المصلح، والمفكر الثائر، والأديب المتنوع الممتع، وله أسلوب خاص به مميز، لم تعرف "العربية" أيامنا أساليب مميزة بمثل هذه القوة سوى أسلوب طه حسين والمنفلوطي.

ورغم أنني أحببت طه حسين إلا أن طبيعتي كرجل منزو ، تجعلني احب من بعيد ، يعني مثلا أنا أحب العقاد حبا يفوق كل وصف، وكنت أذهب إلى مكتبة "الأنجلو" لشراء الكتب وكنت أجده جالساً يقلب في الكتب، ولكنني لم أجرؤ أبداً على الاقتراب منه والتسليم عليه، مقدراً انهماكه فيما هو فيه، فلم أضع يدى في يده طوال عمره رغم إكباري العظيم له واعتبار نفسي واحدا من تلامذته . كذلك كان طه حسين، ولكن بعد الثورة وإنشاء "نادى القصة" دعاه المرحوم يوسف السباعي بعد أن اختاره رئيس شرف للنادي، وقدمنا جميعا له ، فسلمت على "طه" وبدأت معرفتي به ، ولم يكن قد قرأ لي شيئا أبدا، ولكن المرحوم "أنور المعداوي" الناقد المعروف، قال له : أنت كتبت عن يوسف السباعي، وأمين يوسف غراب، وغيرهم ممن قرأت لهم، فاقرأ لنجيب محفوظ أيضا، فقبلها طه حسين، كنوع من الإحراج ، فالرجل لديه قراءاته ومسئولياته ، وقد كنت أهديه رواياتي كما أهديها لكبار أساتذتي ممن تتلمذت عليهم وأحببتهم وتأثرت بهم، وربما يكون طه حسين لم يهتم بروايتي في البداية ، ربما لأنه لم يكن يعرفني ، ومن غير المعقول أن يقرأ طه حسين كل رواية جديدة تأتي إليه، فلما تعرفت عليه في "نادى القصة" وقدمني له "المعداوي" ورجاه أن يقرأ لي ، كان من حسن حظي أنه كان راضيا عما كتبت، فقد قرأ لي أول ما قرأ "زقاق المدق" وكتب عنها مقالا رائعاً، ثم كتب مقالاً آخر لا ينسى عن "بين القصرين" ، فقد عرض للرواية الأولى وقام بتحليلها وقال : إنها رواية تصل لمستوى الأدب العالمي، وكتب عن الرواية الثانية مشيدا بما هو أكثر من ذلك.

لقد رفع طه حسين ، روحي المعنوية لدرجة لم أكن أتصورها، خاصة أن ذلك قد جاء بعد حرمان طويل من النقد منذ أن تناول أعمالي "سيد قطب" و"أنور المعداوي"، فمرت سنوات طويلة حتى كتب عني طه حسين.

ثم حدث اتصال بيننا، ودعاني لمقابلته في بيته، فكنت أتردد عليه، أحيانا أذهب إليه وحدى، وأحيانا أذهب بصحبة ثروت أباظة، وفي هذه اللقاءات كان يدور حديث في الأدب وفي السياسة، وكان يتبسط معنا، ولكن شخصيته كانت تفرض الأستاذية التي ربما

لم يكن يحب أن يظهرها كي لا يضايق الناس بهـا ، ولكنـه رغـم تبسطه معنا إلا أننـا كنـا نشعر بأستاذيته وهو يتحدث إلينا.

لقد كان رجلا عظيما مضيئا فى شخصيته، وفـى إبداعاتـه ككـاتب متعـدد المواهـب، وفى ترجمته لأدب الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية، فمن ذا الذى يستطيع أن يجمع بـين الفن والعلم ويجيد فيهما كما فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.

وهـذا الكتـاب لإبراهيـم عبـد العزيـز الـذى يضـع فيـه بـين أيدينـا وثـائق وأوراق ومراسلات طه حسين مع نجوم عصره فى الأدب والفـن والسياسـة والقـانون وغيرهـا مـن مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل كبير فى إضاءة شخصية طه حسين وتقريبهـا إلينـا فى جميع صورها الإنسانية والنفسية، ويجعلنـا نعيـش مـع رجـل مـلأ عصـره ولا يـزال يثـير الجدل بعد رحيله، فنراه فى حالات القوة وحالات الضعف، ونشاهده فى حالات التوافـق وحالات التناقض، وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا أخرى، نقترب منه بعض الوقـت، ونبتعـد عنـه بعض الوقـت، ولكننا فى كل الأحوال نعجب بطه حسين ونعجب له، ونحبـه ونقدره باعتبـاره رمـزاً مـن أبرز رموز النهضة الأدبية والفكرية فى القرن العشرين.

نجيب محفوظ

مقـــــــدمة

لعله من سوء الحظ أو بؤسه ألا أعيش عصر طه حسين وأسعد بلقائه وأحتفظ له بأحاديث وذكريات كتلك التي تشعرني بالحياة وحسن الحظ كلما تذكرت أساتذتي توفيق الحكيم ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ بارك الله في عمره.

وظل إحساسي بشيء ينقصني كلما تذكرت أنني لم أكن من تلاميذ عميد الأدب العربي الذي شغل عصره والناس ولا يزال، غير أنني حاولت أن أعوض هذا الشعور بالنقص بما فاتني من حظ عظيم بلقاء طه حسين، بأن اقابل تلاميذه وأحفاده، ففيهم منه بعض صفاته وهم قادرون على أن يصوروه لي في أحواله كما عاشوها وشاهدوها ، وكان اهتمامي الأكبر يقوم على استجلاء الوجه الإنساني للعميد، ثم مضيت في مسعاي لأعثر على كنوز طه حسين وهي أوراقه ومراسلاته ووثائقه والتي عكفت على الحصول عليها بمعرفة السيدة الفاضلة مني الزيات حفيدة طه حسين التي أتاحت لي الإطلاع على كل ما ترك طه حسين من تراث ظللت أتابعه بضعة أسابيع بمنزل الحفيدة حتى استطعت أن أحوز هذا الكنز لأتيح للقارئ المصري والعربي متعة الإطلاع عليه في هذا الكتاب وكتب أخرى بدأت بكتاب "أوراق مجهولة لطه حسين، و"أيام العمر" رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم" ثم هذا الكتاب الذي بين يديك ، يتلوه آخر – إن شاء الله – لتكتشف الكثير من عالم طه حسين كأننا نعيش معه ونتحرك معه ونتفاعل معه، ونضحك معه.. ونحزن معه.. إلخ.. إنها حياة كاملة نعيشها مع طه حسين كأنه لا يزال حيا يتحرك بيننا وقد بعث الحياة في نجوم عصره، منهم من نعرفهم ومنهم من صاروا مجهولين بالنسبة لهذا الجيل والأجيال النادمة، فحرصت على ألا أفصل طه حسين عنهم أو أفصلهم عنه، فهو النجم الذي تدور حوله كل النجوم لا يخفيهم ضوؤه الساطع، أو يطغى عليهم ، بل يضيئهم ويعرفنا بهم وبحياتهم وبجهودهم وبريادتهم وأفضالهم على العلم والثقافة والأدب والتاريخ والآثار والقانون.. وغيرها من المجالات التي أنشأت بها مصر نهضتها الحديثة والمعاصرة ووضعتها في طريق عصر التنوير الذي

نحن بحاجة إلى العودة إلى رموزه نستلهم منهم العون والقدوة والإرادة والعزيمة، وروح المثابرة والتغلب على الصعاب وتجاوز كل المعوقات مهما كانت وأيا كانت ، ولنا في طه حسين وصحبه المثل والقدوة ، وتلك هي رسالة هذا الكتاب أن نتمثل طه وصحبه في أحوال قوتهم وانتصارهم، وأن نعذرهم في أحوال ضعفهم ، ونحترمهم في أحوال انكسارهم، لأنهم في النهاية بشر وإن تميزوا ، وعلينا أن نستفيد من هذا الامتياز بتكراره إن أمكن، واستكماله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإحيائه بما أتيح لنا من ظروف التقدم المعاصرة ، فلاشك أن ظروفنا أفضل منهم، لأنهم هم الذين بدأوا وزرعوا ، وكم تكون البدايات صعبة ، ونرجو أن نكون قد استفدنا من غرسهم فلا نهمله ، واستفدنا من انجازاتهم فحاولنا أن نضيف إليها.. إن طه وصحبه ليسوا مجرد أشخاص بل إنهم يمثلون عصراً جديداً بدأوه وعلينا أن نستكمله بروح عصرنا نحن لكي نلحق بالمتقدمين بين الأمم. فلطه وصحبه الشكر على ما أنجزوه لنا ، ولأسرة طه حسين والسيدة الفاضلة منى الزيات كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما أشكر تلك الصحبة الجميلة من الأصدقاء الأعزاء الذين تعاونوا على ظهور هذا الكتاب إلى النور بداية من العظيم الأستاذ نجيب محفوظ صاحب نوبل الذى لم يبخل بثنائه على ما قدمت من كتب ولم يتردد في التعاون لتقديم هذا الكتاب الذى خصه بذكرياته عن طه حسين، فله منى ما يعجز الشكر عن الوفاء به لهذا الرجل الذى يمتد نسبه إلى أصول الشجرة المباركة للرواد الكبار، ولزميلي في مهنة البحث عن المتاعب الأستاذ حلمي النمنم الشكر على متابعته لميلاد هذا الكتاب منذ أن كان فكرة حتى صار حقيقة واقعة وهكذا دائما يكون الموهوبون الذين يسعون لنجاح غيرهم بقدر سعيهم لأنفسهم ، أما الناشر الأستاذ محمد هاشم المتحمس دائما للشباب يعمل وينجح بهم ، فله مني بكل حروف الكتاب التي سابق بها الزمن فسبقته، كل ما يمكن من الشكر وكل ما أستطيع من تحية، وإلى القارئ العزيز نرجو أن يكون ما بذلنا من جهد على مستوى الأمل الذى من أجله سعى إلى هذا الكتاب وقضى وقتا بين صفحاته.

إبراهيم عبد العزيز

مقدمة بقلم طه حسين

أنـــا (*)

إن كان حقا أن بعض الناس يعرفون أنفسهم معرفة تتيح لهم أن يتحدثوا فيسرفوا أو يوجزوا في الحديث عن أنفسهم تلك التي يعرفونها أو يزعمون أنهم يعرفونها، فإنني لا يضيرني أن أعترف بأنني لست أعرف نفسي.

ولكني أعرف في نفسي إلى ذلك خلالا قد يعرفها بعض الناس وقد ينكرونها، أعرف فيها أنها نفس مؤمنة لا يزلها عن إيمانها أن تكون على رأي والناس جميعا على رأي، لأن إيمانها إيمان القلب والعقل جميعا.. وأعرف فيها التصميم حين تريد ، لا ينحرف بها عن الغاية التي تريدها أن تتكاءدها عقبة من العقاب ، لأنها لا تريد حين تريد إلا مؤمنة إيمان القلب والعقل والضمير، وأعرف فيها الصبر على بأساء الحياة ونعمائها جميعا، فما تعرف اليأس حين يدلهم الخطب، ولا البطر حين تنبسط ظلال النعمة، لأن بؤس الحياة ونعماءها أعراض تزول.

على هذا الإيمان ، وهذا التصميم، وهذا الصبر، مضيت في الحياة منذ كنت فما أنكرت مرة عاقبة من عواقب أمر مضيتُ فيه .. وأغلب الظن أنني سأمضي على ذلك ما بقي من حياتي، حتى يتحقق لي او يتحقق للذين يشهدون عاقبة أمرنا كله بعد أن نصير ذكرى في ضمائر الأجيال المستقبلة ، أن الإيمان ، والتصميم، والصبر، هي الحياة، الحياة التي تحقق معنى وجود الإنسان الحي الممتد بآثاره في الإنسانية الباقية..

طه حسين

(*) تحت هذا العنوان أملى طه حسين هذه السطور عن نفسه وهي كما نراها فيما صورتها بها كثير من الشطب والتعديل وكأن طه حسين أراد أن يعرفنا بنفسه في سطور قليلة مركزة مضبوطة العبارة والمعنى.

أنا المصرى (*)

قيل لنا ذات يوم حين كنا طلابا للعلم في باريس أثناء الحرب الكبرى أن الحكومة الفرنسية قد رأت لأمر من أمور الحرب أن تخضع الأجانب في فرنسا لملاحظة دقيقة، ومراقبة شديدة ، وأن تعلم من أمرهم ما ظهر وما بطن، وأنها من أجل ذلك قد فرضت على كل أجنبي أن تكون له تذكرة شخصية يستخرجها من إدارة الشرطة.. في البلد الذى يقيم فيه ، وأن هذا الأجنبي ملزم أن يظهر هذه التذكرة كلما طلبت إليه أثناء إقامته وسفره، وأثناء استقراره واضطرابه ، وحين يكون عاكفا على الدروس في داره ، أو جالسا إلى السمر مع أصحابه في ناد من الأندية.

وما هي إلا أيام حتى تلقى كل واحد منا دعوة إلى إدارة الشرطة في الحي الذى كان يقيم فيه، وكلف أن يصطحب الأوراق التي تثبت شخصيته.

فذهبت صباح يوم من أيام الجمعة إلى إدارة الشرطة في ناحية من أنحاء الحي اللاتيني، وهناك دخلت على رجل فرنسي شيخ ، ما أرى إلا أنه كان خليقا أن يحال إلى المعاش لولا أن الحرب كانت تصرف الشبان والكهول إلى الميادين، وتضطر الدولة إلى استبقاء الشيوخ، وأشباه الشيوخ في أعمالهم.

وكان هذا الرجل موظفاً فرنسياً بأدق مالهاتين الكلمتين من معنى، فإن للموظفين الفرنسيين خصالا يمتازون بها عن الموظفين في البلاد الأخرى. هم أحرار العقول، ولكنهم محافظون أشد المحافظة في أعمالهم الفنية، وهم من أجل هذا يمتازون بشيئين متناقضين أشد التناقض: عنف ظاهر، ورقة مستترة. فأما عنفهم فيفجأ الأجنبي ويغيظه ويملأ قلبه اضطرابا وهلعا، وأما رقتهم فتسحر الأجنبي وتملأ قلبه اطمئنانا وأمنا، ولكنها كما قلت خفية مستترة لا تستكشف إلا بالصبر والبحث وطول المزاولة والاختبار.

أدخلت على هذا الموظف الفرنسي فلقيني في هذه الغلظة العنيفة التي أشرت إليها، والتي كنت أعرفها حق المعرفة، فلم أكن أحفل بها ولا أشفق منها، وجعل يسألني عن اسمي، واسم أبوى، وعن تاريخ مولدى، وتاريخ رحلتي إلى فرنسا، وأسباب هذه الرحلة.

(*) الراديو المصرى ٥ يونيو ١٩٣٧ – العدد ١١٦.

وكان يلقى عليّ هذه الأسئلة كأنه قاضي التحقيق حين يسأل متهما مخوفا ، ولكنى كنت أسمع منه وأرد عليه مبتسما راضيا، كأنما كنت أسمع منه مداعبة ومزاحاً. ثم انتهى السؤال والجواب إلى جنسيتي، وكنت قد سافرت من وطني مصريا خاضعا لسيادة الترك العثمانيين ، ثم أعلن أصدقاؤنا الإنجليز حمايتهم بعد ذلك، ولكنى لم أحفل ولم أفكر فيها ولم يخطر لى أنها ستكون ذابال في يوم من الأيام ولم أفكر على أى حال في أن هذه الحماية ستمسنى من قريب أو بعيد. فلما سألنى هذا الموظف الفرنسى عن جنسيتي؟ أجبته : بأنى مصرى.

فاستعاد الجواب ، ثم قال مبتسما مغيظاً في وقت واحد: ولكن هذه ليست جنسية.

قلت : لا أعرف إلا اني مصرى.

فضحك في شئ من السخرية، ثم ظهرت ناحية من نواحى الخلق الفرنسى الذى يمتاز به الموظفون الفرنسيون ناحية الحاجة إلى البحث والفهم والاستقصاء ، يحبون ذلك أشد الحب ويقدمون عليه مع ذلك كارهين متثاقلين، لا يخفون ضجرهم وتبرمهم.

نهض هذا الموظف إلى كتب ودفاتر، فاحتملها ووضعها أمامه، وجعل يقلب أوراقها، ويطيل النظر فيها ، وكأنه قد نسيني نسيانا تاما، وانصرف إلى بحث علمي شغل به ساعة على أقل تقدير، ثم التفت إليّ مشرقا، وقد بعث من حلقه آهة المنتصر المظفر، وضرب بيده على المائدة كأنه قد تخفف من عبء ثقيل وقال:

لقد عرفت الآن صفتك السياسية فأنت رعية عثمانية ومحمى بريطانى!

قلت مغيظاً: فإنى لا اعرف إلا أنى مصرى.

قال ضاحكاً: انت مصرى ما في ذلك شك ، ولدت في قرية من قرى مصر، ولكن هذا لا يمنحك جنسية سياسية لأن هذه الجنسية المصرية غير موجودة، وقد كنت قبل إعلان الحرب رعية عثمانيا ، فلما أعلنت الحماية أصبحت محميا بريطانيا، وسنرى بعد انتهاء الحرب واستقرار الأمور، ماذا تكون ، وإلى أى حال يصير امرك وأمر مواطنيك.

ثم أتم عمله وأعطانى هذه التذكرة الشخصية التى سجل فيها أنى رعية عثماني ومحمى بريطانى، وافترقنا ، وإنه سعيد سعيد مغتبط لأنه قد ظفر من نفسه بحل مشكلة من مشكلات القانون الدولى، وإنى لمغيظ محنق أشعر بالإهانة في أعماق نفسى لأنى أحمل جنسية لا أعرفها، وحماية لا أريدها، فلست من الترك ولا من الإنجليز في شئ ، وإنما أنا مصرى ، ومصرى ليس غير.

.. وكنت أحس كلما ذكرت هذه القصة في ظرف من الظروف التي أشرت إليها كأن عبئا ينحط عنى، وكأنى أتخلص من بعض الحرج، وكأنى أسترد من الحرية حظا لم أكد أملكه، حتى إذا

كان يوم صيف (حين حصلت مصر على استقلالها وصارت عضوا بعصبة الأمم ومعترفا بجنسيتها المصرية طبقا لمعاهدة ١٩٣٦) أحسست نفسي حراً طلقاً وأحسست هذه الحرية عذبة سائغة، تشيع في القلب فتملؤه سرورا وغبطة، وتشيع في النفس فتملؤها إباء وكبرياء.

وتظهر آثار هذا كله على وجهي الذي كانت تلقي عليه مشقة العمل في العام الجامعي غشاء مظلماً قاتما، فإذا هو يشرق ويشيع فيه الابتهاج ، وعلى لساني الذي كان يثقله الجهد والعناء، فإذا هو ينطلق بألوان من الحديث إلى كل من لقيت في هذه الأغلال الثقال التي خُلعت عن مصر في أقل من عام..".

".. إني لا أكتب هذا لأتحدث في شأن من شئون السياسة، بل أكتبه لأعرب عن شعور من حقي الطبيعي أن أعرب عنه، وهو شعور الابتهاج بالاستقلال(*) وأسأل نفسي، ويسأل المصريون عما يمكن أن تكون عليه سيرتنا بعد الاستقلال"(**).

طه حسين

(*) رغم أن معاهدة ١٩٣٦ حققت استقلالا ناقصا لأن الاحتلال كان لا يزال قائما، إلا أن ما حققته من مكاسب لا يمكن التقليل من أهميتها بالنسبة للظروف التي تمت فيها، ويكفي للدلالة على ذلك تلك القصة التي رواها طه حسين وما فيها من شعور بالمهانة لأنه ليس له وللمصريين جنسية مصرية، فاستردوها بتلك المعاهدة مما يمثل استردادا لشخصيتهم.

(**) أجاب طه حسين عن هذا السؤال في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" وكان مدركا أن ما كسبته مصر هو "بعض الحقوق".

إبنى طه بك حسين

لم يكن الكاتب الأمريكى "رونالد روبينسون" فى كتابه "أهم مائة شخصية فى العالم" مبالغا حين وضع اسم طه حسين "لا بين الشخصيات المائة المختارة فحسب بل ضمن التصنيف الأضيق: بين الرجال العشرة الذين طبعوا عصرهم أيضا: مع برتراند راسل وتشرشل وأينشتين.." وغيرهم، ولم تكن الفتاة الفرنسية "سوزان" تعلم وهى تقبل الزواج من الفتى المصرى الكفيف طه حسين أنه سيحوز مثل هذا المجد ، وإن كانت تعلم يقينا أن عليها أن تأخذ نصيبها من كل المحن التى اختصت بها الحياة، الرجل الذى أحبته، وبقدر فرحتها بالنجاح الباهر الذى حققه طه حسين فى الحصول على الدكتوراة التى كانت خير عون له فى اجتياز امتحاناتها، بقدر قلقها الذى ساورها وهى فى الطريق مع طه حسين لزيارة والديه فى صعيد مصر بكوم أمبو حيث كانا يعيشان آنذاك، فكيف استقبلها الشيخ حسين على سلامة. والده، وكيف استقبلتها والدته، إن سوزان نفسها تحكى قصة هذه اللحظات بما حملته إليها من مفاجآت غير متوقعة.

فتقول : استقبلانى بحرارة..

قال عمى لابنه: سأخرج مع زوجتك، فلا تنشغل بنا.

تناول ذراعى وقمنا معا بجولة فى البلدة. لن يبدو أمرا خارقا لشباب اليوم أن ينزه شيخ وقور معمم مع امرأة شابة سافرة، أجنبية ومسيحية تعتمر القبعة! لكنه كان كذلك فى تلك الحقبة. ولم أنس هذه اللفتة على الإطلاق عندما يتحدثون عن التعصب الإسلامى لا أملك نفسى عن الابتسام أو الغضب.. هذا الرجل الذى كان ذا مهنة بسيطة ولاشك ، لكنها تتيح للأسرة حياة كريمة، والذى كان يحب القراءة والحوار مع الوجهاء، وكان يتميز بميزة طبيعية أدهشتنى : فقد كانت عيناه الزرقاوان تتألقان بدهاء محبب، ولم أدهش للاحترام الذى كان يلقاه فى القرية. أما حماتى ، فقد انصرفت بكليتها لتأمين راحتى وراحة طفلتى الصغيرة . كانت الحوالة المالية التى أرسلها والد طه هى التى سمحت لنا بشراء عربة للطفلة. كان يحدثنى عن أبويه بحنان".

وعندما سألت الراحل محقق التراث المعروف إبراهيم الإبيارى الذى عمل سكرتيرا لطه حسين على مدى ربع قرن ، عن صلة العميد بوالديه ، حدثنى قائلا: كان يحب والديه. وعندما توفيت والدته وهو وزير للمعارف، كنت من الذين ذهبوا معه لدفنها، وقد رأيته للمرة الأولى يبكى، فقد كان حزينا جدا لفقده والدته التى كان يبرها كثيرا فى حياتها، وأذكر حين زارته فى

القاهرة، أن قام باصطحابها لزيارة أولياء الله الصالحين كسيدنا الحسين ، وكنا نستقل لذلك سيارة، وحين نصل إلى أحد الاولياء يطلب مني طه اصطحاب والدته للزيارة، فلما سألته في المرة الأولى أن يكون هو في صحبتها، ألمعني بأن سهولة تعرف الناس عليه سوف يفسد الزيارة".

وعند ماتت والدته كان طه حسين "مفطور القلب مفجوع الفؤاد على فقد أمه الغالية"[1]

وهكذا كان طه حسين يلقى الحب من والديه، ويتلقون هم البر منه، وكان قلقهم الشديد عليه إبان الأزمات التي عاناها، ولعل من أخطرها أزمة "في الشعر الجاهلي" التي رغم براءته مما نسب إليه فيها إلا أن لعنة هذا الكتاب ظلت تطارده حتى يومنا هذا، وكان من الطبيعي أن يقلق عليه والده أشد القلق وهو يرى ابنه عرضة للاتهامات "والحملات القاسية في الصحافة، والشتائم، والتهديد بالموت الذي كان وراء إقامة حراسة على مدخل بيتنا أمام باب الحديقة خلال عدة أشهر" كما تقول سوزان.

وكان والد طه يحاول الاطمئنان عليه من خلال الخطابات، وكان طه يطمئنه قائلا:

"أبي أنت أوصيتني بألا أصدق كل ما أسمع وأنا أوصيك بألا تصدق كل ما تقرأ".

معذور جدا

ولم يكن طه حسين في مواقفه وكتاباته باحثا عن الشهرة أو المال، بل باحثا عن قيم التنوير والتحضر والرقي والإنسانية، تحكي لي حفيدته منى الزيات في حوار معها قبل خمس سنوات ، وقبل رحيلها للاستقرار بأمريكا، إن طه حسين "كان يحب العدل ويكره أن يحيد أحد عنه، وكان له أخ تزوج اثنتين، فقاطعه طه حسين طوال عمره ، ولما سأله أبوه الشيخ حسين على سلامة: ولماذا تقاطع أخاك بسبب زواجه من اثنتين؟

فقال طه حسين: إنه لا يكره فكرة الزواج بأكثر من واحدة إلا لشيء هو تجنب العدل، لأن الله رغم أنه أحل تعدد الزوجات فقد ورد في محكم آياته "ولن تعدلوا".

ومع الحوار الأبوي القائم بين طه حسين ووالده، فقد كانت الخطابات وسيلة أخرى من وسائل الاتصال بين الابن وأبيه.

---

(١) محمد رفعت المستشار الفني لوزارة المعارف – الهلال يناير ١٩٥١.

بين أيدينا رسالة كتبها والد طه إلى ابنه في الرابع من أكتوبر ١٩٣٨، وكان طه يشغل منصب عميد كلية الآداب، وفي الخطاب النادر يتوسط الشيخ حسين لنجل ابن عم طه الذى طرد من المدرسة لعدم قدرته على دفع المصروفات. ولعل مثل تلك المواقف. هي التي دفعت طه حسين ليطالب بمجانية التعليم للجميع بحيث يصبح في متناولهم كالماء والهواء، ولنقرأ هذا الخطاب النادر بخط والد طه حسين، وسوف نجد فيه قطعة من الأدب الأبوى الرفيع تدل عليه هذه العبارات التي جاءت في هذا الخطاب، فهو يخاطبه بقوله:

"نجلي حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين" وهو يحرص على ألا يثقل على ابنه لولا الضرورة فيقول له: "فاضطررت لتكرار رجائي" ثم يؤكد "وألح في الرجاء" ثم يبرر ذلك بقوله "ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح" ويبدو أن ضغط أسرة ابن عم طه حسين كان شديدا على والده لاعتقادهم أن قريبهم عميد الأدب العربي يمكنه بنفوذه أن يخدمهم ويحل مشكلتهم.

لنقرأ نص الرسالة وما يهمنا فيها هو هذا الاحترام من الوالد لولده وأى ولد هو؟

يقول الشيخ في : ١٩٣٨/١٠/٤

نجلي حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين

أقبلك ألف قبلة وادعو لك بدوام الرفاهية وكمال الصحة وأرجو أن يكون أفراد الأسرة الغالية بخير: (وبعد) لم يصلني ما يطمئني على مسعاكم في مسألة حفيدنا "محمد ربيع" نجل عبد الحميد ابن عمكم خالد وقد حضر بطرفي مسرورا ومتأثرا جدا إثر محادثتكم له تليفونيا ومستبشرا بقبول رجائه.

وقد عرفني بأن ابنه طرد من المدرسة لعدم دفع المصاريف. وجميع أفراد عائلته في زعل شديد مخافة ضياع مستقبل ولدهم، ولما لاحظت حالته تستدعي الشفقة هالني ذلك فاضطررت لتكرار رجائي، وأملي عظيم في أن تجعلوا هذه المسألة المكانة الأولى من همتكم، وأنا موقن تماما بل أضعاف هذه المسألة ميسورة لديكم، ونظرة بسيطة من السهل جدا تقريرها، فأرجو وألح في الرجاء، ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح لأهمية ذلك لدى خصوصا وأن في استطاعتكم تنفيذ هذه الرغبة.

والسلام عليكم ورحمة الله

والدكم

حسين على سلامة

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن ينتقد طه حسين نظام التعليم والمسئولين عنه في المجلس الأعلى للتعليم الذى "ليس بين أعضائه من يعرف لذع الجوع، وليس بين أعضائه من يعرف انكسار النفس حين يرد ابنه عن المدرسة لأنه لم يدفع المصروفات فيعود إليه باكيا تغسل الدموع الغزار وجهه الصغير".

ويؤكد طه حسين أن التعليم حق للناس جميعا، وأن على الدولة أن تيسره لهم بلا تكلفة لهم وأن تزيل من طريقهم العقبات، وأن مصر هي البلد الوحيد في هذا العصر بين بلاد العالم الذى يشقى الشعب فيه بنفقات التعليم".

بل يطالب طه حسين "الحكومة" أن تعفى المصريين لا من نفقات التعليم وحده ولكن من نفقات الغذاء أيضا". ولا يترك لها عذرا لأنها مسئولة وإن لم تفعل فهي مقصرة "والحكومة التي تحتمل هذا التقصير ليست خليقة للبقاء في مناصب الحكم" ويذهب طه حسين إلى رؤيته الأبعد في مجانية التعليم لمحاربة الجهل والفقر والمرض ويرى أن "الخطوة الأولى في سبيل محاربة هؤلاء الأعداء الثلاثة إنما هي أن تعلم الصبية والفتية، ونكفل لهم طعاما مريئا، ولعبا هنيئا، وصحة موفورة ، دون أن نتقاضى آباءهم على ذلك أجرا يعجز أكثرهم عن أدائه".

مراسلات

النحاس باشا - طه حسين

في الوقت الذى كان فيه طه حسين يفكر فى الانتحار بعد أن ضيقت عليه ديكتاتورية رئيس الوزراء إسماعيل صدقى ، سبل العيش والحياة لرفضه رئاسة تحرير جريدة "الشعب" المتحدثة باسم حزب الديكتاتور، تقدم مصطفى النحاس باشا ليعرض عليه المشاركة بقلمه فى تحرير صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة بلسان حال "الوفد" ، ويستقبله النحاس باشا مرحبا به على صفحات "كوكب الشرق" حين كتب بخط يده "وإنى لمغتبط باشتراك النابغة الكبير الدكتور طه حسين فى تحريره على المبدأ الوفدى" ويعاهد طه حسين قراءه على "الإخلاص فى القول والعمل، والصدق فى الرأى" ، لتبدأ بذلك رحلة من الصداقة بين زعيم الفكر طه حسين ، وزعيم الأمة مصطفى النحاس توجت باشتراك طه فى الوزارة الأخيرة للنحاس كوزير للمعارف . وقد جرت بين الرجلين الصديقين حوارات ومراسلات .

ومن الطريف أن نعرف كيف كان موقف طه حسين من زعيم الوفد الأول سعد زغلول وحملته عليه بسبب عدم احتفاء سعد به حين التقيا وموقفه منه أثناء أزمة الشعر الجاهلى، ثم كيف كان موقف طه من زعيم الوفد الثانى النحاس باشا إلى درجة أن يصفه بأنه "زعيم المؤمنين" مما قدره له النحاس، ويظهر ذلك واضحا فى التلغراف الذى أرسله فى إحدى المناسبات من الإسكندرية: إلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك ... الزمالك .

لعميد الأدب العربى شكر وتقدير وتحية وتهنئة، أبقى الله لى إخلاصك المكين ووفاءك المتين، وبارك فيك لهذا الوطن الأمين.

مصطفى النحاس

فى طريقنا إلى الندرة

وأثناء الوزارة الثالثة للنحاس يكتب النحاس خطابا فيما يبدو أنه رد على خطاب لطه حسين الذى يبدو أنه كان يعتذر له عن الإطالة فى الكتابة إليه ، ويشير النحاس فى خطابه إلى أثر معاهدة ١٩٣٦ والفرح بها، وهى المعاهدة نفسها التى ألغاها النحاس بنفسه بعد أن استنفدت أغراضها.
يقول النحاس فى رسالته:

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

الإسكندرية في ٦ أغسطس ١٩٣٦

عزيزي الدكتور طه حسين

لقد كنت على العكس أحب أن تطيل في الكتابة إليّ لأن مثل هذه العواطف الخالصة التي بلغت الغاية في التعبير عنها هي راحة لنفس المكدود وعون على أشق المجهود وزاد في مواقع الجهاد أي زاد .

أما الحادثات فقد علمت من غير شك أنها آتت ثمرتها ووقعنا بحمد الله الاتفاق يوم الأربعاء الماضي والجميع مغتبط راض بهذا الاتفاق ، والأمة في فرح منه عظيم .

نبرح مصر بإذن الله يوم الاثنين المقبل ١٧ أغسطس ١٩٣٦ فنصل باريز يوم السبت صباحا في طريقنا إلى لندرة . (هكذا كتب النحاس باريس ، ولندن).

أطيب الأماني لزوجك الفاضلة ونجليك ، وصادق حبي لك.

المخلص

مصطفى النحاس

في الربع

ولأن طه حسين كان يهدي كتبه إلى النحاس فإن النحاس بدوره كان يرد على تلك الرسائل بآرائه وملاحظاته النقدية التي ترينا وجها آخر للزعيم المهتم بالفكر والأدب، ولنقرأ معا رده على طه حسين بعد أن أهداه "الأيام" في جزئها الثاني.

يقول النحاس في رسالته:

مصر الجديدة في ٥ إبريل ١٩٤٠.

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك.

قرأت هديتك الجزء الثاني من كتابك "الأيام" فراقني فيه سلاسة التعبير ودقة التصوير. ولقد اجتذب إعجابي أوله حتى أتيت آخره وخرجت منه بأشياء فيها الكثير من الطرافة والعجيب من الوقائع.

رأيت فيه وصفا صادقا لحياة الشظف والضيق التي عانيتها . حياة كنت أمينا جد

الأمانة على وصف كل ما فيها فذكرت شرها وخيرها وأنصفت من شاركتهم فيها أو أشركوك هم فيها، في غير تجن ولا إنكار لحسنات من أحسن منهم. وإن كنت قد تغاضيت عن سوءات من أساء منهم فلم تشأ أن تذكر أشخاص المسيئين ، شأن رجل الخلق والعفة وسعة الصدر.

ولقد استطعت ببراعتك الوصفية وسيرك فيما كتبت مع الطبيعة والحقيقة أن تنتقل بقرائك إلى الحياة التي حييتها حتى يحسون كأنهم شاهدوا عيشتك في "الربع" وراوا ما ذقت من المر، وحتى لتأخذهم الشفقة ، بل والغضب لذلك الفتى المسكين الذى قضى بعض سنى حياته مهملا في ركن من حجرة يأكل وحده ويفكر وحده ويتعلم وحده، ويهمل في كثير من الأوقات حتى من أخيه الشيخ، ثم ليأخذهم الإعجاب بالفتى والغبطة له والانتصار لرأيه حتى يصلون إلى أنه استطاع بذكائه وحرية فكره واقتناعه بما يدافع عنه أن يكون شيئا مذكورا ينظر إليه ويؤبه له ويهتم به .

وكذلك العقيدة إذا خالطت قلبا مؤمنا بها تغلبت على كل عقبة وتخطت كل خطر وقضت على كل ما يقف دون إبرازها وانتفاع الناس بها.

وهكذا حرية الفكر إذا صادفت نفسا أعدها الله للذود عنها كتب لها النجاح الذى كتب لك وصادفها التوفيق الذى صادفك.

ولا أكتمك أن كتابك زاخر بالصور الفنية الطريفة ، والوقائع الحقيقية الرائعة ، فهو جدير بأن يقرأ ويقتنى .

على أننى لا أختم كلمتى هذه إليك قبل أن أشكرك وأثنى عليك بصالح أنت له أهل. نفع الله بك العلم وطلابه وأجزل لك جزاءه وثوابه .

المخلص

مصطفى النحاس

لغة القرآن

ويعلق النحاس باشا على كتاب آخر لطه حسين أهداه له بعنوان "على هامش السيرة" فيكتب إليه هذه المرة بخط مطبوع على الآلة الكاتبة أثناء وزارته الخامسة فيقول :

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

تحية مباركة طيبة وبعد، فلقد تلقيت هديتكم الكريمة "على هامش السيرة" ، بما هى أهل له من التقدير وحس القبول ، وشكرت لكم كلمة الإهداء الرقيقة التى وجهتموها إلىّ . والحق أن القارئ ليجد فى كتابك من إمتاع الخيال والعاطفة مالا يجده فى غيره ، فيمضى فى قراءته إلى نهايته مأخوذا بما فيه، لا يملك عنه انصرافا ، ولا يجد عنه حولا .

لقد أضفيت فيه من فنك ما جعل له جاذبية ينشط معها الخيال نشاطا يذهب بفوارق الزمان، وحدود المكان ، فيعيش القارئ مع أشخاص كتابه فى وقتهم وبيئتهم حتى لكأنه يبصر ما يعملون ، ويستمع إلى ما يقولون. رأينا فى كتابك "الوليد بن المغيرة" فى هيئته وفخامته وضخامته ، وفى وجهه الجهم الغليظ ، وسمعنا صوته العميق الذى يخيل إلى السامع أنه يخرج من غار بعيد القاع. ورأينا ابن أخيه "أبا جهل" عمرو بن هشام فتى قويا نحيفا، شديد النشاط ، كثير الحركة، بعيد الأمل، ثم لمسنا النار التى تضطرم فى قلبه كراهية للأمين وحقدا عليه. ورأينا كثيراً غيرهم ممن ارتبطت بهم حوادث السيرة كأنهم يعيشون بيننا ، لأنك استطعت بفنك أن تردهم أحياء ينفضون عنهم غبار القرون ، وأن تحملهم على أن يعيدوا نفس المواقف التى وقفوها فى تلك العصور .

كل هذا أو غيره مما يشابهه دقة وروعة ، كان فى كتابك مثلا فنيا بارزاً من أمثلة القوة والبراعة التى اختصك الله بها. ولا ريب أنك أحدثت فى الأدب العربى ألوانا من الفن القوى تجدد الإيمان بأن لغة القرآن لا تزال مستعدة للصور الأدبية الرائعة، وأن فى تاريخها مادة غزيرة تنسج منها أحسن القصص وأمتعها .

فبارك الله قلمك ، وصان أدبك وأعزبك لغة العرب، ونفع بمؤلفك طلابك ومريديك ومحبيك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

القاهرة فى ٧ صفر ١٣٦٣ — المخلص

٢ فبراير سنة ١٩٤٤. — مصطفى النحاس

شكوى زوج مندور

وفى رسالة أخرى من النحاس إلى طه حسين يرد فيها على ما نقله إليه الأخير من شكوى "السيدة حرم الدكتور مندور من تراخى كبار المحامين الوفديين فى العناية بأمره ، وذلك على إثر

اعتقال صدقي له بتهمة الشيوعية مع مائتين من الكتاب والمفكرين المعارضين إرهابا لهم، وقد اتصلت بالسيدة "ملك عبد العزيز" زوج الناقد الكبير المعروف د. محمد مندور لأقف على حقيقة شكواها لطه حسين فذكرت لي أن طه حسين قد زارها زيارة مجاملة أثناء اعتقال الدكتور مندور ولم تشكو إليه إطلاقا من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره "وتؤكد أنهم قد قاموا بواجبهم كما يجب أن يكون ، فهل نفهم من كلام طه حسين للنحاس بهذا الشأن أنه ادعى هذه الشكوى لكي يثير اهتمام النحاس بتلميذه صاحب الفضل عليه حين أرسله في بعثة، والذي يعجب منه بـ "وفاءه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم في الجدل والنقاش"، أم نتهم ذاكرة زوج د. مندور خاصة وأن وقائع ما حدث مرت عليها أكثر من خمسين سنة ؟ على أية حال لنقرأ رسالة النحاس باشا:

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك .

تحية صادقة كريمة لك وللسيدة المحترمة حرمك والأنجال الأعزاء وبعد.. فقد تلقيت رسالتك الخاصة بما تشكو به السيدة حرم الدكتور مندور من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره وإني أؤكد لك أني لم أتوان لحظة واحدة عن تتبع هذه المسألة والاهتمام بها، ولما تسلمت كتابك اتصلت بحضرة الأستاذ محمود سليمان غنام وسيكون في مقدمة حضرات المحامين عند نظر المعارضة القادمة، وثق أنهم لن يتوانوا عن تأدية واجبهم نحو الدكتور مندور.

هذا وإني أنتهز هذه الفرصة فأحييك تحية ممتزجة بصادق التهنئة على ما تدبجه براعتك من مقالات رائعة جمعت بين سلاسة اللفظ ودقة المعنى وسرعة البديهة في الكشف عن الحقائق وتبصير الرأى العام بما وراء الستار.

وليس بجديد على عميد الأدب العربي أن نرى له كل يوم هذه النفثات وتلك الآيات البينات .

حيا الله قلمك وبارك عزمك ومتعك بما تحبه وترضاه . وتقبل وافر تحياتي

٢٢ أغسطس ١٩٤٦.

المخلص

مصطفى النحاس

البريد المتبادل

وفي رسالة جديدة يشكر النحاس لطه حسين وفاءه رغم شعور طه بالتقصير في حق صداقته للنحاس مما يتبين من خلال سطور خطاب النحاس الذي يقول فيه :

سيدي بشر في ٤ سبتمبر ١٩٤٨.

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

السلام عليك والشوق إليك من معترف بفضلك ، مقر بعلمك وأدبك.

أما بعد، فقد تسلمت كتابك الرقيق ، فلمست بين سطوره صدق الأخوة ، ووفاء الرجولة، وحدب المحدب، وعاطفة المخلص المكين . وإن من كان مثلك في فضله وعلمه ، ورجولته وخلقه ، وكمال أدبه وحسن عشرته ، لا يمكن أن يقصر أو يهمل أو يتغاضى ، فإني لمقدر لك ظرف انشغالك بمختلف الأعمال، ولا أحس أننا تفارقنا إلا بالجسم ، فإني أراك كل يوم فيما أقرأه لك وعنك ، وفيما أسمعه من حركتك المباركة ، وتنقلك في بلاد فرنسا من مكان إلى مكان ، لا لتقطع الوقت سائحا أو متنزها أو مستروحا ، ولكن لتقدم للعلم والحضارة والثقافة أجل الخدمات وأخطرها، ولتضرب لفرنسا الأمثال على أن في مصر علماء أماثل لا يقلون عن علماء الغرب في شتى ضروب الثقافة والإطلاع إن لم يزيدوا.

ولا أكتمك أني لم أكن أنتظر منك – وأنت في مشاغلك المتلاحقة أن تجد من وقتك فسحة. تكتب فيها إلى إخوانك وأصدقائك وكلهم يلمسون عذرك . ويكتفون بمتابعة ما تكتب وما ينشر عنك. ولكنك أبيت – وأبرز ما فيك الوفاء – إلا أن تكون ذاكراً لي بقلمك كما تذكرني بلسانك وقلبك، وإلا أن تختلس وقتا – قد تكون اقتطعته من طعامك أو من راحتك – لتكتب إليّ كتابا كله خلق وكله رجولة وكله وفاء ، فأدخلت على قلبي السرور والانشراح ، في وقت امحى فيه كل سرور وبهجة ، مما نراه من أحداث وتصرفات آخذ بعضها بتلابيب بعض . بل في وقت تكاثرت فيه المحن التي تنوء تحت ثقلها العزمات ، والتي تلقيناها وتلقاها بإيمان لا يضعف وصبر لا ينفذ، وتوكل على الله لا يفارقنا في فيئة من الفيئات .

ولقد جاء كتابك وما فيه من تذكير بآيات الله ، وما وعد الصابرين والمجاهدين ، حين يبتلون ويصبرون ، في وقت أشد ما نكون حاجة إليه، لا ليذكرنا شيئا نسيناه ، ولكن ليشد من عزمنا ويقوى من يقيننا ، ويزيدنا إيمانا بالله وبقضائه وقدره فوق إيماننا .. ومن غير طه

حسين يستطيع أن يتغلغل فى الأعماق ويصل إلى شغاف القلب، فتبعث رسالته الروح والريحان ، وتملؤها الهدوء والاطمئنان ..

حياك الله وبارك فى أخوتك ، ومتعك بما ترجوه ويحبه لك أصدقاؤك -- وما أكثرهم -- وحباك من الصحة والعافية ما تؤدى به رسالتك لهذا الجيل والأجيال المقبلة ، ومنحك من التوفيق ونجاح القصد ما أنت أحق به وأولى .

وقبل من السيدة حرمى تحيتها وشكرها وتقديرها.

وأرجو أن تبلغ السيدة المصونة حرمك تحياتنا جميعا وأصدق تمنياتنا . ولا أنسى تحية النجل العزيز ..

وإلى اللقاء فى أسعد الفرص وأجمل الأوقات والسلام عليك ورحمة الله

المخلص على الدوام

مصطفى النحاس

تأخر خطابك أياما من وقت صدوره بين البريد الجوى المتباطئ وبين الرقابة فأرجو ألا ينال كتابى هذا فى وصوله إليك ما ناله كتابك الكريم من تباطؤ وتأخير والسلام .

مصطفى

***

أما فى الوزارة التى ارتبطت باسم طه حسين فنعرض للرسائل المتبادلة بين طه حسين ، والنحاس، ولكن قبل ذلك علينا أن نكشف عن بعض الحقائق الغائبة .

الفضل فى المجانية

نبدأ من مجانية التعليم التى ارتبطت بطه حسين منذ رفع شعاره الشهير "العلم حق للجميع كالماء والهواء" وإن كان البعض يحاول نسبة هذه المقولة إلى نجيب الهلالى" (الوفد ١٨ ديسمبر ١٩٩٨) غير أن المدهش أن طه حسين نفسه يؤكد أن دعوته للمجانية لم تكن مجرد دعوة أطلقها مفكر لنفع بنى وطنه لانتشالهم من الجهالة التى يعيشون فيها ، ولكن هذه الدعوة كانت باتفاق مع النحاس باشا حتى يضمن لها التنفيذ ، ولنقرأ اعترافات طه حسين فى إحدى خطبه المجهولة أثناء

إحدى جولاته بالأقاليم لحث الأغنياء على التبرع لإنشاء المدارس تحقيقا لشعاره ، ففى خطبته بالدقهلية يقول بالنص موجها حديثه إلى مستمعيه:

"أؤكد لكم أنى ما دعوت إلى نشر العلم وتيسيره ومجانيته وإنشاء المدارس الكثيرة قبل أن أكون وزيراً إلا بعد أن اتفقت مع النحاس باشا على أن أدعو إلى هذا ونحن بعيدون عن الحكم ، بحيث إذا عاد إلى الحكم كان جزءا أساسياً من برنامجه. إنما كنت أدعو إلى نشر العلم بوحى منه واتفاق معه، كنت أعبر عن نفسه وقلبه وأمله ، وأقسم صادقا وأشهد ويشهد الوزراء جميعا أنه هو الذى وضع فى خطبة العرش الأولى مجانية التعليم فوراً" (الاهرام ١٩٥١/٣/٣).

آخـر من يعـلم

أما دخول طه حسين الوزارة كوزير للمعارف فلها قصة مختلفة غير تلك القصة الشهيرة التى ذاعت وانتشرت وأكدها د. محمد حسن الزيات زوج ابنة طه حسين ، فى الحلقات التى نشرها "بالمصور" قبل أن يجمعها فى كتاب "مابعد الأيام" والذى ذكر فيه "وبحضر النحاس باشا إلى منزل طه حسين دون موعد .. فيفاجئه بأن يطلب منه أن يتولى منصب وزير المعارف فى وزارته التى يجرى تأليفها وطه حسين يشكره . ولكنه يرجو معاودة التفكير لأسباب منها أنه ليس عضوا فى الوفد ، وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئيسهم جهاده أحق بالاشتراك معه فى الحكم، كما أن السراى غاضبة عليه منذ زمن بعيد ولا ينتظر أن توافق على تعيينه ، وسبب آخر هو أنه ملتزم أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج للتعليم سبق أن شرحه عام ١٩٣٧ فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" الذى كان يعده فى الأصل ليقدمه تقريراً إلى النحاس باشا نفسه، وهو لا يعرف رأى وزارة الوفد عندما تتولى الحكم فى تطبيق هذا البرنامج الذى يؤكد ضرورة إعلان مجانية التعليم الابتدائى والثانوى ، وراح النحاس يفند هذه الأسباب محاولا إقناع طه حسين" إلى أن يصل بنا الزيات فى كتابه المشار إليه إلى قول طه حسين للنحاس "وإذا أصبحت أنا وزيراً للمعارف فإن رفعتكم ستحبون قطعا إعلان مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلمان . ويسأل النحاس باشا : هذا شرط؟ ويرد طه حسين : لا، معاذ الله، ليس شرطا ولكنه توقع" إلخ. وهذه القصة ليست دقيقة سواء فيما يتعلق بالمجانية أو دخول طه حسين الوزارة ، أما المجانية فقد اتفق طه حسين عليها مع النحاس خارج الحكم منذ وقت مبكر كما أشار فى خطبته بالدقهلية كما سبق أن ذكرنا. أما قصة دخوله الوزارة فهو يرويها بنفسه عقب خروجه من الوزارة فى مقال مجهول أيضا

نشره بأهرام ١٩٥٢/٥/٣ ، ويؤكد فيه انه أدخل الوزارة فجأة دون أن يستشار كما أخرج منها فجأة دون سابق إنذار، ويقسم على ذلك قائلاً:

"فا لله يشهد ما عرفت هذا الترشيح إلا بعد أن أرسل مشروع المرسوم بتأليف الوزارة إلى القصر ودعيت لا ليعرض عليّ هذا الترشيح ولا ليسمع رأيي فيه ، ولكن لأنتظر في دار الرئيس النبأ بتوقيع المرسوم ، ولأذهب بعد ذلك مع الزملاء إلى القصر لحلف اليمين القانونية.

ولقد أراني مغرقا في الاستماع لقصة من قصص شكسبير حين أنبئت بأن الرئيس يدعوني في التليفون فلما استجبت له، طلب إليّ أن أزوره في داره فوراً ، فقطعت القراءة حيث قطعها التليفون، وأسرعت إليه أظنه سيستشيرني في بعض الأمر كما يتفضل بذلك بين حين وحين، فلم أكد ألقاه حتى أنبأني بأنه اختارني وزيراً للمعارف ، ولم أكد أرد عليه تحيته واختياره حتى أنبأني بأن المرسوم قد رفع إلى القصر، وبأن المناقشة لا تفيد، فلم ازد على أن شكرت وانتظرت واستقبلت الوزارة أحسبها أمراً هينا. وما أكثر ما يستقبل الناس من الأمور الهينة . ولكن لم أكد أمارس بعض أمرها حتى جعلت تستأثر بي قليلا. قليلا، ولم تمض أيام حتى رأيتني قد غرقت فيها إلى أذني"... ".. وإذا أنا أصرف.." عن أهلي وشئون أهلي ، وأنسى كل شئ إلا أن هناك شعبا يريد أن يتعلم وإنني موكل بتعليمه ، وأن الوسائل إلى تعليمه محدودة لا تسعف، وقصيرة لا تؤدي إلى الغاية، وأن عليّ أن ابذل خير ما عندي لأصل إلى خير ما يمكن الوصول إليه".

ويضيف طه حسين "ثم أراني ذات ليلة وقد أنبأني رئيس الوزراء بأني قد خرجت من الوزارة كما دخلتها ، لم أختر أن أكون وزيراً ، ولم اختر أن أخرج من الوزارة ، كما أنني لم اختر أن آتي إلى هذه الدنيا من أعماق الغيب ، ولن أختار أن أخرج من هذه الدنيا إلى أعماق الغيب ، وإنما هو قضاء الله يجري على الناس بما لا يريدون قبل أن يجري عليهم بما يريدون".

وتؤكد صحف تلك الفترة ما رواه طه حسين، فلم يكن الرجل مطروحا بالمرة في آخر تشكيل وزاري للنحاس ١٩٥٠، وأن ترشيحه جاء في اللحظات الأخيرة قبل صدور الأمر الملكي في ١٢ يناير ١٩٥٠ بتشكيل الوزارة السابعة للنحاس باشا، إلى درجة أن الصحف الصادرة في اليوم السابق لم تكن تذكر إلا "نجيب الهلالي" كمرشح لوزارة المعارف، فتقول صحيفة "المصري ١١ يناير ١٩٥٠م":

"وأقبلت على دار رقعة النحاس باشا وفود الجامعة وطلاب المعاهد العليا وكان قدومها مصادفة أثناء اجتماع رفعته برجال الوفد، وظل الطلبة يهتفون مطالبين بالهلالي رجل المعارف

ونصير العلم وصاحب السياسة الصائبة في العلم، وقد دفع الطلبة إلى ذلك ما ترامى إلى أسماعهم من أن سعادة الهلالى باشا يصر على اعتذاره عن الاشتراك في الحكم لأسباب صحية بحتة".

وظهر اسم طه حسين كمرشح للوزارة بعد أن رشحه نجيب الهلالى للنحاس باشا، وقد كان الهلالى وزيراً للمعارف في وزارة توفيق نسيم ١٩٣٤ والتي كان يؤيدها النحاس ، وقد أعاد الهلالى باشا ، طه حسين إلى الجامعة بعد أن كان قد فصله صدقي باشا منها، وعندما اشترك الهلالى باشا في الوزارة النحاسية ١٩٤٢ كان طه حسين مستشاراً في ذات الوزارة ، ويؤكد طه حسين "أن الهلالى هو أول من جعل التعليم الابتدائي بالمجان ولم يكن قبله كذلك".

ورغم أن ترشيح طه حسين للوزارة في اللحظات الأخيرة ولم يكن يدور اسمه في ذهن النحاس لولا ترشيح الهلالى له ، وتنبيهه إليه، فإن النحاس لدهشتنا كان متمسكا بطه حسين إلى أبعد حدود التمسك أمام معارضة الملك بحجة أن أفكار طه حسين يسارية ، ولكن النحاس تشدد أمام الملك باعتبار أن طه حسين هو أهم وزرائه المرشحين للوزارة بل إنه قال إنه مستعد "أن يتنازل عن كل الوزراء إلا طه حسين".

ويبدو أن تشدد النحاس بالنسبة لطه حسين لم يكن له علاقة بطه حسين ذاته بقدر ما كان ذلك فصلا من فصول التحدى بين النحاس والملك .

أرضيت المواطنين

وكما فهمنا من حديث طه حسين حول قصة دخوله الوزارة ، فقد كان بينه وبين النحاس حوار مستمر يصل إلى درجة استشارة النحاس لطه حسين "في بعض الأمر كما يتفضل بذلك بين حين وحين" ومن تلك الاستشارات التي أخذ بها النحاس بناء على اقتراح لطه حسين تهديده للملك بتقديم استقالة وزارته إذا أصر على إلغاء مجلس الدولة تخلصا من المستشوري رئيس مجلس الدولة والذى كان يرفض دائما أى رغبات ملكية لتقييد الحريات بقوانين ، وإلى جانب الحوار بين زعيم الفكر وزعيم الأمة فقد كانت بينهما رسائل قبل أن يلى طه حسين الوزارة، كما عرضناها سابقا، ثم كانت بينهما رسائل أثناء الوزارة لارتباط ذلك بأزمة سياسية نشبت بين طه حسين كوزير للمعارف وبين وزارة الخارجية التي يرأسها محمد صلاح الدين.

ونترك طه حسين يتحدث بنفسه عن تلك الأزمة المجهولة التي ننفرد بنشرها للمرة الأولى من

خلال خطاب أو تقرير بعث به إلى النحاس باشا وقد حرص على أن يطلب منه إلى حد الرجاء أن "هذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع" وقد ظل سر هذه الأزمة مجهولا حتى كتابة هذه السطور، وقد بلغت صفحات هذا الخطاب الذى كتبه طه على شكل تقرير عن نتائج رئاسته لوفد مصر فى الأونسكو بباريس ١٩٥١ أثناء وزارته للمعارف، بلغت حوالى عشر صفحات كتبها أو أملاها طه حسين فى حوالى ثلاثة عشر يوما كما يبدو من تاريخه للرسالة التى حملت تاريخين حين بدأ الرسالة فى باريس فى ٧ يوليو وأتمها فى مدينة بولزانو الإيطالية فى ١٩ يوليو .

ومن الجدير بالذكر أن هذه لم تكن هى المرة الأولى التى يرأس فيها طه حسين وفدا مصريا فى مؤتمر دولى ، بل سبق أن رأس طه حسين وفد مصر إلى اليونسكو فى السنة السابقة ١٩٥٠ بفلورنسا أثناء الوزارة غير أنه اضطر إلى العودة قبل استكمال أعمال المؤتمر نظراً لانتهاء العام الدراسى وضرورة عودة وزير المعارف طه حسين للاستعداد للعام الجديد، وقبل أن ندخل إلى الخطاب الأزمة ، لابد أن نقرأ خطاب النحاس الذى أرسله لطه حسين احتفاء بتشريفه لمصر فى محفل دولى كاليونسكو، وفى هذا الخطاب يعترف النحاس ضمنا دون أن يصرح أنه تأخر فى تقدير طه حسين التقدير اللائق به ، وإن أرجع ذلك إلى حكومات غير حكومته حيث "لست أخفى عليك أننى كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجانب يقدرونك قدرك ، والحكومات الأجنبية تعرف لك منزلتك ، وحكومات مصر - صانها الله - تتحداك"، وهذا حين صار طه حسين وزيرا فى حكومة النحاس فإن الأخير يرى أنه بذلك "أرضيت نفسى وأرضيت المواطنين".

يقول النحاس باشا بتاريخ : الجمعة ١٢ مايو ١٩٥٠.

عزيزى حضرة صاحب المعالى الدكتور طه بك حسين

صنع الله لك أجمل ما يصنع لرجل أخلص الإخلاص كله لوطنه، ووفى الوفاء كله لإخوانه وزملائه وأصدقائه ، وأحسن السفارة عن بلده فى كل مكان حل فيه ، أو قوم التقى بهم .

لقد طالعت كتابك فطلعتنى لهجة صادقة عرفتها دائما فى رسائلك ، وعبارة طبيعية لا تكلف فيها ولا تطبع، ألفتها فيما تكتبه أو تتحدث به.. ولقد تتبعت أنباء رحلتك الموفقة ، وخطواتك المباركة، الخالصة لوجه الله والعلم . وكنت كلما سمعت عنك نبأ سارا ، أو قرأت خبرا طيبا ، أحس الغبطة تسرى فى نفسى وتشيع فى جوانحى، لأنك لقيت ما أنت له أهل وبه خليق ، أو على الأصح لقيت مصر فى شخص رجلها العالى تكريما يرفع من ذكرها

ويضعها في المكان الجدير بها، وإذا كنت تشرف بوزارة على رأسها شخصي الضعيف فإني ليسعدني أن وفقني الله إلى ضمك إلى إخوان صدق ووفاء اخترتهم لمعاونتي على حمل العبء وأداء الرسالة، والنهوض بمستوى البلاد السياسي والعلمي والخلقي .. نعم يسعدني أن تكون بين زملائي وإخواني الوزراء تحمل رسالة التعليم - وياها من رسالة - وتنشر أراءك وتعاليمك في النشء فتنشر الخلق الفاضل ، والوفاء المقيم ، والشجاعة التي لا تقيدها الرسميات ، ولا تحد منها الظروف والملابسات.. ولست أخفي عليك أنني كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجانب يقدرونك قدرك، والحكومات الأجنبية تعرف لك منزلتك ، وحكومات مصر - سامحها الله - تتحداك وتقف في طريقك، وتحارب العلم والأخلاق والوفاء في شخصك.. حتى إذا أذن الله أن تزاح الغمة وأن أوفق لاختيارك زميلا رسميا لي كما اتخذتك من أمد طويل أخا وصديقا - كانت غبطتي بمعاونتك ومسروري بمشاركتك لنا في حمل العبء، بمقدار تقديري لك ، وإعجابي بفضائلك الغر، ووفائك الثابت ، وثباتك الباقي على الزمان.

وكان منطقيا أن أوثرك بمودتي ، وأخصك بتقديري - وأختارك بين زملائي بعد ما عرفته فيك ، ولمسته عن كثب من خلالك التي لم تبدلها الحوادث ، ولم تنل منها صروف الأيام، وإني لأحمد الله وأحمد الوفاء والخلق إذ أرضيت نفسي وأرضيت المواطنين ، وقدمت عارفة للعلم إذ أهديت إلى أبنائه الدكتور طه حسين بك ليشرف على نشره ، ويتولى أمره ، ويفيض على أهله من قوة نفسه ، وسعة أفقه، ما يبعث فيهم حياة جديدة تشبع رغبة محبي العلم وطلابه، وتحبب لهم الإقبال عليه ، والاغتراف من منهله، ولست في قولي هذا أقرضك ثناء بثناء ولكنه تقرير للحق والواقع الذي لا مغالاة فيه والذي يقوم الدليل عليه كل يوم بما نراه من جهدك الدائب - وحركتك التي لا تنقطع والتي كان من آثارها رحلتك الموفقة التي افتتحت فيها كرسي محمد علي أمام جمهرة من رجال العلم والأدب في معهد البحر الأبيض المتوسط من مدينة نيس، فكان هذا العمل الذي نسبت إليّ فضله خير دعاية لمصر ولمليكها ولحكومتها مع أن لك نصيب الأسد فيه ، وفضل السبق إلى التفكير في إبرازه . وإني لمسرور من تكريم الحكومة الفرنسية إياك وحفاوتها بك فأنت كما قلت لك وأكرر: مصري وهبتك مصر للثقافة والأدب والعلم في بلاد الله جميعا.. والله يجعل التوفيق حليفك في سعيك لتدبر ما تحتاج إليه جامعاتنا ومدارسنا من الأساتذة والمعلمين، وما تبذله من جهد في إنشاء معهد ثقافي مصري يكون مقره مدينة طنجة كما شرحته لي قبل سفرك إلى فرنسا.

وأختم كتابي هذا بأن أحملك تحيتي وشكري إلى زميلك مسيو "ايفون ولبوس" وزير

المعارف الفرنسية على ما أبداه نحوى من عواطف رقيقة كريمة - وشكر الحكومة الفرنسية على ما أظهرته نحوك من نبل الشعور وكرم الضيافة وحسن الاستقبال.

وآمل أن أراك في آخر الشهر الحالي بيننا ناعما بالصحة سعيداً بالتوفيق فيما شخصت إليه ، وحتى ألقاك أرجو أن تتقبل أصدق ما أكنه لك من تقدير وإعجاب ووفاء. وللسيدة المحترمة قرينتك العزيزة مني ومن حرمي أصدق التحيات وأطيب أماني الصحة والتوفيق والعودة إلى مصر سالمين معافين. والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

مصطفى النحاس

إسرائيل تتدخل

نصل الآن إلى الفصل الأخير المثير الذي تكشفه رسالة طه حسين في شبه تقرير عن نتائج تراسه لوفد مصر إلى "الأونسكو" ١٩٥١. وهو ما طلب طه أن يبقى سراً، وهو ما وعده النحاس بكتمانه حين رد عليه برسالة مؤكدا توصية طه في تقريره "على أن يكون ما احتواه سراً خاصا بينك وبيني". وسوف نفاجأ في رسالة أو تقرير طه حسين بأكثر من مفاجأة ، أولها خلافه الحاد كوزير للتعليم مع وزير الخارجية محمد صلاح الدين ، وإن ظل ذلك الخلاف مكتوما لا يصرح به طه إلا لرئيس الوزراء ويحرص على أن يظل بعيدا عن مشاعر وزير الخارجية "فلست أريد أن أسوء زميلي صلاح الدين باشا" كما يقول طه حسين ، كما نعرف لأول مرة كيف أن إسرائيل لم تكن تحارب مصر فقط في ميدان القتال كما حدث في ١٩٤٨، بل كانت تحارب مصر في المحافل العلمية أيضا لاستبعادها من أي إسهامات دولية.

ندخل الآن بسرعة (بعد أن طالت المقدمات) إلى أطول رسالة لطه حسين، وهذا هو نصها:

سيدي صاحب المقام الرفيع.

كان من أوجب الواجبات أن أكتب لمقامكم الرفيع إثر وصولي إلى باريس مهديا أصدق تحياتي وشاكراً ما تتفضلون به عليّ دائما من عناية دقيقة وعطف كريم. ولم يكن شيء أحب إليّ من هذه الكتابة ، ولكنا نحب أشياء وتحول الظروف بيننا وبينها حتى كأن الدهر موكل بصرفنا عما نحب إلى مالا نحب .

فلم أكد أصل إلى باريس حتى تلقفتني منظمة "الأونسكو" وإذا أنا أغرق في أعمالها إلى

أذني نجتمع كل يوم في الساعة التاسعة والنصف إلى ما بعد الساعة الأولى ثم ننصرف لتناول الغداء على عجل ونعود في الساعة الثالثة والنصف فلا ننصرف إلا بعد تمام الساعة السابعة ، فإذا خرجنا لم نعد إلى فنادقنا لنستريح، وإنما نمضي إلى الحفلات الاجتماعية التي تقيمها الوفود والتي ليست أقل إجهاداً من الاجتماعات العامة، وكذلك أنفقنا هذه الأسابيع الثلاثة عناء حين نصبح وعناء حين نمسي، واشتغال عن أنفسنا وعن كل مايلذها ويرضيها. والحمد لله على كل حال. وإني لأرجو أن يكون الله قد هيأ لمقامكم الرفيع ما تتمنى لكم مصر كلها من راحة النفس والجسم ومن فراغ البال ورضى الضمير، وإن كنت أعلم أن أعباءكم تزداد من يوم إلى يوم ، وأن سفر الوزراء للأعمال أو للراحة في الخارج يضاعف هذه الأعباء ويزيدها ثقلا إلى ثقل، والله يكفلكم بعنايته ويشملكم برعايته ويمدكم بروح منه ويتم لكم التوفيق في كل ما تحاولون في خدمة الشعب المصري الذي لا يثق إلا بكم ولا يعتمد إلا عليكم ولا ينتظر الخير إلا على يديكم.

أما بعد.. فقد شغلتنا في اجتماعات الأونسكو مسألتان خطيرتان إحداهما مسألة ترشيح مصر لعضوية المجلس التنفيذي، وقد فوجئنا في باريس بتعليمات جاءتنا من وزارة الخارجية تكلفنا أن نرشح سوريا مكان مصر وقد ضقت بهذا الأمر أشد الضيق ، وكلفت سفيرنا ثروت بك أن يتصل بمعالي زميلي وزير الخارجية ويبلغه رأيي في هذا الموضوع ، فاتصل به ثم أخبرني بأن معالي الزميل يرى أن الخير في ترشيح سوريا لأنها وعدت بتأييد مصر في منظمات أخرى. وقد قبلت أن أنفذ هذه التعليمات آسفا، واتفقت مع وزير سوريا المفوض ومع الوفود العربية الأخرى على ترشيح سوريا وأسعى في نجاح هذا الترشيح. وفي أثناء هذا سافر حسني باشا (عبد الوهاب باشا حسني من الخاصة الملكية) إلى إيطاليا ليشهد مثول معالي عبد الفتاح حسن باشا بين يدي جلالة الملك لحلف اليمين القانونية (كوزير للشئون الاجتماعية). ويظهر أن حسني باشا تحدث في هذا كله إلى جلالة الملك فأمره بالمحافظة على أن تحتفظ مصر بهذا المكان في الأونسكو وكلفه أن يكتب إلى رئيس الديوان بالنيابة ليتصل بمقامكم الرفيع في هذا الشأن. وعاد حسني باشا إلى باريس فأخبرني بذلك ، وقد تضايقت لهذا التصرف جداً ولكنني لم أقل له شيئا. ثم وصلت برقية من صلاح الدين باشا تشتمل على صورة ما أبرق به إلى رئيس الوزارة السورية متصلا بهذا الموضوع، ولم أكد أقرؤها حتى هممت أن استقيل من الوزارة ثم ملكت نفسي وأكرهتها على الاعتدال . ذلك أن في هذه البرقية كشفا خطيراً لوفد مصر في "الأونسكو" فهي تنبئ رئيس وزارة سوريا بأن الوفد المصري قد أرسل إلى القاهرة أخباراً تدل على أن أمل سوريا في النجاح

ضئيل جداً وهي تطلب إلى رئيس وزارة سوريا أن يكلف وزيره في باريس الاتصال بالوفود العربية والوفد المصري للتحقق من صحة هذه الأخبار، فإذا ظهرت صحتها كان من الخير أن تؤيد الوفود العربية مصر لترشيحها لهذا المكان. وما كنت أظن أن مثل هذه البرقية يمكن أن تصدر من وزارة الخارجية.

فالوفد المصري في الأونسكو مؤلف من مصريين لا ينبغي أن يكشفوا حتى لو اخطأوا. ورئيس هذا الوفد وزير مسئول وزميل لوزير الخارجية فلا ينبغي أن يكشف على هذا النحو ولا أن يكون هو وزملاؤه موضوعا للتحقيق أمام وفود أخرى مهما تكن عربية فإنها أجنبية. ولولا أن نجاح مصر كان موقوفا على أن أرشح نفسي لهذا الكرسي لخالفت تعليمات وزارة الخارجية مؤقتاً ولرشحت مصر وظفرت لها بهذا المكان. ولكن الهيئات الأجنبية في الأونسكو كانت ترشحني شخصياً لهذا الكرسي، وقد ألح عليّ في ذلك ممثلو بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا وهولندا وأمريكا. ويوجسلافيا. فأبيت كل الإباء وألححت على هؤلاء الممثلين في تأييد ترشيح سوريا لأني لم أرد أن يظن ظان أو يقول قائل أني آثرت نفسي على مرشح الجامعة العربية ومرشح وزارة الخارجية المصرية، وهو المندوب السوري، ولو قبلت الترشيح لانتخبت بإجماع الأصوات. لكني بذلت وبذل زملائي جهدا شديداً حتى ظفرنا لسوريا بأغلبية ضئيلة وقد نجحت والحمد لله. هذه مسألة.

أما المسألة الثانية فهي مسألة إنشاء مركز للتعليم الأساسي في مصر وهو مركز يتعلم فيه المعلمون على أن يعلموا الأطفال والشباب ما ليس منه بد ليكونوا أعضاء منتجين في البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها. وقد أعلنت في الخطبة التي ألقيتها في الاجتماع العام "للأونسكو" أن حكومة مصر مستعدة لإنشاء هذا المركز ليتمرن فيه المعلمون من الأقطار العربية والإفريقية. وسُرت الوفود بهذا التصريح وصفقت له تصفيقاً شديداً. ولكن فوجئت بعد ذلك ببرقية من وزارة الخارجية المصرية تنبئني فيها بأن حكومة لبنان تريد أن تنشئ هذا المركز في بيروت وتطلب إليّ التفاهم مع الوفد اللبناني على هذا الموضوع وتأييده إن احتاج إلى التأييد، فألقى في روعي أني إنما شهدت اجتماع "الأونسكو" لأصفي مركز مصر فيه ولأؤيد الوفود العربية الأخرى على حساب وطني الذي بلغ من الكرم أن يعطي كل شيء ولا يستبقي لنفسه شيئا.

وقد حاولت أن أقنع الوفد اللبناني بألا ينازعنا في هذا المركز ولكنه لم يقتنع وطلب إلى "الأونسكو" إنشاء المركز في بيروت. وهناك قام ممثل إسرائيل فطلب ألا ينشأ المركز في مصر ولا في لبنان وأن ينشئ في تركيا. وأراد الوفد البريطاني أن يؤيدنا دون أن يسوء أحداً

To: www.al-mostafa.com

فطلب أن يؤجل البت في هذا الموضوع وأن يترك اختيار البلد الذي ينشأ فيه هذا المركز للمجلس التنفيذي والمدير العام. ووافقت هيئة "الأونسكو" على هذا الاقتراح، ولولا تقدم لبنان بطلبها لتم إنشاء المركز في مصر.

ولست يائسا من أن ينشأ المركز في مصر وإن كان لبنان ممثلا في المركز التنفيذي ومصر ليست ممثلة فيه. وكل ذلك العناء مصدره شيء واحد هو أن وزارة الخارجية لا تستشير وزارة المعارف في علاقاتنا الثقافية مع البلاد الأخرى ، على حين أن وزارة المعارف تستشير وزارة الخارجية في الصغير والكبير من شئوننا الثقافية التي تتصل بالبلاد الأجنبية على اختلافها.

ولست أقول هذا شاكيا ولا لائما وإنما أقرر الحقائق الواقعة آسفا لها، وأرجو مخلصا أن يأمر معالي صلاح الدين باشا أعوانه في وزارة الخارجية بأن يستشيروا وزارة المعارف في كل ما يتصل بالثقافة ، كما هي في البلاد الأخرى التي سبقتنا في مثل هذه الشئون.

ولست أخفي على مقامكم الرفيع أني عملت في "الأونسكو" هذه الأسابيع الثلاثة ضيق النفس محرج الصدر، مجاملا مع ذلك للوفود العربية ما وسعتني المجاملة . وكان يمكن أن نجتنب هذا كله لو مضت الأمور بين وزارة الخارجية ووزارة المعارف كما كان ينبغي أن تمضي .

أما فيما عدا ذلك فقد نجح الوفد المصري نجاحا حسنا ملحوظا. فكانت له وكالة "الأونسكو" وكان رئيسه عضوا في المجلس الذي يدير أعمال المنظمة أثناء الاجتماع . وكان أعضاؤه حاضرين في جميع اللجان الكبيرة والصغيرة مشاركين مشاركة قيمة في جميع الأعمال يرجع إليهم في المشكلات الحادة .

وليس من الغرور أن أقول أن تدخلي في مناقشات الميزانية هو الذي جمع الآراء على الرقم الذي كان يريده المجلس التنفيذي والمدير العام رغم الجهود التي بذلها وفد بريطانيا العظمى ووفد الولايات المتحدة لإنقاصه نحو مليون من الدولارات . ويمكن أن أقول واثقاً مطمئنا أن مصر قد كسبت لنفسها في هذا المؤتمر الدولي الخطير مركزا مرموقا ممتازا ، وكثيراً ما كانت هي الحكم فيما كان يثار من المشكلات بين وفود الدول الكبرى . فعسى أن تحتفظ مصر بهذا المركز. ولست أشك في أننا إذا أحسنا الاتفاق والتضامن والتعاون فيما بيننا، ربحنا كثيراً، وما أشد حاجتنا إلى ذلك في هذا الموقف العالمي المضطرب . وقد أطلت على مقامكم الرفيع ولكني حرصت على أن أرفع إليكم تقريراً موجزا عن نشاطنا في "الأونسكو" لتكونوا على علم بالمهم منه إلى أن يعرض التقرير المفصل على مقامكم الرفيع

بعد عودتي إلى مصر إن شاء الله.

وهذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع : فلست أريد أن أسوء زميلي صلاح الدين باشا ، ولكني مؤمن بأن من الحق عليّ أن أظهر مقامكم الرفيع على كل شئ لأكون وفيا لشخصكم أولا ولليمين التي أقسمتها والعهد الذى أعطيته على نفسي بأن أكون مخلصا لكم في كل ما أعمل وفي كل ما أقول.

إلى جانب "الأونسكو" كان لي نشاط آخر شخصي مع وزارة الخارجية ووزارة المعارف في فرنسا بشأن مسألتين . إحداهما مسألة مدرسة الحقوق الفرنسية التي أطالب بإلغائها منذ عام . وقد نجحت في هذه المسألة وقررت جامعة باريس تصفية هذه المدرسة بحيث لا تقبل طلابا جددا في السنة المقبلة وإنما تتم تخريج الذين يتعلمون فيها الآن وينشأ مكانها معهد للدراسات القانونية الحرة لا يعقد امتحانات عامة ولا يمنح درجات ولا دبلومات . وكذلك يصبح تعليم القانون في مصر مقصوراً على كليات الحقوق المصرية.

المسألة الثانية مسألة معهد فاروق للدراسات العربية في أفريقيا الشمالية، وقد طلبت كما يعلم مقامكم الرفيع أن ينشأ هذا المعهد في مدينة من مدن أفريقيا الشمالية غير طنجة، واقتنع وزير الخارجية الفرنسية بوجهة نظرنا ووافق على أن ينشأ المعهد ويفتتح في أول العام الدراسي المقبل أي في نوفمبر من هذا العام. ولكنه طلب مهلة إلى منتصف أغسطس لاختيار المدينة التي ينشأ فيها هذا المعهد. وهذه المدينة يجب أن تكون إحدى ثلاث : إما الرباط وإما الجزائر وإما تونس.

لهذا قررت أن أعود إلى باريس في آخر أغسطس إن شاء الله لأعلم آخر ما وصلت إليه وزارة الخارجية في اختيار إحدى هذه المدن. ومازلت عند الرأى الذى تفضل مقامكم الرفيع فقبله وأيده وهو أن إنشاء هذا المعهد يجب أن يتم في هذا العام فإن تلكأ الفرنسيون أغلقنا معهدهم في القاهرة ومنعنا هيئاتهم العلمية من البحث عن الآثار في مصر. وهم يعلمون ذلك حق العلم ويشفقون منه كل الإشفاق .

وما دام مقامكم الرفيع يمنحني مودته وعطفه وثقته فأنا مطمئن إلى النجح إن شاء الله.

هذا تاريخ الأسابيع التي قضيتها في باريس، ولعل مقامكم الرفيع يرى أنني لم أضع الوقت وأني لم أكن مسرفا ولا كسلاً حين طلبت الأجازة . ولست أجد من الألفاظ ما أشكر به مقامكم الرفيع على الإذن لي بأن استريح بعد العناء المتصل . فلأكل كل هذا الشكر إلى الله عز وجل فهو القادر على مالا نقدر عليه، وهو القادر على أن يمنحكم ما أنتم أهل له من السعادة الدائمة والهناء المتصل والنجح في كل ما تسعون إليه، والظفر بكل ما تطمعون فيه،

وهو القادر على أن يديم عليكم نعمته ويشملكم بالعافية الكاملة، ويحفظ عليكم ما تحبون من رضاه عن أعمالكم وأقوالكم ، ويرضى الشعب عن نصحكم له وعنايتكم به ، وتضحيتكم في سبيله بأغلى ما تملكون .

وأنا أرجو بعد هذا الكتاب الذى بدأته في باريس وأتمه الآن في مدينة بولزانو "الإيطالية" أن تتفضلوا فترفعوا "أصدق" إجلالى لحضرة صاحبة العصمة السيدة الكريمة وتتقبلوا أصدق تحياتى وأخلص حبى وأعمق وفائى.

باريس ٧ يوليو – بولزانو ١٩ يوليو

فصل من التحدى مع الملك

والرسالة ليست في حاجة إلى تعليق.. ولكنها تثير التساؤل عن موقف النحاس من تلك الأزمة بين وزيرين من وزرائه والتى تدل على وجود انقسامات أو عدم انسجام بين بعض الوزراء، فبعضهم وفدى ويعتبر تلميذا للنحاس وتدرب في مكتبه للمحاماه وصعد السلم حتى صار وزيراً كمحمد صلاح الدين، وبعضهم لم يكن وفديا وجاءت به إلى الوزارة شهرته وسمعته الأدبية والفكرية كطه حسين الذى كان مؤيدا لسياسة الوفد وإن لم يكن وفديا وهو ما حدا إلى إصابة أعضاء الحزب بالمفاجأة لاختياره وآخر ، وزيرين من خارج أعضاء الحزب، وهو ما عبر عنه النحاس بأنه لم يختر بعض وزرائه اختياراً حزبيا بل اختياراً قام على أساس أنهم خبراء في المجال الذى اختارهم من أجله كوزراء .

نعود إلى موقف النحاس من أزمة وزيرين في حكومته ، نستطيع أن نؤكد أن محمد صلاح الدين وزير الخارجية لم يتصرف من نفسه بشأن الإصرار على ترشيح المندوب السورى في "الأونسكو" فمن المؤكد أنه تشاور مع النحاس بهذا الشأن باعتبار مصر هى زعيمة العرب فهى التى جمعتهم في شخص النحاس باشا، رؤساء وملوك لتأسيس الجامعة العربية ، فيكون النحاس من هذا المنطلق قد وافق على ترشيح المندوب السورى ، رغم اعتراض الملك كما رأينا في الرسالة السابقة وإصراره على ترشيح المندوب المصرى ، وهذا يوضح فصلا آخر من فصول الصراع والتحدى بين النحاس والملك ، ومن الواضح هذه المرة أيضاً أن النحاس قد كسب الجولة من الملك لأن الدارس لشخصية النحاس وعناده يعلم أنه لم يكن يسمح للملك بأن يفعل ما يريد، فما بالك بوزرائه الذين لا يمكن لأحد منهم أن يفعل شيئا أو يتخذ قراراً بعيداً عنه خاصة إذا كان متصلا بالعلاقات العربية التى يعمل على دعمها، ويبدو أن طه حسين كان بعيدا وهو وزير

للمعارف عن مركز صناعة القرار ولذا بدا غضبه حادا وإن لم يسمح لذلك الغضب بأن يدفعه للاستقالة واكتفى بشكواه الخاصة لرئيس الوزراء وأوصاه أن يتكتم الأمر ولا يفضى به إلى أحد، ويبدو أن ذلك كان يرضى النحاس أيضاً لأن طه لم يقم بتصعيد الأزمة إلى أبعد من مجرد الشكوى. والنحاس حريص على إرضاء طه حسين وإن رأى أنه لم تكن هناك ضرورة لإخباره بأنه كان متفقاً مع وزير خارجيته على كل ما حدث فى مؤتمر "الأونسكو" لصالح البلاد العربية الشقيقة حتى وإن جاء ذلك على حساب مصر وتنازلها وتضحيتها من أجلهم، وتلك رؤية سياسية تقدم قيمة التضامن العربى الذى تقوده مصر على قيمة أن تفوز مصر بمنصب دولى هنا أو هناك.

تنكر زميلنا

ويبدو أن طه حسين لم يكد ينته من خطابه "الأزمة" ويرسله إلى النحاس ، حتى أتته الصحف تحمل خبران أحدهما استوجب التعزية لفقد عزيز صديق للرجلين "إسماعيل باشا رمزى وزير الأوقاف" ، وأحدهما استوجب المواساة لتنكر وزير قدم استقالته (أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية الذى اختاره النحاس رغم صغر سنه) دون مراعاة لخاطر النحاس، وهذان الخبران رأى طه حسين أنهما يستوجبان سرعة التعليق عليهما بالتعزية والمواساة للنحاس باشا الذى وصلته الرسالتان فى وقت واحد وبتاريخ واحد، مما اقتضى من النحاس أن يرد عليهما برسالة واحدة. ولنقرأ أولا رسالة طه حسين الجديدة بنفس التاريخ السابق للرسالة الأولى فى:

٢٩ يوليو ٥١

سيدى صاحب المقام الرفيع

سلام الله ورحمته وبركاته على مقامك الرفيع وشخصك الحبيب إلىّ الأثير عندى. أما بعد، فقد حملت إلىّ الصحف التى ترد من مصر خبران أثرا فى نفسى تأثيراً متناقضا أشد التناقض متباعدان أعظم التباعد، أحدهما وفاة زميلنا وصديقنا إسماعيل رمزى باشا رحمه الله. وأنا أعرف قلبك الرحيم، ونفسك الشفيقة ، وضميرك المؤثر للود، والحفيظ على العهد، الوفى للأصدقاء، فخالط الأسف على الراحل الكريم إشفاق عليك من وقع المصاب ونزول الخطب ، وتصورت كيف تأثرت نفسك فى هذه الفاجعة . فرحمتك حيالك، وأشفقت عليك ضناً بك، وابتهلت إلى الله أن يجنبك كل مكروه ، ويعصمك من كل سوء ، ويسبغ عليك العافية ، وينزل على قلبك السكينة، ويمنحك من المعونة والتأييد ما يكون لك فيه بعض

العزاء .

الثاني ما كان من تنكر زميلنا أحمد حسين باشا الذى رفع إلى مقامك الرفيع استقالته وأبى فيما تقول الصحف أن يعدل عنها مع إلحاح مقامك الرفيع عليه في ذلك.

ولست أعرف حقيقة ما دفعه إلى الاستقالة، ولا حقيقة عذره في الإصرار عليها والاستمساك بها، ولكنى أجد في هذا الاستمساك قسوة لا أحبها، وشدة لا أرضاها. فأنت لزملائك وأعوانك أب رفيق رؤوف لا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تكلفهم ما يكرهون، وما أكثر ما تشقى ليسعدوا، وتتعب ليستريحوا، وتسهر ليناموا ، وأقصى ما يجوز لأحدهم إنما هو الشكوى إليك والإلحاح في هذه الشكوى طمعا في عطفك، وثقة بحبك حتى ترضيه . فاما أن يغضبك ويسوءك ، أو يضيف إلى تعبك تعبا، وإلى عنائك عناء، فهذا هو الذى لا أحبه ولا أقره ولا أرضاه، وانا أرجو أن يكون زميلنا قد راجع نفسه فآثر العافية ، وثاب إلى الرضى، واعتذر إليك من التقصير في ذاتك . فإن يكن ظنى قد صدق ورجائى قد تحقق فالحمد لله على اجتماع الحكمة والتئام الجرح.

وإن يكن ظنى قد كذب ورجائى قد خاب فليس زميلنا أول من أخطأه التوفيق وأدركه العجز وسط الطريق. وما أكثر الذين انشقوا عليك، وتفرقوا عنك فلم يزدك انشقاقهم إلا قوة، ولم يزدك تفرقهم عنك إلا استمساكاً بالحق وإصراراً عليه.

وأنت موفق إن شاء الله في كل ما ترى ، مؤيد بروح الله في كل ما تبغى. ولو أنى كنت في مصر لشافهتك بذات نفسى ولأظهرتك من قرب على وفائى لك وحرصى على أن ترضى. أنا مؤمن بأنك قد جاهدت فأحسنت الجهاد ، وابليت فأحسنت البلاء، وصبرت على المكاره فأبلغت في الصبر. وأوجب لك هذا كله على المصريين عامة ، وعلى زملائك منهم خاصة حقوقا هى ذمة في أعناقهم، وأيسر هذه الحقوق أن يكونوا دائما عندما تحب ، وأن يباعدوا بين أنفسهم وما تكره، ومهما يكن رأى الناس فهذا رأيي ، وهو عهد أقدمه إليك: لا أكون إلى آخر الدهر عند ما تكره مهما يكلفنى ذلك من جهد ويُحملنى من مشقة.

فاقبل منى وفاء صفوا عفوا لن تشوبه شائبة مهما تكن الظروف ، فلعن الله حياة يفسدها الانحراف عنك، أو يكدرها الانصراف عما تحب.

أكتب هذا ومقامك الرفيع يعلم أنى أزهد الناس في الوزارة ، وأبغضهم لها، وأحرصهم على فراقها، ولكنى أحب مخلصاً أن تثق منى بالود المحض والإخاء الصرف، وبأن بقائى في الوزارة أو تركى لها رهن برأيك، فأى الأمرين أحببت ، فإنه سيقع منى موقع الرضى لا يمس

ما بينك وبيني من ود هو آثر عندى من كل شئ، وأعز علىّ من كل عزيز.

فاقبل تحيتي صادقة ووفائي محضا وإخائي صريحاً.

طه حسين

قطعة من جسمى

وقد أحدثت رسالة طه حسين البليغة المؤثرة أثرها البالغ فى نفس وقلب النحاس باشا كما سيتبين من رده عليه ، وعلينا أن نلاحظ أنه سيرد على الرسالتين اللتين أرسلهما طه حسين فى وقت واحد، وبتاريخ واحد ، وسيخص الرسالة الأخيرة بالاحتفاء ، ويكتفى بالرد على الرسالة الأولى "الأزمة" بطمأنة طه حسين بأن محتواها سيظل سراً فيما بينهما.

كتب النحاس باشا رسالته على الأوراق الخاصة برئيس مجلس الوزراء ، أو كما جاء فى نصها:

رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

عزيزى معالى الدكتور طه باشا

شهد الله أنك وفى الوفاء المحض، مخلص الإخلاص الذى لا يشوبه غرض، ولا تفسده مطامع الحياة.

وإن كتابك الفياض بمعنى الأخوة الكريمة، الزاخر بعبارات الصدق والوفاء ، قد أدخل على نفسى الطمأنينة وعلى قلبى روحا من الهدوء والانشراح..

لقد طالعنى كتابك فى ظروف محرجة أشد الحرج، قاسية أعظم القسوة ، لا لما تضمنه من أحداث لم تتعودها، أو نجر بها ، ولكن لما اكتنفها من تكوان للتجميل - ونسيان للماضى القريب ، ألزهما على النفس المخلصة شاق، ومغبتها مؤلمة قاسية، وأى ألم أشق على النفس، وآلم للقلب، من أن يفقد الإنسان صديقا مخلصاً، ورجلا وفيا، كالفقيد إسماعيل رمزى باشا، الذى كان مثلا من أمثلة الانسجام الأخوى، وقدوة تحتذى فى المحافظة على المبدأ الوفدى ، فى وقت نرى فيه الذين نفخنا فيهم، وعمدنا إلى إظهارهم ، والإشادة بهم ، يعملون على حربنا، والخروج علينا ومحاولة النيل منا، ومضاعفة الأعباء والمسئوليات التى ينوء بها كاهلنا فى هذه الأيام الدقيقة العصيبة.

ولست أكتمك أن كتابك قد وصل إليّ ساعة الحاجة إلى مثله، فلقد رأيت فيه نوعا جديداً من الأخوة والوفاء ، والحب والإخلاص الذى لا يزيد ولا ينقص وفقا لتطورات الحاجة الشخصية، أو المآرب الذاتية ، ولكنه الود الصرف، والوفاء الخالص، الذى جمعنا الله عليه، وشاه بقدرته فينا، فلم يعتمد يوما من الأيام على مصلحة - أو يسعى وراء غاية دنيا، وإنما كان فى الرخاء مثله فى الشدة، مثار الفخر والذكر، ومكان التقدير والإجلال، وهو هو الوفاء الذى سيظل باقيا ما بقينا قويا تزيده الأيام قوة ، ويخرج من الأحداث نقيا صافيا.

وإنى لأقدر من أعماق نفسى تلك العاطفة الجياشة التى بدت فى رسالتك بمناسبة استقالة أحمد حسين باشا والتى ما كنت أود أن تكون لولا أنه أصر عليها، واستمسك بها وخابت كل المحاولات التى بذلت لإثنائه عنها، وما فعلنا كل هذا إلا محافظة على الشمل أن يظل ملتئما، وعلى الانسجام الوزارى أن يكون بمأمن من العواصف والهزات، ولكنه - شاءه الله أبى غير ما أردنا، وقصد إلى غير ما قصدنا لمصلحة المجموع لا لمصلحة فرد من الأفراد. ولقد لفت نظرى فى رسالتك القيمة الصادقة ما ذكرته بصفة خاصة من أن بقاءك فى الوزارة وتركك إياها رهن برأيي، وأن أى الأمرين أحببت سيقع منك موضع الرضا لا يمس ما بينى وبينك من ود هو آثر عندك من كل شئ ، وأعز عليك من كل عزيز . وعلم الله أن هذا الذى طالعته فى رسالتك هو ما أحسه من أخوتك وصداقتك ، ولم يزدنى علما بك، ولا حكما عليك . فأنت أخ الود، وصديق النفس، وما كانت العلاقة بيننا علاقة وزارة نشترك فيها، أو حكم نتقاسم همومه وآلامه، ولكنها أكبر من ذلك وأسمى، وابقى على الزمن وأخلد، وأصدقك الحق أننى لن أتخلى عنك ، ولن أفرط فيك . وسأظل مستمسك بك إلى جانبى إلى آخر لحظة، وإن أرغمتنى الظروف على غير ما أحب - وأرجو ألا ترغمنى - فإنى سأكون كمن يقتطع قطعة من جسمه، أو يفرط فى عضو صالح من أعضائه. هيهات أن يجد له بديلاً، أو يعتاض عنه بمثله، على أنه مهما تكن الأحوال فإنى معتز بأخوتك ، فخور بصداقتك، ممتلئ النفس غبطة بوفائك وإخلاصك، راجيا أن يظل وفاؤك صرفا، وإخاؤنا محضا، وعلاقتنا خالصة لا يكدرها ما اصطلح الناس عليه من شئون الدنيا، ولا ما ألفوا أن يتهافتوا عليه من أمور الحكم، والجاه أو السلطان.

ولك منى تحية التقدير، ووفاء الصديق، ومحبة الأخوة الممتزجة بالإجلال والاحترام.

وأكتفى بهذا عن الرد على خطابك السابق الذى أوصيتنى فيه على أن يكون ما احتواه سراً خاصا بينك وبينى. وأرجو فى الختام أن تبلغ السيدة حرمك تحيتى واحترامى.

مصطفى النحاس

سان ستفانو فى مساء الأربعاء ٨ أغسطس ١٩٥١

أشقى الناس

وتمضى الأمور بعد ذلك إلى نهايتها المحتومة وتطوى بحريق القاهرة آخر صفحة من صفحات الوفد وزعيمه لتتم إقالة الوزارة النحاسية السابعة والأخيرة ، والتى كان فا حظ اشواك طه حسين فيها، ورغم قصر المدة التى قضاها كوزير للمعارف "ستتان" إلا أنه ترك أبعد الأثر فى تاريخ الوزارة بحيث لا يذكر التعليم ولا تذكر وزارته إلا مقرونة باسم طه حسين، ولعلنا فى شوق شديد اليوم ونحن نتتبع أنباء خروج الوزراء بعد التغييرات الحكومية، حيث يتكرر السؤال مع كل تغيير: كيف يستقبل الوزير الخارج من الوزارة هذا المصير، ولعل الساعات والأيام الأولى تكون فى حياة الوزير الذى هجر السلطة والنفوذ أو قد هجرته من أقسى الفترات فى حياته، فكيف عاش الوزير طه حسين هذه المرحلة من حياته؟ إنه لا يدع فرصة لنا للتخمين والاستنتاجات ، بل هو يخبرنا بنفسه فى نفس المقال المشار إليه سابقا كما أخبرنا بقصة دخوله وخروجه من الوزارة ، فيحكى عن حياته ومعيشته بعد خروجه أو إخراجه من الوزارة التى أقيلت بأكملها عقب حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢، فيقول:

"وأصبحت من غداة تلك الليلة مطمئن النفس مستريح البال لا أتعجل الخروج من الراحة إلى العمل، ولا أختلس طعام الإفطار اختلاسا، ولا أترقب أنباء التليفون بأن إضرابا قد كان فى هذه المدرسة أو تلك ، وبأن اضطرابا قد وقع فى هذه الجامعة أو تلك، وإنما خرجت من النوم مرفقا ، وخرجت من الدار حين ارتفع الضحى فسعيت إلى القصر لأسجل شكرى للمليك على ما أتاح لى من محاولة خدمة الشعب، ثم سعيت إلى دار الرئيس (رئيس الوزراء النحاس باشا) لأشكر له فضل اختياره وحسن ما أسدى إلىّ من معونة أثناء تشرفى بالعمل معه، ثم عدت إلى دارى راضيا موفوراً ، ولكن لا أقول الحق كله إن لم أضف أنى كنت متعبا مكدودا ، وأنى احتجت إلى وقت غير قصير لأتنفس فى أناة ورفق، ولأذوق الحياة كما تعودت أن أذوقها قبل أن آلى وزارة المعارف. وفى اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأحداث والخطوب ما ينسى الكتاب أنهم كانوا وزراء . وأشهد لقد كنت خليقاً أن انسى هذين العامين لولا تحدث الناس إلىّ فيهما، ودعاء الناس لى بلقب ليس لى فيه الآن حق قليل أو كثير، وما لى لا أنسى الوزارة وقد لقيت فيها عناء وشقاء، وما رضيت فيها عن نفسى قط، وإنى لأشقى الناس حين أرضى عن نفسى، فما يرضى عن نفسه إلا رجل قد فرغ من الحياة أو فرغت منه".

مراسلات

طه حسين - نجيب الهلالى

(*)على كثرة ما كتب طه حسين من رسائل إلى أصدقائه السياسيين وغير السياسيين فإننا لا نجد غير صديق رأى فيه طه حسين صديقه الوحيد في مصر، الذى كان يؤثره بالحب والمودة والإعزاز بعد أسرته، وهو أحمد نجيب الهلالى، المحامى، وزير المعارف، وآخر رئيس وزراء لمصر قبل الثورة، وأحد القلائل الذين احتفظت لهم الثورة بقدرهم، فسبقها إلى شعار "التطهير" الذى تبنته الثورة بعد قيامها ، وكان هو الذى نصح الملك بقبول شروط الثورة، وكانت نصوص معاهدة الجلاء تعرض عليه لإقرارها من الناحية القانونية قبل أن يوقعها عبد الناصر، وهو الذى وضع بروتوكول الإسكندرية الذى نص على تأليف الجامعة العربية وتحديد أهدافها، وفضلا عن أن الهلالى كان سياسيا ماهرا لدرجة أن أطلق عليه النحاس باشا "أمكر المكرة" فقد كان سياسيا نزيها دخل الوزارة مستورا وخرج منها مديونا، وصفه د. محمد حسين هيكل باشا بالتفانى فى خدمة بلاده ورغبته في النهوض بالعلم والأخلاق ، ووصفه كامل الشناوى بأنه صاحب ثقافة عميقة عريضة في الأدب والفلسفة والفقه والقانون، وكان أول من بدأ إصلاح التعليم، بل إن هناك من يذهب إلى أنه صاحب مقولة "التعليم كالماء والهواء" التى نسبت إلى طه حسين، الذى يعترف "بأن الهلالى هو أول من جعل التعليم الابتدائى بالمجان"، وهو الذى أعاد طه حسين إلى الجامعة بعد أن طرده إسماعيل صدقى منها، كما عينه مستشارا فنيا لوزارة المعارف، وانتدبه مديرا لجامعة الإسكندرية، ورشحه وزيرا للمعارف فى حكومة النحاس الأخيرة، ولن نجد فى أوراق طه ورسائله إلى من كان يراسلهم إلا صديقا واحدا اختصه بأكثر وأطول وأصدق وأصفى رسائله.

كتب طه حسين إلى الهلالى باشا من فرنسا يروى له أحداث سفره، والحوار الذى دار بين النحاس باشا وزوجته سوزان على ظهر السفينة عن الهلالى نفسه، فيقول:

أخى العزيز

أما إذا لم تشغلك عنى ظروف الحياة فى مصر فأنت تلومنى إن أبطأت في الكتابة إليك. وأما إذا شغلتك المدير وجه النهار والسمر أول الليل، والنوم بين هذا وذاك فأنت تذكرنى من حين إلى حين وتسأل متى تصل إلىّ أخباره . وأنا قابل منك كلا الأمرين مغتبط بهما، سعيد بأن تذكرنى كثيراً أو بأن أمر على خاطرك مراً سريعاً. وإذا كنت لم أكتب إليك فلأن الأيام التى قضيتها فى باريس إلى الآن كانت مفعمة بجلائل الأعمال وصغائرها. من اختلاف إلى

(*) المصور ١٩ نوفمبر ١٩٩٩.

السوربون والكوليج دى فرانس، والإليزيه، والكوميدى فرانسيس، والأوبرا، والمعرض، وما يتصل بهذا كله من سخف الاحتفالات والأعياد التى أقيمت للكوليج دى فرانس . وكنت أذكرك وآسف لأنى لم أكن أجد الوقت للكتابة إليك. أما الآن وقد فرغت من هذا كله فأرجو أن تتصل إليك كتبى حتى تشكو من كثرتها ، ولكن أحذر أن تظل هذه الكتب من غير جواب. ولست أطلب لكل كتاب جوابا. وإنما أطلب جوابا لكل كتابين. وهذا الكتاب هو الثانى فقد كتبت إليك من "سوندا" فى إيطاليا، وأحب أن تلاحظ أنى لست أقل منك عملا، فبين يدى مجلدات تريد أن تقرأ، وبحث يريد أن يكتب للمؤتمر، وملاعب باريس مغرية، وليست متنزهات الأقاليم أقل منها إغراء ، وسأوثرك على كل هذا فتستطيع أن تأخذ لى فى الأسبوع نصف ساعة من عوض بك إبراهيم وبلغه تحيتى.

ذكرناك كثيراً فى السفينة مع صاحب الدولة، وكان أول ذلك أننا كنا نعد سرة المهرة والمكرة الذين يحسنون الشيطنة أو يسيئونها، فذكرنا أسماء، ثم افترقنا. ومضى على ذلك وقت طويل ثم مر الباشا بامرأتى وهى تتحدث إلى حرمه ، فقطع حديثها قائلاً لزوجتى : لقد نسيت يا سيدتى أمكر المكرة . قالت من هو؟ قال: نجيب. ولست أذكر لك : ابتهجت سوزان بهذا الجواب. ولكن أهدى إليك تحيتها الخالصة، وأرجو أن تقبل منى تحية أنت وحدك تعرف ما تشتمل عليه من حب وإخاء.

الأيام المظلمة

وحينما اشترى طه حسين امتياز جريدة "الوادى" وأشرف على تحريرها أثناء أزمته مع وزارة صدقى باشا ، عانى طه حسين من خسائر مادية شديدة، فإن كان قد نجح كصحفى إلا أنه فشل كإدارى ، واضطر إلى الاستدانة، وكان الهلالى ممن استدان منهم، ويسمى طه هذه الفترة بالأيام المظلمة، فقد كتب إلى نجيب بك الهلالى:

أخى العزيز

أكتب إليك مرة أخرى مستعينا بك وأثقل شئ علىّ أن يأخذك الحياء فتكلف نفسك ما لا تطيق أو ما يشق عليك ، أو أن يمنعك الحياء من الرد علىّ. فأقسم عليك لا تتكلف من هذا كله شيئا.

وأنا أعلم أنى ثقيل ولكنى أعتقد أنك تحتمل منى هذا الثقل الذى أرجو أن يخف قريبا.

أما الجريدة فما زالت حالها بعيدة عما يرضى ولكنها أخذت تحاول أن تقف على قدميها، وأظن أن هذا ليس مستحيلا. فقد أخذ انتشارها يزيد بعض الشيء، وقد أخذت بعض شركات الإعلانات تفكر فيها، الغريب أني برغم هذه المصاعب كلها بعيد كل البعد عن اليأس ، بل بعيد إلى حد ما عن سوء الخلق. ولعلي لم ابتسم قط كما ابتسمت في هذه الأيام المظلمة. وإذا كان في حياتي شيء ممض فهو احتياجي كثيراً إلى أن استدين، وإشفاقي المتصل من العجز عن أداء الدين. وأنا أريد الدين المادي. فقدر لرجلك قبل الخطو موضعها ، أستغفر الله. وأستغفرك. أنت أكرم عليّ وأرفع عندي من هذا الكلام.

وتقبل تحيتي الخالصة

طه حسين

١٠ نوفمبر ١٩٣٤

السخف الرسمي!

ويكتب طه حسين من مصيفه إلى الهلالي رسالة يضمنها بعض الاقتراحات والأفكار الخاصة بالتعليم ، وهو حين يتحدث يقسم حديثه إلى قسمين قسم خاص بالهلالي الصديق، وقسم آخر يخص به الهلالي الوزير، فكتب إليه يقول:

خطاب إلى نجيب بك الهلالي ٢٥ يوليو ١٩٣٥

أخي العزيز

أكتب إليك بعد أن انقضت ثلاثة أسابيع منذ اليوم الذي ودعتك فيه قبل سفري . فقد أذكر أني لقيتك مودعا في الثالث من هذا الشهر، وأنا أكتب إليك في الخامس والعشرين منه. وتستطيع أن تثق بأني منذ ودعتك لم انقطع عن التفكير فيك مرات، في كل يوم أذكر شخصك وأذكر عملك المعقد المختلف الشاق، وأشفق عليك مما تحتمل من جهد وما تلقى من عناء. ولست غاليا ولا متجاوزا الحق إن قلت أني لا أكاد أفكر في أحد غيرك من المصريين ، ولا أكاد أفكر في شيء غير وزارة المعارف من شئون مصر، ولولا أنك وزير المعارف لما فكرت في هذه الوزارة التي تعرف رأيي فيها منذ زمن بعيد.

ولست أرى عليك بأسا من أن تقرأ هذا الكلام الفارغ الذي أكتبه إليك فقد تجد فيه راحة من الكلام الملآن الكثير الثقيل الذي تقرأه في ديوانيك والذي تملئ به حقائبك إذا

انصرفت إلى بيتك وأويت إلى مكتبك أو إلى غرفتك للتستريح فاغتصبت وقت الراحة وانفقته في هذا السخف الرسمي الذي يفرضه عليك الواجب الوطني.

وأنا أكتب إلى الصديق لا إلى الوزير، ومن هنا أصطنع الحرية فيما أكتب. وهل رأيت قبلي أستاذا يتحدث إلى وزيره بأن الأعمال الرسمية سخف، وبأن الواجب الوطني يفرض على الوزراء أن ينفقوا أوقاتهم وجهودهم في السخف. ولكني أرجو من الصديق ألا يطلع الوزير على هذا الكلام الخطر الذي يكفي للمحاكمة التأديبية.

غير أني أعلم أن لك ولي في الحياة العامة رأيا غريبا لا يكاد يشاركنا فيه أحد غيرنا. فنحن نرى أن الحياة العامة والحياة الخاصة سخفا كلها، ونحن نضحك من هذا السخف حين نخلو إلى أنفسنا وقلما نخلو إليها. ولكننا مع ذلك نؤمن بهذه الحياة العامة وما تفرض علينا من واجبات ، ولا نبيح لأنفسنا التهاون أو التفريط فيما تفرض علينا من أعمال وأثقال. ونحن نتكلف في سبيل ذلك كل جهد ، ونضحي في سبيل ذلك بالصحة واللذة والراحة معا.

خلقنا هكذا فلا نستطيع أن نغير أنفسنا ولا أن نحمل ضمائرنا مالا تطيق من المزاح حين يجب الجد، والراحة حين يجب التعب، والأثرة حين يجب الإيثار . ومن هنا تنام أنت أربع ساعات من أربع وعشرين، وتختلف إلى ديوانيك في الصباح والمساء، وتعقد لجنة المناهج والمكتب الفني، تزور أسواق الخضر والفاكهة، ونادي المعلمين، وتسمع من هذا وتقول لذاك، دقيقا كل الدقة في كل ما تأتي كأنك تؤدي واجبا دينيا خطيرا . ومن هنا أسافر أنا للراحة فلا أستريح ، وإنما أقرأ وأقرأ ، وأفكر فيما سأكتب، وفيما سأقول، وأمتنع على أهلي كلما هموا بنزهة أو رياضة. وأفكر في وزارتك التي لم أكن أحب أن أفكر فيها قبل أن تتولاها.

وأظن أنه قد آن لي بعد أن تحدثت إلى الصديق حديثا أراه قصيرا وستراه أنت طويلا، لأنك مشغول بالواجبات الوطنية. أظن أنه قد آن لي أن أتحدث إلى الوزير فأذن يا صاحب المعالي أن أرفع إليك ما يأتي.

أولا: كانت وزارة صدقي باشا قد كلفت وزيرنا المفوض في لندرة وهولندا حافظ عفيفي باشا أن يرأس وفد مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في "ليدن" سنة ١٩٣١، وكان لذلك أثر حسن جدا.

فمن الخير أن تكلف الحكومة القائمة وزيرنا المفوض في روما مراد سيد أحمد باشا رياسة الوفد المصري في المؤتمر نفسه الذي سينعقد في سبتمبر المقبل، وليس على الحكومة من ذلك بأس ، فلن يكلفها هذا العضو الجديد نفقة ما. وبهذه المناسبة أرجو أن تقوى

الجامعة، وقد الحكومة بندب اثنين عنها هما: أحمد أمين وعبد الوهاب عزام. وقد كتبت في ذلك إلى مدير الجامعة قبل سفري. ويكفي أن يعلم وزير المعارف أن الوفد الألماني في المؤتمر السابق قد نيف على السبعين. فليس كثيراً أن يكون الوفد المصري مؤلفاً من ستة أو سبعة، ومصر مونل العربية والإسلام إلى آخر هذا الكلام الكثير.

وكانت الحكومة السابقة قد دعت المؤتمر إلى أن ينعقد في مصر فلم تنجح لأن إيطاليا غلبتها، فهل تجدد الحكومة الحاضرة هذه الدعوة كما تقضي بذلك التقاليد. مسألة لا أقترح فيها شيئا وإنما أتركها لتقدير الوزير .

ثانيا: رأيت فيما رأيت منذ وصلت إلى فرنسا، أن الحكومة الفرنسية قد أقدمت على عمل كنت قد تشرفت باقتراح مثله على معاليكم في بعض الحديث فأظهرتم ميلا إليه واستعدادا له.

فقد قررت وزارة المعارف الفرنسية أن تضم مدرسة المعلمين العليا للبنات إلى مدرسة المعلمين العليا للبنين ، بعد أن زالت الفروق التعليمية بين أولئك وهؤلاء . فلعل وزارتنا تذهب هذا المذهب ، ولاسيما وليس بين تعليم البنين والبنات في مصر فرق ما.

ثالثا: وإذا أقبل الصيف في فرنسا لم تكد تنظر في صحيفة فرنسية أثناء شهر يوليو إلا وجدت فيها الحديث عن مجلس المعارف الأعلى، واجتماعه ودرسه لشئون التعليم كلها.

وقد بدأ وزير المعارف في مصر تقريره عن إصلاح التعليم الثانوي بوجوب إصلاح الديوان قبل كل شيء . وأظن أن أول خطوة في سبيل الإصلاح الفني لوزارة المعارف ، إنما هي إنشاء مجلس المعارف الأعلى، على أن تمثل فيه فروع التعليم كلها، وأن تكون رياسته لمدير الجامعة، وأن يكون رأيه استشارياً ، وأن ينظر فيما يعرض عليه الوزير من المسائل الأساسية في شئون التعليم ، وفيما يعرض عليه الأعضاء من الاقتراحات التي تمس حياة التعليم، وعلى أن يجتمع مرة أو مرتين في العام اجتماعا يطول أو يقصر حسب ما تقتضيه الأعمال المعروضة عليه.

كم أتمنى مخلصا أن يكون صديقي نجيب هو المنشئ لمجلس المعارف الأعلى هذا، والواضع لهذا الأساس المتين من أسس التعليم الصحيح في مصر.

والآن أعترف أني قد أطلت، ولكني أرجو أن لا تكون هذه الإطالة مانعة لك من قراءة هذا الكتاب، وأنا أعفيك من الرد عليه، وإذا وضعت عنواني في آخره فليس معنى ذلك إلا أني أنبئك بمكاني لعلك تحتاج إليّ في بعض الأمر.

وأنا أهدى إليك ما ينبغي للصديق المخلص من حب وإخاء، وما ينبغي للوزير الجليل من تحية واحترام.

طه حسين

أليس غريبا أن أطيل هذه الإطالة ولا أشكر لك ما أستمتع به من الراحة في فرنسا، فأنا مدين لك بها ، ولكن هل أستطيع أن أشكر لك ما أنا مدين لك به فهو أعظم من الشكر.

طه حسين

الجد كل الجد

وسنلحظ بوادر أزمة بين الصديقين حين قرر طه حسين الاستقالة من جميع اللجان التي وضعه فيها الهلالي باشا لأن طه وجدها غير محققة للأغراض التي أنشئت من أجلها. وهو حين يفعل ذلك ظن أن الأمر لا يعدو اختلافا في وجهات النظر، سيتقبله الهلالي ضاحكا، يقول طه حسين في : ٨ نوفمبر ١٩٣٥.

أخي العزيز

ستدهش حين يصل إليك هذا الكتاب في بيتك من صديق يستطيع أن يتحدث إليك في كل لحظة لأنك عودته ذلك قبل أن تكون وزيرا وبعد أن كنت وزيرا.

ولكني مع ذلك أكتبه إليك لأني لا أريد أن أحدثك في موضوعه ، فقد ثقل هذا الحديث على نفسي، وإن لم يثقل عليك لأنك علمتني أن أحاديثي لا تثقل عليك مهما يكن موضوعها.

أكتب إليك راجيا منك في صدق وإخلاص رجاء صديق من صديق أن لا تغضب حين تجد في الوزارة استقالتي من اللجان التي أنا فيها، وألا تراجعني في ذلك. فأنت تعلم حق العلم أن أثقل شيء على نفسي وأبغض شيء إليّ أن تطلب إليّ شيئا فأجيب بلا. وأقسم لك أن العمل في هذه اللجان ثقيل جدا على نفسي يكلفني مالا أحب من الضيق ، ويضيع عليّ ما أنا في حاجة إليه من الوقت، ولست أحب أن أكذبك لأني لم أتعود ذلك ، فلو أن حالتي النفسية كما يقولون صالحة لما اعتذرت من عمل مهما يكن شاقا ثقيلا، ولكن هذه الحالة النفسية بعيدة كل البعد عن أن تكون صالحة، وما أحب أن أفصل ذلك، ولا أن أطيل القول فيها فأنت فيما أعتقد تعرفها حق المعرفة، وقد بذلت جهودا صادقة لإصلاحها فلك الشكر

خالصا متصلا.

ومهما أنس فلن أنس أنك رددتني إلى الجامعة وحملت الحكومة على أن تحاول إنصافي، وحملتها أيضا على أن تحتسب لي في المعاش أعواما قديمة، ومكنتني من السفر إلى أوربا، وهذا كثير لا يجحده إلا رجل غيري. ولكني كنت أنتظر أشياء أو أعلل النفس بآمال لا أراها مسرفة ولا غالية ، وإنما أراها متواضعة كل التواضع، فقد ظهر أني كنت أنتظر أكثر مما ينبغي، وأعلل النفس بآمال عسيرة التحقيق. فلم يبق إلا أن أنهض بالواجب راجيا منك ألا تكلفني مالا أطيق.

وأنا أرجو أن تقبل من صديقك المخلص تحية ملؤها المودة والحب. وأرجو بنوع خاص ألا تقرأ هذا الكتاب ضاحكا، وأن لا تتم قراءته ضاحكا، وأن لا تنظر إليه كما تعودت أن تنظر إلى بعض أعمالي ضاحكا. فإني أؤكد لك أني لا أكتبه ضاحكا ، وإنما هو الجد كل الجد.

غضبك يؤذيني

وقد قوبلت استقالة طه حسين من جانب الهلالي بغير ما توقعه طه حسين، الذي فوجئ بغضب الهلالي وثورته التي بلغت حداً أثر أبلغ تأثير في نفس طه حسين، لدرجة أنه يكتب خطابا إلى الهلالي فيرجئ إرساله بعدما تصاعدت الأزمة نتيجة ظروف ووشايات تراكمت، ليعود طه حسين مستأنفا خطابه بخطاب آخر مكمل له ليستدرك ما حدث محاولا إصلاح ذات البين في خطاب أدبي بليغ يعد من أروع ما قيل في عتاب صديق لصديق..

يقول طه حسين في: في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥

أخي العزيز

أنبئت أن ظنك قد ساء بي وأنك وضعتني حيث تضع غيري من الناس. فقدرت أني حين استقلت من اللجان التي تفضلت فوضعتني فيها، إنما قصدت ألا أتعاون معك في هذه الظروف الخاصة.

وإذن لي قبل كل شيء في أن ألا حظ أني كنت أعتقد أن مكانتي في نفسك أرفع من هذا ، وأن ما بيننا من الصداقة والإخاء أرفع من السياسة وأعراضها، ومن الوزارة وما يختلف عليها من الظروف.

وإني كنت أعتقد أنك سترى في هذه الاستقالة نوعا من الغضب أو لونا من تمرد الصديق أو نزولا عند حكم ضرورة شخصية قاهرة ، ولاسيما وقد طلبت إليك غير مرة أن تعفيني من هذه الأعمال لأدبر من أمري الخاص الذي تعرفه ما يحتاج إلى التدبير. ولكنك قد أعرضت عن هذا كله ، وأبيت إلا أن تضعني حيث تضع عامة الناس، فتظن بي الظنون ، وتسير بي سيرتك مع المتقلبين . فهذا في نفسه مؤلم حقا وأنت تعرفني أكثر مما أعرف نفسي، وأنت تعلم بعد الخبرة والبلاء أني لست جاحدا ولا منافقا، وأنت تعلم أنسي قد لجأت إليك في وقت الشدة، واستعنت بك على الضراء أكثر مما لجأت إلى أمس الناس بي، وأكثر مما استعنت بأقرب الناس إليّ.

فصدقني إن قلت لك إن سوء ظنك بي يؤذني في كرامتي ويجرحني في مروءتي ، وليس هذا بالشيء القليل .

وأني لأقسم بك وأنت أعز الناس عليّ وآثرهم عندي بعد زوجي وابني ، ما فكرت في سياسة ولا في مفاضية لوزارة المعارف، ولا لوزيرها، حين كتبت إليك ما كتبت ، وإنما فكرت في أن أقتصد من الوقت ما يمكنني من أن أكتب مقالة أو أضع كتابا استعين به على الحياة.

وأنت بالطبع حر في أن تصدق هذا القسم العظيم أو لا تصدقه، ولكني أعرب عما في نفسي مخلصا، وما أستطيع أكثر من هذا ، بل أنا أستطيع أن أقيم الدليل على صدق ما أنبئك به إن كان سوء ظنك بي قد انتهى إلى هذا الحد، فأسترد استقالتي من اللجان التي لم تعين لي فيها خلفا لتعلم أني أبعد الناس عما ظننت بي، وإني أرفع من أن أجلو صديقي للسياسة أو لما هو فوق السياسة.

دعني أذكرك مودتنا وأيامنا، فقد يظهر أن السياسة وأثقالها قد أنستك مكاني منك، وخيلت لك أني كهؤلاء الذين يخدمونك وزيرا ، ويتجنبونك إن بعدت عن الحكم.

ودعني أقل لك في صراحة الصديق للصديق، بل في صراحة طه لنجيب أني لم أخطئ معك إلا في شيء واحد وهو أني استقلت في وقت غير ملائم للاستقالة، وأنا نادم على هذا الخطأ ومعتذر منه ومستعد لإصلاحه إن أردت أنت، ما ومعنى هذا الإصلاح. فأما في غير هذا فلم أقصر في ذاتك، ولقد ساءت الظروف السياسية فسعيت إلى مقابلتك وطلبتها إليك مباشرة وبالواسطة فلم ترد لقائي.

ولست أعرف أني اخطأت معك غير هذه المرة ، ولكني أعرف أنك أنت ظلمتني أشنع الظلم، فأسأت بي الظن، وعاملتني معاملة عامة الناس، واتهمتني في نفسك بخيانة الصديق،

وما كان ينبغي لك أن تفعل هذا، فينبغي أن تكون الصداقة في نفسي كريمة كنفسك، أنفس من كل شيء وآثر من كل شيء وأرفع من أن تبلغها وشاية الواشين.

أسعى إلى مقابلتك فترفضها ، وأسأل عنك في التليفون فتعرض عن سؤالي. ويقول لك الواشون سخفهم فتسمع لما قالوا . وهبني أخطأت فمن الذي يمنع الصديق أن يصلح خطأ الصديق. تسير معي سيرتك مع سليم ثم ترى بعد ذلك أنك منصف ، وأني أنا المخطئ.

كلا— إني لأقهر نفسي وآخذها بحزم عنيف لأني أحبك وأوثرك وأكره أن أقسو في الكتابة إليك.

تعتب عليّ فيما يظهر بل فيما يقال أني اشتركت في احتجاج الأساتذة المصريين في كلية الآداب. فأحب ان تعرف قبل كل شيء أني لم أعلم بأمر هذا الاحتجاج إلا من مدير الجامعة حين تقرر وأصبح أمرا محتوما، وأصبح التخلف عنه شيئا لا يليق ، وأحب أن تعلم بعد ذلك أني لا أرى في هذا الاحتجاج وقد اشتركت في كتابته عملا شيئا يمس الوزارة أو يؤذيها ، وإنما أراه تقوية لها وتأييدا لسعيها في خدمة هذا البلد التعس. ولكنك أيها الصديق تسمع ما يقال وما أكثر ما يقال، تسمع لقوم غير ناصحين ولا صادقين، ولو سمعت للناصحين الصادقين لعلمت أمور تحسبها شاقة وما هي بالشاقة.

كم أحب أن ألقاك وأن أسمع منك أقسى الحديث، وأن أتحدث إليك أرق الحديث وأعذبه ، ولكنك تعرفني وتعرف أني لا أريد أن أسعى إلى وزير فأرد عنه، وإن كان هذا الوزير أخي نجيب. وحسبي أني أحسنت الظن بوزير المالية، فطلبت من سكرتيره أن يأخذ لي منه موعدا فلم يرد عليّ . وحسبي أن هذا لغص عليّ الحياة أياما، فلو قد سعيت للقائك ثم رددت عنه لبغضت إليّ الحياة تبغيضا.

إن كنت حريصا على مودتي، مستبقيا، فمر أحد كتابك بدعوتي إليك، وإلا فلن أكلفك ما لا تحب، ولن أريك وجهي الذي قد تكرهه، ولكني سأخلص لك دائما، وسأفي لك دائما، لأنك لا تستحق مني سوى الإخلاص والوفاء ، وسأحفظ في قلبي جرحا داميا دائما لأن الرجل الوحيد الذي كنت أراه الصديق الوحيد قد أساء بي الظن وعاملني كما يعامل عامة الناس.

وأحب أن تذكر هذا البيت القديم، فهو أصدق وصف لما بينك وبيني. وأنت حر في أن تقبل عليّ أو تعرض عني، ولكني أريد أن تقرأ هذا الكتاب وأن تحفظه عندك، فقد تصدقه الأيام، أما البيت فأنت تعرفه، ولكن لا بأس من أن أذكرك به ، وهو:

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى يمينك فانـــظر أى كف تبدل

طه حسين

أمليت هذا الكتاب منذ شهر كما ترى من تاريخه، ثم بلغتنى عنك هنات فلم أرسله إليك.

وأنا أرسله إليك اليوم لأن الناس أكثروا فيما يظهر أن تقع القطيعة بينك وبينى ، فتحدثوا بذلك وأكثروا، وسعى بعضهم عندك، وسعى بعضهم عندى ، ومشى جماعة من الأصدقاء إلى مدير الجامعة يطلبون إليه أن يجمعنا عنده وأن يصلح ما بيننا فأبى ، ولكنه قبل آخر الأمر أن يمر بى ثم يسعى بى إليك فأبيت . لا لأنى أكره السعى إليك بل لأنى أكره أن يتوسط بينك وبينى ثالث مهما يكن.

ولو قد دعانا لطفى بك إلى بيته لاعتذرت ولم أجب دعوته لأنى مازلت أعتقد أن ما بينك وبينى من المودة أكرم وأصفى من أن يسعى فيه الوسطاء. وأحب أن تعلم أنى لم أرسل إليك وسيطا، ولم أرغب أحدا فى أن يرضاك ، وأنى لست فى حاجة إلى أن ترضى عنى إذا لم يكن بد من وسيط لأبلغ هذا الرضى. فالذين تحدثوا إليك فى ذلك بين رجلين: متطوع للخير يسوءه أن يفسد ما بين صديقين، وفضولى يحب أن يسمع منك ومن ثم يذيع ما يسمعه بين الناس. وقد أنبئت أنك واجد علىّ لأنك تظن أنى قد عرضت بك فى مقال كتبته عن برنارد شو. أنبأنى بذلك مدير الجامعة ، فأذن لى فى أن أعتقد أن ما كنت فيه من جهد وعناء قد خيل إليك أنك المعنى بكل شئ ، وأنى أقسم بك وبابنى وزوجى ما فكرت فيك حين كتبت هذا المقال ، ولا فكرت فى أحد من الوزراء القائمين ، وما كان ينبغى لى أن أفكر فيكم، لأنى كنت أعلم من أمركم فيما يظهر مثل ما كنتم تعلمون. كنت أعلم أنكم لم تخالفوا الشعب ولم تتنكروا له ، ولم تقطع الوسائل بينكم وبينه ، وإنما كنتم تظهرون الشدة وتضمرون اللين، وتخاطرون بسمعتكم ، وتجدون مع ذلك فى إصلاح الأمر، واسترجاع الدستور.

كنت أعلم ذلك علم يقين، وكنت أكتمه على كل إنسان إلا على نفسى ، فلم يكن ينتظر أن أتهمكم بما ظننت أنى أعرض به فى هذا المقال. ولقد كلمنى مدير الجامعة فى ذلك فلم أخف عليه أمام عبد الرحيم أنى إنما كنت أعرض بالأحرار الدستوريين وأشباههم، فاضطرب لذلك وضحك ضحك من لا يدرى كيف يقول.

أما بعد فإنى أعيد ما قلته لك فى الكتاب الذى كتبته منذ شهر وهو أنى هممت أن أسعى إليك فأبيت أن تلقانى. وأزيد على ذلك أن الناس قد تحدثوا بأنكم ستستقيلون،

فوطنت نفسي على أن أسعى إليك منفرداً، وأخذت أدبر السعي إليك مع الزملاء. يعرف ذلك مدير الجامعة وسكرتيرها العام. ثم أقمتم في الحكم فحمدت الله وشكرت له هذه النعمة، يعرف ذلك رئيس الوفد. ولكني لم أسع إليك لأني لا أحب ولن أحب أن أتكلف السعي إلى الوزراء وهم يظهرون الغضب والإباء . وأنا أمثل دائما قول الشاعر القديم:

إذا أنكرتني بلدة أنكرتها خرجت مع البازي على سواد

وقد تسألني: لم أكتب إليك ؟ فأجيبك بأني أكتب إليك لأن غضبك يؤذيني، ولأن سوء ظنك يقض مضجعي، وأجيبك بأني أكتب إليك لأرجو منك ألا تقبل وساطة وسيط بيننا، مهما يكن فلن أقبل هذه الوساطة. ولست في حاجة إلى رضاك إذا لم يصدر عن قلبك عفواً. وإذا طلبت رضاك فإني أطلب حقاً لي ولا أستجدي شيئا أحب أن تمنحنيه منحا. ومازلت أعتقد أن لي عليك حقوقا ، وإن أول هذه الحقوق ألا تظن بي السوء ولا تسمع فيّ للوشاة . وإذا رثى أحدنا لصاحبه فإني أنا أرثى للصديق الذي يسيء الظن بصديقه ويسمع فيه كلام من لا خلاق لهم ولا غناء فيهم.

ثم أجيبك آخر الأمر بأني أكتب إليك لأني أحبك أكثر مما تحبني وأكثر جدا مما تظن. ومن يدري لعلك قد أبغضتني إلى حد لا تسمح معه لنفسك بقراءة هذا الكتاب أو هذين الكتابين اللذين أسرفا في الطول. وعلى كل حال فأنا أهدي إليك تحية صديقك طه. وأرجو أن ألقاك في يوم بعيد جدا لأنه سيكون بعد استقالة الوزارة لا قبلها ، إلا أن يدعو الوزير إليه أستاذا موظفاً، فإن طاعة الوزراء واجبة. أليس كذلك.

٢٦ ديسمبر ١٩٣٥

أحب دائما الاحتياط

وحين يعود الوفد إلى الحكم في وزارة ١٩٤٢ يشغل نجيب الهلالي وزارة المعارف، فيأتي بطه حسين معه مستشارا فنيا للوزارة ، ويضطر طه حسين في نفس العام إلى السفر مع أسرته للمصيف، وتشغله في سفره أمور منصبه الجديد وما تركه خلفه من أعمال يحاول أن يضع لها الحلول ، وهو لا يخفي ضيقه من عدم استشارته في بعض الأمور بينما هو مستشار الوزارة.. فيكتب أثناء سفره من:

فلسطين أكتوبر ٤٢

أخي نجيب باشا

ليس هذا كتابا رسميا. ومع ذلك فلن أتحدث فيه إلا عن شئون العمل والوزارة، فإن اشتغالك بجلسات مجلس الوزراء وبالمقابلات التي كنا نظن أنهما ستخف بعد انتهاء الدورة البرلمانية، فإذا هي تزداد كثرة وتعقيدا بأعمال الوزارة التي تختطف ما تستطيع في النهار، وتفرغ لها حين تستطيع في الليل.

كل ذلك لم يمكنني من أن أتحدث إليك هادئين في أشياء لم يكن بد من التحدث إليك فيها. فلتسعد الكتب إذا لم يسعد اللقاء.

ولست أرى بأسا من أن تقرأ هذا الكتاب وعلى وجهك ابتسامة فيها كثير من السخرية ولكن فيها كثير من المودة، وكذلك أقدر ابتساماتك لكل ما يصدر عني وإن لم أرها. فاقرأ هذا الكتاب في الوزارة إن شئت ، أوضعه في الحقيبة لتقرأه في البيت إن أحببت، فإنه لا يزيد إلا أن تقرأه وكفى:

١)لم أستطع أن اقترح من ينوب عني أثناء غيبتي لسبب بسيط وهو أني مستشارك، وما ينبغي أن أفرض عليك أو أن اقترح عليك مستشارا . فستستغني عن المستشار إذن أثناء غيابي، أو ستستبدل به من شئت. ولكن للمستشار أعمالا إدارية لابد من أن يصرفها مصرف، وكثير منها بسيط لا يبلغ أن يرفع إلى الوزير أو لا ينبغي أن يرفع إليه دون بحث، فيخيل إليّ أن شفيقا يمكن أن يقوم مقامي في تصريف هذه الأمور إن شئت. وإلا فاختر ألا تنيب عني غيره ففي ذلك إيذاء له لسنا في حاجة إليه.

٢)طلبت وزارة الشئون الاجتماعية الإذن لفرقتها التمثيلية بالعمل في الأوبرا في موعد حددته، وللفرقة ملعبها الخاص ، وكنت أريد أن أرفض الأوبرا، ولكن صلاح الدين بك ألح عليّ ، والظاهر أنه كلمك وأنك وعدته دون أن تأخذ رأي مستشارك. ولا عزاء في هذا فلفظ المستشار يجعل رأيه ثانويا ، ولكن الأوبرا قد ارتبطت مع بعض الفرق الإنجليزية، ولا يمكن نقض هذا الارتباط، ولن تكون الأوبرا حرة قبل ١٥ نوفمبر . وقد اتفقت مع صلاح الدين بك على أن نجتهد في إخلائها للفرقة ابتداء من يوم ١٢ نوفمبر . وسأترك التعليمات بذلك لسليمان بك نجيب، فأرجو ألا تغير هذا الاتفاق.

٣)وبمناسبة الفرقة التمثيلية علمت أن معاليكم وافقتم على أن الأستاذ محمد حسن مراقب

الفنون الجميلة مديرا للفرقة، ولم أعلم بشئ من هذا إلا مصادفة. ولكن رأيي في هذه المسائل ليس رأى المستشار فحسب. فمراقبة الفنون الجميلة تنبعني. ولو استشرتني لأشرت بغير ما تم الاتفاق عليه. ولكني أقدر أنهم طلبوا إليك ذلك حين كنت في رئاسة مجلس الوزراء يوما من الأيام فأجبت غير مكترث بالفرقة ولا بمديرها.

والأستاذ زكي طليمات مدير فني لهذه الفرقة، فعلى وزارة المعارف إذن وزر هذه الفرقة ليس غير. أليس يمكن أن تنقلهما جميعا إلى وزارة الشئون الاجتماعية لترقى بهما الفرقة التمثيلية إلى عنان السماء، وتدبر وزارة المعارف أمرها على خير مما هو مدبر الآن؟

٤)ومسألة أخرى ليست من شئون وزارة المعارف ولكنها من شئون الرئيس الأعلى للجامعة وقد تعمدت أن أتحدث إليك فيها تليفونيا صباح اليوم وعبد الوهاب عزام إلى جانبي. فالواقع أن في الكلية دعايات سخيفة، وأن شئون العمادة تأخذ دورا غير مريح. ولست أدرى إلى أى حال تنتهي شئون الكلية. ومن الحقق أن عنايتنا بالإسكندرية لا ينبغي أن تعرض جامعة القاهرة لخطر ما. ولست أشير بشئ ولكني أتمنى لو تأخر الانتخاب إلى ما بعد العيد، ذلك أجدر أن يتيح لنا فرصة للتفكير والاحتياط للعام الدراسي . فلا ينبغي أن يكون العميد في كلية الآداب ضعيفا متهالكا ولا سخيفا مضحكا. وقد كانت هذه الكلية دائما عنوان الجامعة. ويرجى أن تظل كذلك.

وأعود بعد ذلك إلى وزارة المعارف فأذكرك بما تحدثت إليك فيه من أمر مراقبة تعليم البنات . وما أشك في أنك ستجد له دواء رفيقا رشيقا ناجعا وقد تحدث إليّ متحدثون اليوم بالتليفون زعموا أنهم من أساتذة اللغة العربية بوزارة المعارف وأبوا ذكر أسمائهم واتهموا مفتشا يعمل مع الأستاذ جاد المولى بك اسمه حمزة تهما خطيرة ولست أحب الأخذ بالتشبهات ولا الاستماع للذين يجبنون فلا يذكرون أسماءهم، ولكن أحب دائما الاحتياط . وأول ما يجب من الاحتياط هو أن أظهرك على ما أعلم وقد فعلت.

أما بعد .. فإني أعلم أنك قد أذنت لي في السفر راضيا كارها معا، فأما رضاك فلأنك تحب لي ولأهلي ما ينبغي لنا من الراحة، وأما كرهك فلأن العمل كان يقتضي بقائي في هذه الأيام. وأقسم لو استطعت لبقيت ، وما أسافر رغبة في الراحة لنفسي. وراحتي آخر شئ أفكر فيه ، ولكن في الحياة أثقالا وواجبات يجب أن تحمل وأن تؤدى. ولسنا سعداء دائما باحتمال الأثقال ولا بتأدية الواجبات.

وأنا شاكر لك على كل حال إذنك لي بالسفر، معتذر إليك من هذا السفر نفسه ، مؤمل أن لا تجد في العمل مشقة أكثر مما تجد، واثق بأن من الغياب ما قد لا يخلو من خير. ومن يدري لعل من الخير أن يستريح الوزير من مستشاره أياما. فأرح نفسك من هذا الثقل على الأقل، واحتمل ثقل السيجارة والقهوة والموظفين والمقابلات.

وتقبل أصدق تحيتي وأخلص مودتي.

لا تيـــأس

ويأسى طه حسين لما آلت إليه الأحوال بعد أن ترك ووزيره الوزارة لينهدم كل ما حاولا بناءه معاً ولكنه مع ذلك يحاول أن يتسلح بالأمل في مستقبل يراه أفضل ، وهكذا يكتب إلى نجيب باشا الهلالي فيقول:

سيدي صاحب المعالي

أشكر لمعاليك هذين الكتابين الكريمين اللذين تلقيت أحدهما منذ أسابيع وتلقيت ثانيهما اليوم، وإني لأشعر بشيء كثير من الخجل لهذا الصمت الطويل الذي لزمته وكان من الحق عليّ أن اكتب إلى معاليك وأن أكثر الكتابة . وليس الذي منعني من ذلك كثرة العمل، فما كان العمل ليمنعني من أن أؤدي واجبا عزيزا عليّ محببا إلى نفسي ، وهو واجب التحدث إليك ، وإنما منعني من الكتابة إليك ما نحن فيه من سوء الحال واضطراب الأمر وفساد الجو المعنوي. وأحب أن تفهم هذه الألفاظ على معانيها الحقيقية.

فلو كنت في مصر لرأيت الناس جميعا وقد سئموا الحياة، وضاقوا بها وغلبت الحدة على أخلاقهم وأمزجتهم، فهم سراع إلى الغضب والشك، يسيئون الظن في الحق وبالباطل . ولو كنت في مصر لرأيت ما أبرمناه في السنة الماضية ينقض في هذه السنة. فقد تحول معهد الآثار الإسلامية الذي تفضلت بإنشائه في السنة الماضية إلى وظيفة يكسب منها الكابتن كوستوبل، فسمانة جنيه في السنة، واستغنى عن "توماس" و"موتي" لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد. وعدلت الحكومة أيضا عما تفضلت بتقريره في السنة الماضية من وجوب العناية باللغات الحية لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد ، وأنت تعرف معهد التمثيل وما أصابه، وتعرف أن الوزارة عدلت عما كنت قررته في السنة الماضية من قبول الفتيات في معهد التربية . فأما دخائل وزارة المعارف نفسها فلا أذكر لك عنه شيئا لأن حديثه طويل ثقيل،

كما أني لا أذكر شيئا عن فساد الخلق في وزارة المعارف وفي الجامعة نفسها، وتحول الناس إلى نوع من التجسس أقل ما يوصف به أنك لو شهدته لازدريت مواطنيك، ولملأت نفسك لهم احتقارا، واستصغارا لهذا كله لم أكتب إليك لأني أعرف أنك راض عن حياتك في أوربا، ومن القسوة أن أنغص عليك هذا الرضى بأحاديثنا البغيضة وحياتنا المملة الثقيلة. وأنا أعرف أنك تقرأ الصحف وتفهم بين سطورها كثيراً من الأشياء، ولكن الصحف مهما تكن لا تصور حياتنا كما هي. ولعلي لا أغلو إذا أكدت لك أني لم أر مصر في يوم من الأيام سمجة بغيضة تملأ النفس ثورة وإشفاقا في وقت واحد كما أراها الآن...)

(... ولكن أحب ألا تيأس من أصدقائك، وأن تعتقد أن ما بدأته في السنة الماضية إن وقف الآن فسيستأنف سيره غدا؟ وإن أصدقاءك الذين وثقت بهم أكثر شجاعة وأعظم قوة من أن ييأسوا أو يضعفوا أو يستكينوا، ولئن كرهنا فإنا لنبتسم للمستقبل، فكن مثلنا محبا لمصر مشفقا عليها واثقا بسعادتها وبأن مستقبلها سيكون خيرا من حاضرها كما أن حاضرها خير من ماضيها".

بفارغ الصبر

ويكتب الهلالي باشا إلى طه حسين، وهي من المرات القليلة التي يكتب إليه فيها ليخبره بأحواله التي ساءت مع آلام الأسنان وآلام الأصدقاء الذين ظهروا على حقيقتهم، ويشير إلى بعض جهوده لاستخلاص حقوق طه حسين من مجلة الكاتب المصرى، التي استقال من رئاسة تحريرها بعد اتهامها بأن مواليها صهاينة، وتلك قصة أخرى. يقول الهلالي:

١٦ شارع الماريشال اللنبي بمصطفى باشا بالرمل

أخي وعزيزي طه

وصلني خطابك منذ مدة وقد عاقني عن الرد عليك مرض شديد أصابني في الأسنان منذ شهر، وترتب عليه خراج كبير أتعبني فتحه وما يزال المرض باقيا، وخلع الأسنان مستمراً بعضها في إثر بعض.

وقد تأثرت بخطابك أيما تأثر ولكن أملي في طه أن يصمد للأحزان والمشاق وأن يؤمن بأنه كان وسيكون دائما غرضا لهذا الزمن وأهله.

وإن سألتني عن حالي فاعلم أنه لا يختلف عن حالك، فإني اجتاز أزمة معنوية شديدة

الأثر فى نفسى، وكم كنت أحب أن تكون بجوارى لتخفف عنى بعض بلواى، ولتعيننى فى أمرى . وإن أخوانك ليطمئنون عليك كلما قرأوا لك فى الأهرام مقالات ممتعة يرقبونها بفارغ الصبر.

وأما من جهة المحامى ليتون. (محامى ريموند هوارى صاحب مجلة – الكاتب المصرى–) فلم يحضر إلىّ للآن خلافا للاتفاق . وقد كتبت لرؤوف ليمر عليه بمصر ويستوضحه الحال، فإن لم يحضر فى القريب العاجل كتبت إلى الشركة من جديد مسجلا عليها ذلك وموعداً باتخاذ إجراء قضائى.

لعل مدام طه على ما أرجو صحة ومزاجا، كما أرجو أن تبلغها احترامى وتحيتى. بلغ سلامى للسيد مؤنس وزدنى من أخباره كما أرجو أن تبلغ سلامى وتحيتى للأستاذ فريد (سكرتير طه).

ودمت للمخلص

أحمد نجيب الهلالى

المتفيقهون

ويبدو أن ظروف طه حسين والهلالى فى تلك الفترة كانت متشابهة فى السوء ، ويحاول طه أن يلقى فى نفس صديقه روحا من الصبر من نفسه التى احتملت كثيراً من الآلام، مستعينا بآيات قرآنية، وأبيات شعرية، ومواقف تاريخية ، فيقول :

أخى العزيز:

"... وددت لو استطعت أن احتمل عنك ما لقيت وما تلقى من الجهد كله أو بعضه ولكن هيهات، ما أكثر ما نريد وما أقل ما نستطيع. وأنا أتمنى على الله أن تكون قد برئت من علتك وظفرت بحظ وافر من راحة".

"وقد أنبأتنى أنك تلقى أزمة معنوية حادة ، فهون عليك ، فليس فى حياة الناس ما يستحق أن يعرضك لأزمة معنوية عسيرة أو يسيرة.

"واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين آمنوا والذين هم متقون". ولعلى قد رويت لك الآية على وجهها، والمصحف قريب منك فاقرأ الآية فى آخر سورة النحل إن شاء الله.

أما أنا فقد انتابتني غمرة من غمرات السخط والضيق كدت أفقد فيها ما عودت النفس من صبر واحتمال، وأكبر الظن أن الأعصاب كانت مجهودة مكدودة، فتلقت هذه العوارض بشيء من الضعف.

وكان قائد من كبار قواد معاوية يرابط بجيشه عند حدود الروم يغير ويغار عليه، وكان إذا دارت عليه دوائر الحرب أحيانا، لا يضعف ولا يهن، وإنما يقول:

الغمرات ثم ينجلينه.

فقل مثله ولأقل أنا مثله أيضا: الغمرات ثم ينجلينه.

أما زوجي فصامدة للحياة معينة على أحداثها مفرجة بعض كروبها معتدلة المزاج، ترى وفيها الحق كل الحق فيما ترى أن الحياة قد أتاحت لنا خيرا كثيرا وامتحنتنا بقليل من شر، فلنعرف للأيام حسن بلائها عندنا، ولنجاهد حتى نكون أكفاء لما لقينا من الخير ولما احتملنا من الامتحان، والعاقبة للصابرين.

وأما مؤنس فقد أخطأه الحظ كما أخطأنا في هذا العام فأخفق في مسابقة الأجريجاسيون، (درجة علمية فرنسية تسبق الدكتوراه) لا في اللاتينية ولا في اليونانية ، اللتين كان يخشاهما، ولكن في الفرنسية التي كان يطمئن إليها، ومن مأمنه يؤتى الحذر، كما يقول المثل القديم. ولكنه والحمد لله فتى شجاع لم يضعف ولم يهن، وإنما قال كما يقول أبوه: الغمرات ثم ينجلينه..." "... هذه جملة أخبارنا وهي كما ترى ليست مشرقة ولا متألقة، كما أن أخبارك ليست مشرقة ولا متألقة، وكما أن الدنيا كلها ليست مشرقة ولا متألقة. وقد لقيت كثيرا من الناس تختلف أجناسهم وطبقاتهم وصناعاتهم فلم أجد منهم رجلا واحدا مشرق النفس متألقها. والناس مع ذلك يمضون كما تعودوا أن يمضوا ساهين لاهين. فلنمض معهم كما تعودنا أن نمضي غير ساهين ولا لاهين ، وإنما نعرف الحق ونحتمل أثقاله، ونعرف الواجب وننهض بأعبائه ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، فأما ما يكون بعد ذلك فعلمه عند الله وأمره إليه. واقرأ معي قول أبي تمام ، ولا تسخر على طريقتك من فعل جاء فيه آخره السين بعد الراء المشددة، وتوشك أنت في بعض عبثك أن تجعل السين صادا فتكون الكارثة. أما شعر أبي تمام فهو:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

"... وإني لأخشى أن أكون من الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: الا

أخيركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجالسا يوم القيامة: الثرثارون المتفيقهون"

وأنا أتمنى أن يجدك كتابي على أحسن ما أتمنى لك من راحة الجسم والقلب والعقل، فأما راحة الضمير فحظك منها موفور.

وأنا أهدي إليك تحيتنا كأصدق ما تكون التحية، وودت لو أحملها بعض ما يهدي النسيم إلينا من هذا الأريج الذي تستريح إليه الأجسام والنفوس جميعا.

طه حسين

خاص جدا

من سهير القلماوى إلى طه حسين

بدأت علاقة سهير القلماوى بطه حسين بعد أزمة حادة مع العميد الإنجليزى لكلية العلوم فقد حكت لى فى نوفمبر ١٩٨٨ فى حديث لم ينشر بعد ، كيف أن هذا العميد أطاح بأحلامها لدخول كلية الطب حيث كان من الضرورى أن تقضى السنة التمهيدية للطب فى كلية العلوم ولما كانت سهير فتاة والفتيات ممنوعات من دخول الجامعة آنذاك فضلا عن أن شهادتها الثانوية لم تكن مصرية فقد كانت خريجة مدرسة الأمريكان الثانوية للبنات" - كلية رمسيس الآن — ورغم توسيط سهير القلماوى لمدير الجامعة أحمد لطفى السيد الذى وعدها بعرض أمرها على مجلس الجامعة إلا أن عميد كلية العلوم هدد فى اجتماع المجلس بالاستقالة إذا وافقوا على قبولها فى كلية "العلوم" ، ولم ينقذ سهير من اليأس إلا أحد أقاربها الذى ذهب بها إلى طه حسين الذى اصطدم باللائحة التى تقول "يدخل كلية الآداب قسم اللغة العربية الحاصل على البكالوريا أو ما يعادلها" وكان لطه حسين قدرة فائقة على تفسير النصوص واللوائح بمنطق مقبول ومعقول، فالحاصل على البكالوريا يدخل فيها الطالب والطالبة ، و"البكالوريا وما يعادلها" تنطبق على الثانوية التى حصلت عليها سهير من مدرسة أمريكية، وفى الوقت الذى دخلت به سهير من باب اللائحة بتفسير طه حسين فقد دخلت أيضا من باب المغامرة التى أقدم عليها طه بالاتفاق مع مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، بالسماح بدخول الفتيات الجامعة من وراء ظهر الحكومة ومن وراء ظهر تقاليد المجتمع التى لا تسمح بذلك ، ليكتشف الجميع الحقيقة بينما فتيات الجامعة على أبواب التخرج، ولم تدخل قسم اللغة العربية فتاة بعد سهير القلماوى إلا بعد حصولها على الليسانس، وأثناء امتحانها فى الليسانس سألها طه حسين عن معنى كلمتى "الويل والثبور" .. فقالت له : إننى أستطيع أن أعرف معنى "الويل" أما كلمة "الثبور" فلا أعرفها. فقال لها ساخراً: لماذا يا هانم لا تعرفينها ألم تقرئى "ألف ليلة وليلة" ؟! وطلب منها قراءتها وقال لها : إنها ستكون موضوع رسالتك للدكتوراة . وقد سافرت إلى فرنسا وانجلترا للبحث والدراسة مع المستشرقين وفى المكتبات لجمع مادتها العلمية عن "ألف ليلة وليلة"، وفى أثناء رحلة البحث لم تنقطع صلتها بطه حسين من خلال الرسائل التى كانت أسلوبا للحوار بين التلميذة وأستاذها من قبل سفرها وأثناء سفرها وبعد

عودتها من السفر .. وقبل الدخول إلى نشر هذه الرسائل ينبغي الإجابة عن سؤال أراه ضروريا وهاما وهو : كيف وصلتني هذه الرسائل؟

وقد تأخرت الإجابة على هذا السؤال بأكثر مما يجب خاصة بعد الضجة التي أثيرت حول[1] كتابي "أوراق مجهولة للدكتور طه حسين" منذ حوالي سنتين والتي نشرت فيها لأول مرة خطابات متبادلة بين طه حسين والرئيس أنور السادات مما دعا إلى التساؤل : من أين للمؤلف بهذه الخطابات ، ثم تكرر السؤال مع ظهور كتابي "أيام العمر.. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم"، وزادت حدة السؤال بعد نشري للخطابات الخاصة بين النحاس باشا وطه حسين على صفحات مجلة الإذاعة والتليفزيون ، وترجع قصة حصولي على أوراق طه حسين إلى عدة سنوات مضت عندما تمنيت أن أعيش عصر طه حسين ، ولما كان ذلك مستحيلاً بحكم الواقع فقد رأيته ممكنا بمعايشة تلاميذ طه حسين الذين التقيت بهم ليصوروا لي حياتهم معه، ومنهم "سهير القلماوي، ود. الزيات، وقبل التلاميذ كانت توجد أسرة طه حسين – حفيدتيه سوسن ومني، وكانت "مني" هي التي تحتفظ بأوراق جدها طه حسين ورحبت بي بعد أن اطلعت على مؤلفاتي لتعهد إليّ بنشر تراث طه حسين ماعدا ما يسيء إليه وأسرته، ويشمل هذا التراث العام منه والخاص حتى إيصالات الكهرباء ، وإيصالات تبرع طه حسين للجمعيات الخيرية ، والمجهود الحربي، ومعونة الشتاء، وعقود القصص التي تحولت إلى السينما، وكراسة محاضرات أهداها أحد تلامذة طه حسين إليه سجل فيها محاضرات أستاذه، هذا فضلا عن محاضرات أخرى مكملة لما نشر في "الشعر الجاهلي"، وغيرها من الأوراق التي تصور حياة طه حسين كأدق ما يكون التصوير، واختار من أوراقه في ذكراه تحية له ولذكرى تلميذته، خطابات د. سهير القلماوي إليه"، وأهميتها تكمن من أنها تحكي تجربة أول فتاة مصرية تغادر الحدود من أجل بحث علمي، فضلا عن أنها من أولى الفتيات اللاتي دخلن الجامعة، وأول امرأة تحصل على الدكتوراة في الآداب وأول أستاذة في قسم اللغة العربية وأول رئيسة لهذا القسم، ليس هذا فقط بل ارتبطت التلميذة بالأستاذ بعلاقة اجتماعية فكان شاهدا على عقد زواجها، ولكن أهمية هذه الرسائل أيضا رغم لغتها العربية غير المحكمة وبساطتها التي لا ترقى إلى مستوى الرسائل الأدبية، تكمن في أن نشرها الآن حسم جدلا ثار في وقت قريب حول نوعية العلاقة بين طه حسين وتلميذته وهل تجاوزت تلك العلاقة مجرد كونها خطابات من تلميذة إلى أستاذها؟

سنترك الخطابات لتجيب على كل الأسئلة قطعا للشك باليقين.

---

(١) "الصور" ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩.

أقلـــــدك

الرسالة الأولى قبل سفر سهير القلماوى وفيها تكشف عن صفة رأت أنها مشتركة بينها وبين أستاذها طه حسين وهى كتابة المحاضرات فى آخر لحظة! ذلك رغم أن د. سهير فى حديثها معى عن طه حسين تشيد بحرصه على مذاكرة محاضراته التى ألقاها كثيرا من قبل، وكان ينصحها "باعادة قراءة المادة التى تحاضر فيها باستمرار على ضوء تغير القيم وما أنت فيه الآن فلا تدخلى الدرس قبل التحضير له" ولا يمكن لصاحب هذه النظرة أن يكون من أنصار الذين يقومون بالتحضير لأعمالهم فى اللحظة الأخيرة وإلا ما كان طه حسين هو عميد الأدب العربى، على أية حال لنقرأ الرسالة المكتوبة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٣٥.

أستاذى العزيز

كنت أحب لك أن تقضى هذا الصيف فى راحة تامة لا يعكر صفوها كتاب تكتبه أو جواب تقرأه منى، ولكن أردت أن تبقى غضبى فكتبت، وأحببت أن أعلمك انى لا يمكن أن أغضب من عمل كهذا فأجبت. وكيف أغضب وأنا أشد الناس كسلاً فى كتابة الخطابات وأنا أشد الناس تقديراً لأيام الراحة تلك التى يختطفها الإنسان خطفاً ويود فيها لو استراح من كل شئ حتى من نفسه إن استطاع.

تسألنى هل شق علىّ الصيف فى مصر وأى شئ لا يشق علىّ فى مصر وخاصة فى هذه الآونة التى تقوم فيها الأمم جميعا وتقعد ونحن وزعماؤنا كائنا فى دنيا أخرى . كأنما نتحدى العالم كله بلهونا وطمنينتنا .

أخاف أن أكتب مثلك فصلاً أدبيا، وأنا أحب أن أوفر جهدى لأكتب الآن محاضرة للراديو طال عليها التأخير، فلعل أكثر ما أقلدك فيه وأتقن تقليده هو كتابة المحاضرات والفصول فى آخر ميعاد بل فى آخر لحظة.

لنا حديث سيطول بلاشك عن الجامعة والأدب ، أرجئه إلى أن تعود، وأما الآن فأرجو أن ترفع احترامى وسلامى إلى السيدة الجليلة وإلى "جيجيت وكلود" وأن تقبل منى ومن والدتى وأختى وراجية وخالى سامى أخلص تحية وأصدق احترام. وإلى اللقاء القريب إنشاء الله.

سهير القلماوى

بكل صراحة

وحينما تسافر سهير القلماوى إلى باريس يصيبها الضجر وتتعجل العودة، وسوف يتكرر ذلك المعنى في معظم رسائلها بعد ذلك، رغم أنها كانت تتعجل البعثة وطه حسين يردها عنها بعد حصولها على الليسانس لكى تستكمل أدوات البحث لحين حصولها على الماجستير فى "أدب الخوارج" بتوجيه من طه حسين على وعد منه أن تذهب بعدها إلى فرنسا لمدة أربع سنوات، ولكنها لم تمكث إلا سنتين بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى اضطرتها للعودة مما اتفق مع رغبتها في العودة سريعا، تقول سهير القلماوى من:

باريس فى ٥ إبريل ١٩٣٨

أستاذى الكريم

لنا زمن لم نلتق على صفحات خطاب، فياترى ما هى أخبارك وكيف حالك وحال أسرتك التى أرجوالك وإياها كل السعادة والصحة.

كنت أعزم كثيراً على ان اكتب إليك ولكنى كنت أقول دائما وأى جديد سأخبره به ؟ وما أحسن أن يسكت المرء عندما يجد أن الكلام سيكون معادا مكررا. كنت أريد على الأقل أن اطمئن على أخبارك ولكن الوسيلة الوحيدة لذلك فيما تعلمت أخيراً أن أسأل الغير عنها فيجيب .

سأسافر غدا صباحا إلى بروكسل ومنها إلى برلين لقضاء عشرة أيام ثم أعود إلى باريس آخر هذا الشهر . وسترى من ذلك مبلغ تقدم تلميذتك فى مسألة الأسفار، فقد كنت أحجم منذ شهور عن السفر إلى بلد أعرف لغته فها أنا ذا أقدم على السفر إلى بلد أجهل لغتها، ولا تصحبنى إلا صديقة لى، بثينة الخمراوى، تعتمد علىّ أكثر مما اعتمد عليها بل الواقع أنها معتمدة علىّ تماما. فما رأيك فى كل هذا التقدم يا ترى وهلا أحسست أثرك فيه فما أنا إلا تلميذتك.

أرجو أن تكون أعمال آخر العام وكثرتها وتنوعها غير مرهقة لك ولا متطلبة كل وقتك. كما أرجو أن تنتهى منها عاجلا حتى تتمكن من المجئ إلى باريس فى أوائل الصيف أو أواخره لست أدرى لأنى أريد أن أراك فى باريس عند وصولك إليها ولست أعرف موعد مجيئك وأكبر ظنى أنك لا تعرف أنت أيضا.

لم أتعود أن أطلب منك شيئا كتابة ولكن ما السبيل وبيننا بحر وسفر أيام. أحب أن أفصل من البعثة في أوائل يونيو وأن يلتحق نجيب بها من الصيف حتى يتمكن هو من الحي هنا صيفا فيعتاد الطقس والأهل واللغة ويبدأ عمله أول العام غير مختمل لكل هذه المشاق فهل لي أن أطمع في هذا. إذا كان لابد أن أبين الأسباب فهي بكل صراحة أني لا أريد البقاء هنا أكثر من آخر سبتمبر وليس هناك أي داع أن أظل محسوبة على البعثة صيفا دون أي عمل ما دمت سأعود متى بدأ العمل إلى مصر. أليس هذا عدلا وحقا. فإذا أردت أسبابا أكثر إقناعا إداريا فإن الأستاذ "دي منبين" الذي جئت من أجله أولا مريض قد اعتزل العمل في السوربون وهو لا يقوى على أي عمل ولا أجوز أن أطلب منه أي مساعدة لأنه لا يستطيعها لا لمرضه فحسب بل لبعده عما أنا فيه كما أسلفت لك.

كلي أمل أن أراك في الصيف فنتحدث طويلا عما أريد حقا أن أكلمك فيه فهل يا ترى ستسمح لنا الظروف بذلك. أرجو ذلك كما أرجوك أن تقبل مني احترامي وإخلاصي وأن تبلغ السيدة الكريمة حبي وودي وأن تبلغ كريمتك أطيب تمنياتي لهما أن يهيئهما الله السعادة والصحة أولا وأن ينجحا في امتحاناتهما أشرف نجاح وأحسنه ثانيا.

تلميذتك

سهير القلماوي

التفاهم بلغتين

ومن لندن كتبت إلى طه حسين تتحدث عن الصعوبات التي لاقتها هناك فتقول:

لندن في ١٨ أغسطس ١٩٣٨

أستاذي الكريم:

وصلت أول أمس إلى اكسفورد بعد أن قضيت بها نحواً من أسبوع أرى كلياتها ومكاتبها وأبحث عن ألف ليلة وليلة في مكتبة "البودليان" أتريد أن تعرف أثر هذه الرحلة في نفسي إذا (هكذا كتبت كلمة إذن) فاسمع. المكتبة في منتهى القدم والبلى و... أظن أني لا أجد الكلمة التي تعبر عما شاهدته بها من عنكبوت ، وغرفة المطالعة توحي الموت أكثر مما توحي أي شيء آخر. على كل حال لم أجد بها أكثر مما كنت أنتظر.

وبدأت أمس المرور على ما في مكتبة المتحف البريطاني وكان أول وجه مألوف رأيته

هناك وجه الكابتن "كرسويل" وقد جلس أمامي ينظر إليّ كالأرنب الخائف لأنه فيما يظهر قد صور له ذكاؤه أنه رآني من قبل وإلى الآن لم أجد في فهارس المتحف من الكتب المطبوعة اكثر مما رأيت في مكتبة اللغات الشرقية هنا، أما المخطوطات فعبارة عن نسخ حديثة نسبيا من الف ليلة وليلة . وكفى الله المؤمنين القتال.

كل الذي يعزيني في أمر هذا البحث أني أعمل قدر المستطاع واجبا قد ألقي عليّ وقبلته لأسباب أخرى.

ترى إلى أين وصلت أنت في أبي العلاء وماذا كان من أثره فيك. أرجو ألا يكون قد بلغ بك الإذعان لأمر القدر إلى درجة أنك لا تريد أن تراني لأني سأذيع محاضرة يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ثم أسافر بعدها في أقرب فرصة إلى باريس لأراك رغم حرصك على أن أمضي عقدي مع محطة الإذاعة.

هل لي أن أطمع في أنك ترسل لي عنوانك في باريس في أقرب فرصة أم أني إذا سألت عنك في بلك مصر أصل إليك في سهولة.

إلى لقاء قريب إنشاء الله وأرجو أن ترفع احترامي وودي إلى السيدة الفاضلة وأن تهدي ولديك أزكى سلامي.

مع أطيب تمنياتي وأخلص ودي

سهير القلماوي

وفي رحلة العودة إلى باريس عن طريق البحر تكتب عن رفقاء الرحلة المزعجين ما بين مستظرف ومستخف لدمه فتكتب:

الاثنين ظهراً ٣٨/١٢/١٢

أستاذي العزيز

أنتهز هذه الفرصة فرصة هدوء البحر قرب برنديزي لأكتب لك فمن يدري ما الذي ينويه هذا البحر بعد ساعة.

إنه لم يهدأ إلا ساعات محدودات ، وامس (الأحد) من الساعة الثالثة ظهراً إلى نحو نصف الليل كان في غاية الفظاعة . كل العزاء أنه لم يبق إلا يوم أو أقل قليلاً وتنتهي رحلة البحر، أما رحلة البر فلست أدري ماذا يخبئ لي ، على كل حال "ربنا موجود".

سأصل إنشاء (هكذا كتبت: إن شاء) الله إلى فينيسيا غدا ظهراً (الثلاثاء) وسآخذ أول قطار إلى باريس والظاهر أنه سيكون الساعة السابعة والنصف مساء، وعلى ذلك فعندى سبع ساعات أرى فيها فينيسيا وهي أحسن من لا شئ.

المركب أنت أدرى بها . وأما أهلها فهم قلة من مختلف الأصناف. وكانت تجلس معى على مائدة الطعام سيدة أرمنية تعيش فى طهران وهى متزوجة من فرنسا، وهى فى طريقها إلى روما لتشهد حفلات الأعياد فيها، وستسافر إلى باريس فى أواخر يناير.

وقد تواعدنا على اللقاء بها ولست أعرف إن كان البحر يمحو وعود البحر ؟ على أى حال حبذا لو فعل لى ولها . وكان من أبادى هذه السيدة البيضاء علىّ أنها عرفتنى بشاب عراقى يسير فى نفس الطريق الذى سآخذه فقالت ليكون رفيقا لك فى السفر. كدت أقول لها : أن أسافر وحدى خير لى . ولكن الشاب كان واقفا أمامى متطرفا إلى أقصى حد. عسى أن يكون فى فينسيا متسعا للخلاص من رفقاء السفر. أكبر الظن أنه سيكون ميسوراً. وهذا شامى مسافر إلى "ليون" يستخف نفسه ودمه إلى أقصى حد، والظاهر أنه تاجر وقد انضم إلينا لأنه يعرف هذه السيدة الأرمنية من أين لست أدرى.

أهم صديقة لى على ظهر هذه الباخرة هى خادم الغرفة. ألمانية فيها كثير من غفلة الألمان وبساطتهم. ولما كنت فى فراشى يومين متتالين فقد كانت تأتى لتسأل عنى ولتغريني بالطعام مدعية أنه أحسن دواء لمرض البحر، وهى تتكلم قليلا من الإنجليزية وأقل من ذلك من الفرنسية، فباللغتين مجتمعتين نتفاهم تفاهما تاماً.

مالك وهذه "الدوشة" ! إن هى إلا نماذج مما يمر علىّ فى حياة البحر لعل فيها شيئا يعجبك، والآن إلى اللقاء فى خطاب طويل من باريس إنشاء الله. أملى أن يصلك هذا وأنت فى أتم صحة وأوفر سعادة وسلامى وتحياتى أرفعها إلى السيدة الكريمة وإلى أمينة وكلود.

سهير القلماوى

لست أقسم الريوانى

وتواصل سهير القلماوى حديثها إلى أستاذها طه حسين عن بعض متاعبها فى البعثة، وتؤكد نظرتها التى لازمتها طوال حياتها عن عدم اعترافها بشئ اسمه المرأة والرجل فالكل سواسية وكلاهما إنسان ، ولذلك تنظر بسخف إلى سخافة كتاب عن "حركة النهضة النسائية" تقول فى خطابها:

الثلاثاء ١٩٣٨/١٢/٢٠

أستاذى الكريم

أكتب لك هذا من تريانون حيث كان ينزل الأستاذ أحمد أمين هذا الصيف. وقد جئت إليه مؤقتا حتى أتفق مع السيدة التى كنت عندها ولكن البرد القاسى منعنى من أن اغادر غرفتى وأخيرا كلمتها اليوم بالتليفون واتفقنا على "العزال" غداً . وفقنا الله .

كان أمس واليوم من أفظع ما رأيت من البرد فالحرارة نحو ١٥ أو ١٨ درجة تحت الصفر والهواء قاس يلفح الوجه ويكاد يدميه حقا لا خيالا كما كان يقول شعراء العرب ، وعلى ذلك قررت عدم الخروج من الغرفة إطلاقا مهما يكن السبب، وكان المسيو مرسييه أعطانى كتابا قال عنه إنه سخيف وهو فعلا سخيف عن "حركة النهضة النسائية" لأستاذ اسمه أو اسمها "أولبزيو" وها أنا قابعة جنب المدفأة أقرأ وأقرأ.

محاضرات المسيو مرسييه (وقد حضرت منها أربعا إلى الآن) عبارة عن تابلوهات صور للمرأة فى ألف ليلة ، فصورة للعجوز فى "ألف ليلة" وأخرى للفتاة فيها وثالثة للأم وهكذا ، وهو يستعين بالنصوص كثيراً لرسم هذه الصور بالطبع. لا أستطيع أن أحكم إلى الآن ولكن الظاهر أنها ستكون مسلية إن لم تكن مفيدة. وقد كلفنى أن ألقى درساً عن الأخت فى ألف ليلة محتجا بأنى قرأت فى الموضوع أكثر منه، وبعد أخذ ورد لأنى كنت أوثر أن أوفر هذا الوقت لبحثى الشخصى قبلت هذا العرض على أن يكون بعد العيد على الأقل إن لم يكن بعد ذلك أيضا.

أما محاضرات الأدب المقارن فقد شاء الحظ السعيد أن يظهر فى صدرها متجليا كعادته فإذا المسيو "كاريه" مريض لست أدرى بأى شىء ، والذى يدرس مكان أستاذ (.....) أهيب بحظى السعيد أن ينزوى قليلاً فى هذا الموضوع عسى أن يكون الأستاذ عظيما.

لم أعمل أكثر من أن حضرت دروس المسيو مرسييه يومى الجمعة والسبت. وقد ذهبت أمس صباحا إلى الديوانى بك لأسلم عليه ولأعطيه شهادتى: الماجستير التانية بعد أن أحضرتها معى من مصر كى يرسلها إلحاقا بطلب كنت قدمته إلى السوربون أن يسمحوا لى بتقديم الدكتوراه دون الحصول على شهادات فرنسية. والطلب قدم فى مارس الماضى والرد إلى الآن لا أعرف أين هو ولا ما هو . لقد وعدنى الديوانى بك خيراً فى صدده وهو إن يكن غير مهم إطلاقا إلا أنه شكل لابد أن يستكمل ، وكنت أحب أن أفرغ منه.

وكان الديوانى بك معى فى منتهى الظرف إلا أنه استاء فجأة لما علم أنى لم أمر على

إدارة البعثات ..." ولو مرة واحدة . ولما قلت له أنه ليس لى أى عمل هناك قال لا. كان يجب على الأقل أن نسوى حسابك معهم قبل مجيئك فقلت له إن الحساب يسوى فى أى وقت . وعلى أى حال فقال : وماذا قال الدكتور طه ؟ فقلت: وما شأن الدكتور طه فى الموضوع. إن كان هناك خطأ فأنا التى أخطأت وأنا مستعدة لتحمل مسئولية هذا الخطأ مهما تكن . فإذا هو فجأة أمام خامستى التى لا أرى الآن فما أى سبب ، فإذا هو يتفجر ظرفا قائلاً : لا لا المسألة أبسط من هذا. كدت أقول ولما هى أبسط من هذا ففيم إذن كان كل هذا الاستياء. على كل حال لست أفهم الدكتور الديوانى إلى الآن وأكبر ظنى أنى لن افهمه. وهذه المسألة فى نظرى أنا أيضا أبسط من كل هذا.

عسى ألا تكون مرهقا وأن تكون صحتك وأخبارك كلها فرح وسعادة. مسلامى إلى اسرتك الكريمة.

سهـــير

فلتغـــفر لى

وتتحدث سهير القلماوى عن متاعبها فى المسكن وتراها "تجربة مضحكة"، وتتناول رحلتها مع أساتذتها الفرنسيين وتشير إلى كتاب بالفرنسية أراد طه حسين أن يكتب مقدمة عنه أو عن اسرته باللغة العربية، والتفاصيل فى رسالتها التى كتبتها من باريس فى :

٣١ يناير ١٩٣٩

أستاذى الكريم

أبدأ بتهنئتك بالعيد . فهذا أول يوم له عندنا ولست أعرف ماذا يكون عندكم لأن أهلى كتبوا إلىّ أنه أمس. على أية حال هذا لا يخفف شيئا من حرارة التهنئة والدعوات لك بما أنت به أعرف.

أما بعد .. فلك أن تضحك منى ما شئت فى هذا الخطاب لأنى مررت الأسبوع الماضى بتجربة مضحكة أغاظنى فى أول الأمر وأضحكنى آخره. فقد طفت الحى اللاتينى وما حوله من أحياء أربعة بحثا عن أسرة تأوى الذين لا مأوى لهم فى باريس، وبعد بحث أسبوع وتجربات وأسئلة وقفت إلى أسرة كل ظاهرها مغر جميل، وحزمت المتاع ونزلت فى الأسرة العزيزة، وإذا أنا لا أطيقها أكثر من أسبوع وإذا أنا أحزم أمتعتى من جديد وإلى الفندق ثانية . وكانت غرفتى أجرت بالطبع أثناء الرحلة السعيدة، وها أنا ذى فى غرفة مؤقتة من هذا

الجناح حتى تفرغ إليّ غرفة من الجناح الآخر حيث الهدوء والاستقرار . لست ألقى عليك شيئا من ضوضاء الأسرة واقتصادها الشديد في التدفئة والأكل وحتى الماء. ولكن يكفي أن تعرف أني أثناء "المعاينة" وجدت ساحة واسعة تحت نافذتي أو شرفتي ففرحت بها لأنها تنير الغرفة بينما هي بعيدة عن ضوضاء الشارع . أتعرف ماذا انتهت إليه هذه الساحة – هي لأربع مدارس مقسمة أربعة أقسام، و"الفسح" بين الدروس فيها لا تنقضي من الثامنة صباحا إلى الرابعة بعد الظهر.

وفي حماس "الفرف" ذهبت إلى الديواني بك ورجوته أن يجد لي حلاً في مسألة السكن، فوعد أن يعلن في الجرائد عن هذا . فطبعا لم أستطع إلا أن استبشر خيراً وأشكره.

ولقد حبب إليّ الديواني بك سكن الجناح الثاني من "تريانون" فهو كبنسيون تماما لأن الأكل في مطعم الفندق، ولأن الغرف فيه معدة حقا للتلمذة والكتب والقراءة ، ولكن لازلت أفضل الأسرة ولازلت مصممة على البحث وإن يكن في شئ من الهدوء بعد خيبة الأمل هذه وخوفا من ضياع وقتي لأني سأعود إنشاء الله وشئت أنت في يونيو إلى مصر.

ذهبت لزيارة الأستاذ دي مونبين في منزله لأجده اعتزل العمل في السوربون وهو في "المعاش" الآن، وحصل أن تم التفاهم المدهش بيننا وتبادل الإعجاب بالطبع، وحصل أن تنازل وأمضى لي الموافقة على موضوعي الرسالة، وهو سعيد جداً بمعاونتي وبأن تكون مكتبته تحت تصرفي إلخ.

(...) أما الموضوع الأول فهو موضوعات ألف ليلة وليلة ، وأما الثاني فهو مخطوط "جاتلا نوفر" ، والرائع حقا أنه كالمرة السابقة لا يفهم ماذا أريد بالموضوع الثاني ولكن أمضى الموافقة "لأنه تعود أن يفهم مني مالا يبدو للعين ظاهراً من أول مرة" أليس هذا فضل من الله كما قلت لك . وعلى ذلك أصبح عندنا الإذن الذي يسجل أني جئت إلى فرنسا واشتغلت.

أما محاضرة الأستاذ "مرسييه" فقد ألقيتها بالفرنسية إكراما لك أنت لأنك قلت لي على لسان "راجية" في المرة السابقة لما ألقيت درساً عند الأستاذ "ماسينيون" إنك كنت تود أن يكون بالفرنسية . ولست أذكر لك المدح الذي كان، فقد كان أكثره تورطا وذوقا. تصور أنه يمتدح فرنسيتي ثم حاول بعدها أن يقنعني بشئ مما قاله عن البحث نفسه.

أقرأ الآن كتابا اسمه "منزل" Une maison لمؤلفته M. vivan "فيفان" فهل هذا هو الكتاب الذي كنت أشرت إليه مرة أثناء حديث لنا في باريس. إن لم يكن هو فهل لي أن أطلب إليك أن تذكر لي اسم هذا الكتاب الذي وصفت فيه مؤلفته أسرة تريد أن يكتب

عنك أو عن أسرتك مثله، لست أستطيع تحديداً أكثر من هذا لأن هذا هو كل الذى قلته عنه، وفى طلب آخر عندك فانت تعرف أنك أنت الذى تطمعنى فى كل ما أثقل فيه عليك. وذلك أن مختار الفمراوى الشاب المتخرج من القسم الفرنسى عندنا من كلية الآداب والذى حدثتك عنه مرة أنه يريد أن يعمل الماجستير ويريد أن يكون أقرب ما يكون إلى الكلية ، والذى قلت لى فيما أذكر أنك تفضل أن تسعى له فى بعثة فرنسية فى باريس، من الوزارة ، لقد كتب إلىّ يرجونى أن أذكرك به، وأن هناك فى المكتبة فيما يقول وظيفة خالية يرجو أن ينقل إليها حتى يتمكن من الاتصال بالأساتذة والكتب لعمل رسالته.

أردت بكل حديثى السابق أن أبعدك عن كلية الآداب فقد عرفت من أخبار إضرابها ما ضايقنى من أجلك وها أنا ذى أتورط فى الكلام عنها فارجو أن تنسى ما قلت إن ضايقك منه شئ.

وصلنى اليوم العدد الثالث والرابع من مجلة "الثقافة" فلم أجد لك فى الرابع مقالاً فعسى أن يكون المانع "كالمعتاد" انشغالا عن الأهم بالمهم".

(وبعد أن تذكر د. سهير القلماوى عدداً من الأساتذة الذين يدرسون لها، تلفت نظرنا إلى أنه ليس كل ما هو أجنبى مفيد وليس كل أستاذ "خواجه" ينبغى أن نتعلم منه فتذكر أن الأستاذ "هنرى هيان" هو الوحيد الذى يفيد فى درسه أما الأستاذ "فان تويكان" فهو ملخص لما فى الكتب لا أكثر ولا أقل ، فالأفضل أن أقرأ نفس هذه الكتب فى الأدب الإيطالى والأسبانى وآثارهما "فيما أظن"، المعروفة فى فرنسا أو التى عرفت على الأصح".

وتختم رسالتها إلى طه حسين "لقد صدعت رأسك فيما أرى إذ وجدتنى فرغت من أربع صفحات فلتغفر لى هذا، ولأختم ختاما بُدء الساعة الحادية عشرة مساء. لك إخلاصى وتحياتى وسلامى إلى ابنيك واحترامى إلى السيدة الكريمة

سهير القلماوى

أقاوم بيننى وبين نفسى

وفى خطابها القادم يبدو تململ سهير القلماوى من بعثتها، واضحا، بينما هى تحاول التخفيف عن زميلتها فى البعثة ، فى الوقت الذى تكتم فيه آلامها ، فهى تنصح زميلتها وهى أولى بالنصح بالصبر والاحتمال، تقول فى خطاب ٢٧ فبراير ١٩٣٩:

أستاذى العزيز

لست أعرف ما للشياطين ومالنا فهى ساعة تخطف خطاباتك إلىّ ، وأخرى تخطف خطاباتى إليك. ولعل فى الأمر شيئا أجل مما كنت أقدر، لقد كنت أقرأ فى كتاب عن "الفوكلور فى الإنجيل" (لعلها تقصد الفولكلور) وكنت وصلت إلى نقطةمثعسة وهى البحث عن الشجرة التى أكل منها آدم أكانت شجرة الخلد أم شجرة الحكمة، والحية التى أخرجت آدم من الجنة ماذا كانت مهمتها وكيف تظهر فى الفوكلور عند بعض القبائل على أنها كانت مكلفة بتبليغ آدم سر الخلود وكيف احتفظت به لنفسها . بينما كنت غارقة فى هذا إذا بخطاب من الست راجية تقول فيه أثناء الثرثرة التى لا يباريها فيها أحد والتى تسمح لها بكتابة صفحات عن أتفه شئ ثم تنسى أهم شئ وهو إخبارى عن صحة والدتى إذا بى أجد وسط هذه الثرثرة خبرا هاما وهو أنى لم أكتب إليك أشكرك على كتابك الذى أرسلته إلىّ فتعجبت ثم شككت وأخيراً تأكدت من أنى كتبت لك ساعة استلامى الكتاب أشكرك وأخبرك أنى سأبعث إليك بنقد طويل، وكان هذا بالطبع قبل أن أقرأه، وأذكر أنى شكرتك فى نفس الخطاب على خطابك الوحيد (إلى الآن) الذى وصلنى. ثم كتبت إليك بعد ذلك خطابا آخر على الأقل إن لم يكن خطابين. فهل فى مصالح البريد حيات كحية آدم لا يحتفظن بسر الخلود وإنما بعد مضى هذه القرون أصبحن يقنعن بحفظ خطاباتى لأنفسهن؟

ومع ذلك فلأسجل لك شكرى مضاعفا لا على إرسال الكتاب فحسب ولكن على ما جنيت من ساعات أنفقتها فى قرائته. ولعل حيات البريد تقنع بخطابى الأول وتعف عن هذا حتى يصل إليك.

لعلك قد أخذت فكرة ما عما أنا غارقة فيه هذه الأيام. بحار واسعة لا نهاية لها من تافهات لذيذة إلى حد بعيد ولو أنى لا أريد أن أضيع فيها. وأمامى الآن بحث فى المجلة الأسيوية أعطاه لى الأستاذ مرسييه لأقرأه وعنوانه "هل الواك. الواك هى اليابان؟" ، والأستاذ مرسييه يورطنى لا فى القراءة فقط ولكن فى استجداء الكتب أو التقارير الصغيرة من أصحابها، فقد حرضنى أن أكتب للأستاذ "كانار" الأستاذ بجامعة المغرب لأطلب منه بعض مقالات نشرت له على حدة، واصبح من المتعذر أن أجدها فى المكاتب لأنها نشرت فى تقارير مؤتمرات ومجلات محلية" (وبعد أن تتحدث سهير القلماوى عن بعض المبعوثين وأحوالهم فى عجالة تتوقف عند ابنة أحمد أمين المفكر والمؤرخ الإسلامى المعروف صاحب موسوعة "فجر الإسلام"). تقول سهير القلماوى "وأما ابنة الأستاذ أحمد فهى مشكلة أيضا لأن كل شئ قد حللته لها إلا السكن وهو الأهم فقد مكثت عند أسرة وجدناها خير ما عندنا

بعد البحث ولكنها بعد يومين عادت لنا وطلبت أن ننقل لها "عزالها" . وكم من مرة تثور العاصفة للرجوع إلى مصر ثم يهدأ البحر في سينما أو متجر أو حتى في الهواء الطلق. والآن فقط عدت من إحدى هذه الفورات .

ولكن فيها من الأستاذ احمد أمين الشئ الكثير، ولذلك أحببتها وعملت وأرجو أن أستمر أعمل وأن انجح في أن أحبب إليها الإقامة في أسرع وقت في الأسبوع القادم أو الذى يليه لأن ثورات العودة إلى مصر خفت كثيرا جدا في الكم والكيف كما يقول والدها.

كانت صديقتي بثينة الغمراوى في حالة نفسية عسيرة من يومين وذلك لتقرير الأطباء بأنها لابد أن تعمل "ابنديسيت" (الزائدة الدودية) فرأيت أن أرفه عنها بأن ذهبت معها إلى "باليه رويال" ورأينا معا رواية ظريفة جدا فلحت في أن ترفه عنها كثيرا. واسم الرواية "أدركيني" ، وأنت أدرى بكل ما يضحك هناك وبنوع هذه الروايات.

وأما أنا فقد اكون احوج الجميع إلى من يرفه عني في هذه الحياة الجامدة الباردة التي احياها ، ولكن لعل الألم النفساني إذا ازداد كبت بعضه بعضا وإني لأضحك من نفسي كثيرا أثناء إلقاء المحاضرات لفاطمة أمين عن الحياة وكيف يجب أن نلقاها وعن طفولة التفكير في العودة إلى مصر ، بينما أقاوم بيني وبين نفسي هذا الإحساس وهذه الرغبة عشرات المرات كل يوم، ولعلها تجد في العودة إلى مصر فرجا ولكني لا أرى فيها إلا تغييرا لظاهر أمور الحياة ، وأما الحقيقة فليس الخلاص منها في أي مكان . لست أحب أن أسترسل في هذا الكلام بالفرار من الكلام عن نفسي. فلأختم خطابي إليك كما ختمته مرات من قبل لأبعث إليك بأشواقي وإخلاصي.

سهير القلماوى

كدت أجن

وبعد شكوى سهير القلماوى من ضياع بعض خطاباتها إلى طه حسين متهمة الشياطين تارة بخطفها، ومتهمة حية آدم بخطفها مرة أخرى تعود في الرسالة التالية لترسم في صدرها مربعا به أرقام لا معنى لها أسمتها الطلسم الذى تؤمن به وصول رسائلها إلى طه حسين ، ثم تتحدث عن أحوال بعض تلاميذ طه حسين وكيف يواجهون الأنباء التي تنذر باندلاع الحرب.

فتكتب من : باريس ٢٦ إبريل ١٩٣٩.

استاذى

وهكذا يزين الطلسم خطاباتنا كما تزين حطابات الملوك شاراتهم فتصبح مراسلتنا فى مأمن من الشياطين.

لى شهران تقريبا لم أكتب لك فيهما مع أنى انتويت الكتابة مرات فى مناسبات عدة ولكن كنت أشفق عليك مما أنت فيه من مشاغل وأقول لنفسى ماذا عندك من جديد تقوليه فلا أجد شيئا فأتشجع بذلك على الصمت

انتهت دروس الأستاذ مرسييه منذ أوائل هذا الشهر وقد ذهب إلى جنوب فرنسا ولن يعود قبل منتصف يونيه فيمكث نحوا من عشرين يوما فى باريس قبل أن يسافر فى أجازته. ولذلك ربما قابلته فى يونيه قبل عودتى إلى مصر وربما عرضت عليه مشروع رسالتى أو مواضيع رسالتى على الأصح لعل له فيها رأيا وإن كنت إلى الآن لا أعرف من أمر هذا المشروع شيئا.

لقد قلت لك عن الموضوع الذى اتفقت عليه مع الأستاذ دى منيين وفى ظل هذا الموضوع العام سأضع مشروع المواضيع التفصيلية . هذا طبعا لا شأن له جديا فيما أعمل معك فى مصر لأن الموضوع الذى أخبرته مع الأستاذ دى منيين وما سأعرضه على الأستاذ مرسييه ليسا إلا ناحية من الموضوع العام قد أعمل فيها فى المستقبل إذ لا قدر الله واضطررت أن أتقدم هنا لشهادة وهذا ما أستبعده ولكنى أعمل هذا لأنه لا يمكنى أن أشتغل مع هؤلاء الأساتذة إلا على أساس هذه الفكرة. فلأسر فيها إلى أن يمن الله علينا بالفرج. وليس هذا السير ضارا فى شئ بل هو نفع كله إنشاء الله.

ماذا تركت عندك أنباء الحرب من آثار؟

كم كنت أود أن تكون هنا لترى عجبا فى شخصيات تلاميذك من جراء إشاعات الحرب. كم هم مضحكون حقا فيما يفكرون فيه وفيما يضطربون من أجله . على أية حال لقد هدأ الموقف قليلا وأظن أنك مقدم على السفر إلى فرنسا كعادتك هذا العام أيضا. أما أنا فمن يدرى أين أكون إذ ذاك.

من أخبارى الهامة هذه الأيام مشكلة ضرس العقل وما يستتبعه من حالات . فقد كدت أجن منه نحوا من شهر، وأخيراً ثارت الشجاعة التركية الكمينة فىّ و"قلعته" من أسبوع. ولست أحدثك عن الآلام بعد هذه العملية الجراحية الخطيرة وإنما يكفى أن أخبرك أنها ألزمتنى الفراش أسبوعا ولا ينتظر أن أكون فى حالة جيدة قبل أسبوع آخر أو أقل قليلا.

وأما المزاج الشريف فقد لطف الله بمن حولى وأنزل عليهم من العطف والحب كمية وفيرة جعلتهم يحتملون هياجى وتوتر أعصابى.

وصلتنى من جمعية "الفوكلور" فى إنجلترا نشرة عما ينشرون من "مجلات" وكتب ، ومن هذه الكتب ما هو طريف ففكرت أن أطلب منك أن تفكر فى أن تشترى مكتبة الجامعة شيئا من هذه المؤلفات وأن تشترك فى مجلة الجمعية . لأنى لن أستطيع أنا إلا الاشتراك فقط وهذا بالطبع ما يسمح به الجيب المتواضع الذى تأثر أيما تأثر بنصائحك الكريمة للست الوالدة فى العام الماضى. ولكن لا تخشى شيئا فإننا لم نفقد إلا اليسير من الأثر. وسنشتغل الأساليب "إياها" منذ الشهر القادم إنشاء الله.

وصلتنى أخبار أن أمينة ستقوم بتمثيل رواية فى الأوبرا فى حفلة الكلية فإن تكن الأخبار صحيحة، فماذا كانت يا ترى؟

كم آسف أنى لم تتح لى فرصة رؤيتها . أرجو أن تكون راضية عن نفسها بعد التمثيل وأرجو أن تكون أنت راضيا أيضا وإن كان هذا الرجاء الأخير أصعب.

أظن أنه قد آن لى أن أقدر ما أنت فيه من عمل وأختم خطابى برجائى أن ترفع إلى السيدة الكريمة تحيتى وسلامى وأن تقبل منى إخلاصى وحبى، ودعواتى أن تكون أمينة وأن يكون كلود فى أتم صحة. وأوفر هناء.

سهير القلماوى

مضحكات مؤلمة

ولا تزال سهير القلماوى طالبة البعثة تردد رغبتها فى العودة إلى مصر لا فى أجازة بل العودة الدائمة، وكيف أن رسالة الدكتوراة بالنسبة لها كانت فى البداية تسلية، ثم صارت واجبا، فتكتب من باريس فى ٧ مايو ١٩٣٩:

أستاذى الكريم

لست أعرف فيم أنت غارق هذه الأيام ولكنى أعرف أن خطابى سيكون على أية حال نغما غير الذى تسمعه حولك وسيكون نوعا من التغيير.

كانت ظروفى فى العمل هذا العام على غير ما كنت أتمنى فقد شغلنى الأستاذ مرسييه أكثر مما قدرت وشغلت شواغل أخرى أنت أعلم بها، وأعلم بأنى لا أحب أن أذكرها ، ثم

جاء ضرس العقل فكان مسك الختام كما يقال في ألف ليلة، ولذلك تجدني هذه الأيام أحاول تعويض ما فات بكل ما أستطيع لعلي أظفر بشيء لا يغضبك حين أعرض عليك ما طلبت مني وما أنجزت من هذا المطلوب.

أشار عليّ الدكتور الديواني بك من يومين كما أشار على كل أعضاء البعثة أن نرسل إليه طلبا أن تسمح لنا الوزارة بقضاء جزء من أجازة الصيف بمصر ولما أخبرته بأن ظروفي غير هذه وإني أريد أن أرجع لا في أجازة ولكن على ألا أعود . قال لي : إن هذا لا يمنع وأن وجود الإذن معي يكون آمن فإذ لا قدر الله وقامت حرب أو اضطررنا إلى السفر السريع فإن الإذن يكون معنا دائما . ولم أجد في كلامه إلا المعقول، فكتبت هذا الطلب، وكنت أحب أن استشيرك قبل كتابته لولا أن وجدته أتفه من كل هذا.

ترى ما ذا أعددت لي من مشاريع ومتى ستأذن لي بالرجوع إلى مصر. أنا لا أطلب شيئا وأنا أترك كل هذا لتقديرك لأنك عالم بكل ظروفي.

أليس عجيبا أن أبدأ العمل في الدكتوراه لمجرد التسلية فإذا بي الآن لا أقدر أن أفكر في عمله إلا وقلت لما أنتهي منها أعمل كذا وكذا كأنما قد أصبحت شيئا لابد من أدائه أولا، والفضل في هذا يرجع إليك بالطبع وإن كانت هناك أفضال أكثر من هذا.

لست أكتب إليك بها، وإنما سوف أحدثك عنها في أول فرصة نلتقي . أين سيكون هذا؟ لست أدري وأظنك أنت ستقول ولا أنا .

وأخيرا استقرت إبنة أستاذي أحمد أمين ، فإن لها في هذا البيت الذي هي فيه شهراً وهذه أقصى مدة أقامتها في مكان واحد. فلم يكن لها خمسون يوما يوم أحصيت لها عدد الأمكنة التي سكنتها فإذا هي تفوق الخمسة . ولولا أن والدها أرسل إليها أن تمكث حيث هي لكانت الآن في مكان سابع أو ثامن لست أدري لأنها فعلا كانت متفقة (بل قد اتفق لها الديواني بك على هذا المكان) فإذا خطاب والدها يضع حداً لهذا التجول والتقلقل.

أظنك الآن لا تخاف الحرب مثلي فقد هدأت الحال ولاشك وأصبح الأمل في السلم قويا.

ماذا يفعل السيد كلود، إني أتمنى له أبهر نجاح. كما أتمنى أن يسهل الله له كل أمر بعد في سبيل إعداد مستقبله المجيد إنشاء الله. وأمينة ماذا هي فاعلة في امتحانها ؟ إني أتمنى لها أطيب التمنيات.

لقد ضقت ذرعا بهذه "اللوكاندة" وأصبحت لا أطيق السكن بها، وليس عندي وقت للبحث فربما أذهب إلى مصيفي كما يدعونها أي "اللوكاندة" التي كنت بها في سبتمبر

الماضي. وقد تكون "اللوكاندة" مظلومة فيما أحسه الآن نحوها ولكن ما العمل.

ترى ماذا في جو مصر السياسي من مضحكات مؤلمة. إن الأخبار تصلنا مشوهة إلى حد ما لأن الجرائد المصرية وخصوصا الأهرام وهو أكثر ما نقرأ هنا لم تصل بعد إلى التجرد من كل أثر ضار بالمصلحة العامة.

اخاف ان أبدأ أحدثك فيما لا تحب أن تسمع"

ولا تصرح سهير القلماوى بمقاصدها إلا أن تحدث طه حسين بأحوال تلاميذه المضحكة كما ذكرت من قبل وهو لا يريد أن يسمع عن تلاميذه ما يسوؤهم.

البلغيشي

وتواصل سهير القلماوى تسجيلها لمشاعرها بين اليأس والأمل في الوقت الذى تحاول فيه التسرية عن غيرها كعادتها، وغيرها هنا هو د. طه حسين نفسه الذى كان قد أعيد انتخابه عميدا لكلية الآداب في مايو ١٩٣٩ غير أن حكومة محمد محمود باشا وقفت دون إعادة تعيينه مما اضطره للاستقاله ليتفرغ للعمل كأستاذ ، وهو ما تراه تلميذته خيراً بل وتهنئه عليه ، ولها أسبابها في ذلك ، فتكتب إليه من باريس ١٧ مايو ١٩٣٩:

أستاذى الكريم

لأول مرة أكتب لك خطابا ولست أعرف لماذا أكتبه . ليس عندى شيئا معينا أقوله لأن الأقوال والأفكار مزدحمة مختلطة فى نفسى.

عرفت اليوم أخبار كلية الآداب الأخيرة. فاود أول قبل كل شئ أن أهنئك من أعماق قلبى لأنك ستوفق (إنشاء الله) إلى حد بعيد في أن تظفر لنفسك ولما هو أهم بالوقت الذى كان يضيع منك في أشياء أقل ما يقال فيها أنها لم تكن تستحق ما كنت تبذله فيها. ثم أردت أن أعبر لك عن فرحى بأنه ستتاح لك فرصة (إنشاء الله) تعوض فيها شيئا مما جنته هذه السنوات الأخيرة على صحتك . ولكن ولست أدارى ، ولا أكتمك شيئا، كم كنت أود ان تصل إلى هذه النتائج بطريق أحسن من هذه، طريق كلها فرح وبشر وليس فيها هذه الابتسامة الساخرة التى أكاد أراها مرسومة على وجهك والتى تريد بها التعبير عن شعورك نحو أمر لا يستحق منك أكثر من الاستخفاف ولكنه مكدر لاستحقاقه هذا الازدراء.

ويمتد بنا التفكير من المسائل الشخصية إلى العامة، ويرجع بنا التفكير حيث بدأنا –

وماذا بعد كل هذا ؟ سنعود على مصر . وأكاد أغرق من تفكيري في بحار من ظلام اليأس ولكني أحس آخر الأمر إحساسا حقا أن هذا كله سطحي، وأنه في أعماق نفوسنا لا يزال وتر الأمل ينبض قويا نشطاً.

إن الحياة لا يمكن أن تكون أملا حلواً كلها بل إن الأمل لا يحلو إلا بجانب هذه الظلمات من اليأس.

أراك تبسم من هذه الفلسفة الساذجة التي نعرفها كلنا ولكنها تغيب عنا أحيانا. بل أراك تكاد تنطق "ماذا تحاول أن تقول آخر الأمر. ألم أقل لك في بدء الحديث بيننا أني لا أريد أن أقول قولا معينا وإني أحس إحساسات غامضة مضطربة تدفعني إلى الكتابة إليك، وتقف عند هذا الحد فلا تبين لي ماذا أكتب.

دعنا من هذا كله ولنتحدث في الأهم: ماذا انتويت لهذا الصيف وأي مشروع أعددت للمؤلف المجيد الذي سيخرج في أكتوبر القادم إنشاء الله. أظنك لم تفكر بعد حتى في عنوانه.

أما أنا فغارقة في ألف ليلة أحاول أن أعوض ما قد فات ولعلي أوفق آخرا إلى أن ترضى عن مجهودي حينما أعرضه عليك.

أكاد لا أحضر شيئا من الدروس الآن إلا للأستاذ ما سينيون الذي يصمم على إلقاء دروس إلى الآن ولست أصف لك ما أعاني من سماع هذه الدروس ، فلعلك تقدر شيئا منه عندما تعلم أنه يلقي درسين من خمسة عن مؤلف مراكشي فيما أظن أو مغربي في أدب التلميذ، تأليف تعس، يدعى "البلغيثي" ، وهو لا يعمل في درسه أكثر من أن يختصر فصول الكتاب فصلا فصلا وكثيرا ما تكون محاولة الاختصار أثناء الدرس نفسه، هل أصدعك بشيء مما في الكتاب أم أبق هذا مع كثير أريد أن أطيل الحديث معك فيه عندما نلتقي.

لست أعرف إلى الآن شيئا عن هذا اللقاء، وأظنك أيضا لا تعرف . ولكن هل لي أن أطمع في أن تخبرني متى عرفت ؟ وهل أبالغ في الطمع فأطلب أن أعرف متى تريدني أن أعود إلى مصر.

وأخيراً أصطنع الذوق فأختم خطابي. ولكن بعد أن أبعث إليك بأحر تمنياتي وأخلص دعواتي أن يجدك هذا الخطاب في أتم صحة وأوفر هناء. أرفع تحياتي الصادقة إلى السيدة الكريمة، وأبعث تمنياتي بنجاح باهر لكل من أمينة وكلود، ولك مني أصفى ود وأوفى حب.

تلميذتك

سهير القلماوي

لا أبرح العشة

وتعود سهير القلماوى لتوافى أستاذها بأولى خطاباتها من القاهرة بينما هو يقضى مصيفه فى الخارج، لتعرف على الفرق بين حالها هنا وحالها فى الخارج ، فتكتب فى ١٢ اغسطس ١٩٣٩:

أستاذى الكريم

كان هذا الخطاب أن يكتب من زمن بعيد ولكن شاءت الظروف ألا أكتب وذلك خوف أن أعكر عليك صفاء راحتك بما كنت فيه. تصور أنى قضيت فى باريس نحو شهر بعد آخر لقاء لنا. وأن هذا الشهر كان أكثره فى الفراش . وما كدت أحس شيئا من الصحة حتى بادرت بالسفر وها أنا ذى فى القاهرة لى أربعة أيام والحر لا يمكن أن يطاق. كم أود أنى كنت معك فى الجبل".

وتضيف "ولقد أصبحت الآن لا أطيق الوحدة التى كنت أستطيبها ، وليس لى صبر على قراءة شئ حتى القصص، أربعة صفحات من أى كتاب كافية أن تضايقنى.

ليس عندى أى أخبار فقد عدت إلى أهلى فوجدتهم بحمد الله فى صحة جيدة وإلى الآن لم أخرج من منزلى قط".

ومن المصيف تكتب سهير القلماوى إلى طه حسين فى المصيف أيضا، فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٠ لتواصل التعرف على حالها بعد حوالى سنة من عودتها فتقول :

أستاذى الكريم

تحية واحتراما . من أسبوع وأنا أريد أن أكتب إليك فى كل يوم ، وفى كل يوم يتغلب علىّ الكسل العظيم الذى يأبى إلا أن آكل وأنام، فقد كنت صممت على ألا أبرح القاهرة ولكن شاءت ظروف الأسرة أن أبرحها فى ظرف ساعات لأمكث هنا إلى أن يشاء زوج أختى أن ينهى أعماله ويعود إلى رأس البر . ولى اليوم ثمانية أيام ولست أدرى متى سأعود ولكن الذى أدريه بعد أن أنذرتُ إنذارا نهائيا أن موعد هذه العودة لن يتأخر عن أوائل الأسبوع القادم.

آمل بعد عودتى أن ينجلى هذا الكسل عن نشاط عظيم أنا واثقة من أنك ستتعب فى تنظيمه ولكنى واثقة أيضا من أنه سيخرج شيئا ما على كل حال.

سألت عن الأستاذ أحمد أمين وأسرته فعلمت أنه عاد نهائيا إلى القاهرة.

أكاد لا أبرح العشة وأخاف أن أقول إني أكاد لا أبرح السرير كسلاً أو تقديراً لمساهج رأس البر. ولولا أطفال أختي وضجتهم لكنا إلى الأموات أقرب.

ترى ما وقع الأخبار الدولية عليك وماذا ترى فيها، أما أنا فإني أنتظر خير النتائج أو شرها لا في خوف ولا في اطمئنان وإنما في شعور هو إلى حب الاستطلاع أقرب".

ثم تنهي خطابها بالتحية والسلام كالمعتاد.

وسنخرج من هذه الرسائل متأملين لسهير القلماوي التي لم يكن يرد عليها طه حسين إلا قليلا ولعله قصد أن تخوض تلميذته التجربة لتعلمها الحياة بأكثر مما تتعلمها في الكتب.

جامعة

طه حسين

أحمد أمين
صاحب موسوعة فجر الإسلام

سندخل الآن مع طه حسين إلى الجامعة لنراه ونرى زملاء له وتلاميذ تجاوزت شهرتهم أسوار الجامعة وسيكون لنا معهم شأن خاصة في حياتهم الجامعية واتصالهم بطه حسين داخلها وخارجها، وهذه العلاقة تمثل جزءا من تاريخ الجامعة المصرية العريقة في طورها الأول حين كان مجلس الكلية ومجلس الجامعة يضم أساتذة مصريين وإنجليز وجنسيات أخرى كأنه عصبة أمم كما يقول أحمد أمين، وما تزال تحضر شيئا فشيئا حتى صارت الأغلبية للمصريين، وسنبدأ بالحديث عن المثلث الذهبي بالجامعة المصرية: طه حسين، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي الذين اتفقوا على كتابة تاريخ الإسلام: عقليا، وسياسيا، وأدبيا، فقاموا بما لم تقم به وزارات بأكملها بعد ذلك.

يحدثنا عميد الأدب العربي طه حسين عن أحمد أمين فيقول : "كان المرحوم الدكتور أحمد أمين يعمل بالقضاء الشرعي، وكان يضيق من هذا العمل، لأنه كان يضطر إلى الذهاب إلى بعض المناطق النائية، وقد سعيت لنقله إلى كلية الآداب" يستكمل أحمد أمين الصورة من جانبه عن أحداث تلك الفترة التي صار فيها عضوا من أعضاء هيئة التدريس الذين عمل طه حسين على أن يقوى بهم الجامعة ، فيقول(*):

أذكر أنه قد دق جرس التليفون يوما، وإذا المتحدث الدكتور طه حسين بك يعرض عليّ أن أكون مدرسا في الجامعة المصرية وكنت قاضي محكمة الأزبكية الشرعية، فاستأذنته أن أفكر ، وذرعت الشارع الذي أسكن فيه ذهابا وجيئة مرارا أفكر: هل أقبل أو أرفض وأخيرا قبلت.

كان ذلك في سنة ١٩٢٦ ، وكلية الآداب إذ ذاك في قصر الزعفران بالعباسية، وكان عدد طلبتها كبيرا، إذ كانت تضم أيضا فوق طلبة كلية الآداب، السنة الأولى من كلية

(*) الهلال يناير ٥٩.

الحقوق.

وعهد إليّ أن أدرس للسنة الأولى، وقد تعبت جدا إذ كانت المحاضرة تلقى على عدد كبير، واضطر في ذلك إلى رفع الصوت ما أمكن وإلى مجهود كبير في ضبط الفصل ما أمكن، وقد درست لهم درسين، درسا في البلاغة اعتمدت فيه على كتب البلاغة الإنجليزية ، وكتب البلاغة العربية ، والتوفيق بينهما ، ودرسا في الكامل للمبرد. وكانت الكلية كالأزهر في عدم الصلة الكبرى بين الأساتذة والطلبة، وعدم التوفيق في الحضور والغياب، فمن شاء حضر ومن لم يشأ لم يحضر، ولم أكن ألمح في هذا العدد العديد أي فتاة مصرية إلا بنات المرحوم الدكتور على إبراهيم رامز، فإنهن كن من أم ألمانية ، فكن بذلك نصف مصريات.. وكن يحضرن مع النساء والفتيات الأجانب دروس الأدب الفرنسي في الجامعة.

ويضيف أحمد أمين متحدثا عن هذه الفترة المجهولة في حياة الجامعة المصرية:

ولم أكن بحكم منصبي عضوا في مجلس كلية الآداب إذ كنت مدرسا، والمجلس قاصر على الأساتذة المساعدين ، والأساتذة من الأجانب والمصريين، وبعد ذلك رقيت إلى أستاذ مساعدفأستاذ فعميد فأمكنني الاتصال بالمجلس.

وكان المجلس كأنه عصبة أمم فيه الألماني والفرنسي والبلجيكي والإنجليزي والمصري، وكان العميد الأستاذ "كويجوار" البلجيكي.. وكانت المسائل المهمة التي تعرض تترجم عادة من الإنجليزية إلى الفرنسية والعربية، ومن الفرنسية إلى الإنجليزية والعربية ، ومن العربية إليهما، وما تزال تقصر شيئا فشيئا حتى كانت الأغلبية من المصريين.

وكان يتقاسم الرئاسة في أقسام الكلية جنسيات مختلفة ، فقسم الفلسفة مثلا وقسم اللاتيني، يتزعمه الفرنسيون ، وقسم اللغة الإنجليزية يتزعمه الإنجليز وقسم التاريخ يتزعمه البلجيكيون ، وقسم اللغة العربية يتزعمه المصريون ، وهكذا.

وكانت الكلية مفككة الروابط بهذا التقسيم من جهة، وباشتمالها على طلبة الحقوق وطلبة الآداب وعلى المدرسين من كل صنف ولون.

وقد حررت فيما بعد من التدريس لطلبة الحقوق، واقتصرت على طلبة قسم اللغة العربية، ودرست أيضا درسين: درسا في البلاغة ودرسا في المعاجم العربية، ثم تخصصت في الإسلاميات ، وكان من نتيجة ذلك فجر الإسلام، وضحى الإسلام.

الدهشة

ويتذكر طه حسين كيف "توثقت علاقتنا في الجامعة ، وكان بيننا تعاون علمي، وأذكر أني كتبت مقدمة لكتابه الأول في موسوعته عن فجر الإسلام وضحاه وظهره".

وقد أثنى طه حسين ثناء عطرا على فجر الإسلام. لأحمد أمين الذي يرى أنه أخذ

"يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلا ليس أدق دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في معمله" فقد "نهض بهذا العبء من درس الحياة العقلية العربية كأحسن ما ينهض الرجل ذو الضمير العلمي الحي بعبء من الأعباء". "لقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم وأديب، جد حتى تثقف بالثقافة الأجنبية الأوروبية، ولكنا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق حظ وأقربه إلى الإتقان والكمال "ولست أخفي أني لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش الذي كنت أجده حين أرى "أحمد أمين" يتصرف في المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة ويد صناع وعقل يعرف كيف يفكر" ويمضي طه حسين في ثنائه "ومهما أفعل من ذلك فلن يكون ثنائي شيئا إلى جانب هذا الأثر الذي سيتركه في نفوس الناس بحثه الذي أقدمه إلى الجمهور سعيدا مغتبطا بأنه أول ما يقع في أيدي الناس من كتاب "فجر الإسلام".

الصغائر

وتتصل العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين حين يسافر أحدهما للخارج فيزاسلان ، وبين أيدينا مراسلات أحمد أمين لطه حسين التي تكشف عن جانب من جوانب الحياة العلمية في تلك الفترة المجهولة من الحياة الجامعية، فنقرأ في الرسالة التالية بعض ما يخص أحمد أمين والجامعة ، ومصر، فكتب من :

مصر في ٢٦ يونيه ١٩٣٠

أخي الدكتور طه

عليكم السلام ورحمة الله

هنيئا لك بفيينا وجمالها، وباريس ومناظرها ، والجبال وهوائها - أما أنا فأقعدني عن السفر مرض والدتي ثم مرض ابني الكبير بحمى التايفه، وقد بدأ يتحسن ، فإذا تغلبت على

هذه الصعاب سافرت إلى رأس البر، إما وحدى أو مع العائلة ، فقد سئمت جدا من حياتى المتكررة التى كأنها يوم واحد.

والآن اقص عليك مسألة بسيطة.

ذلك أن الأستاذ أحمد إبراهيم عرض علىّ أن أكون أستاذا مساعدا للشريعة فى كلية الحقوق فى الدرجة الثالثة، فقلت له: إذا أردتم الإعلان عن الوظيفة لأكون أحد المتقدمين لها، لا أستطيع ذلك، أما إذا حصرت الاختيار فىّ فهنا أبدى رأيي ، فقبل ذلك واخبرنى انى المرشح الوحيد،ترددت أولا واستشرت كثيرا من إخوانى فمنهم الذى استحسنها لى كالدكتور منصور والأستاذ الخولى ، وغيرهما ، ومنهم من لم يوافق كالأستاذ عزام، وأخيرا لاعتبارات مختلفة ملت إلى قبولها، وانتظرت أخذ رأيكم مع رجائى لك فى الموافقة ، فلست أحب أن أخرج وأنت غاضب.

أظن أنه قد بلغك استقالة كوبلاند وشين وبذلك أصبح التاريخ المتوسط بلا أستاذ ولا مدرس له ويجب تدبير هذه المسائل من الآن حتى لا تفتح الدراسة والكلية خالية ممن يقوم بتدريس هذا الفرع".

"أما مسألة الأساتذة الزائرين فقد كان الأستاذ بهى الدين بك رفض الموافقة عليهم ويحتاج لتنفيذها لعرض المسألة من جديد على الوزير الحالى - لذلك يحسن ألا تتفق مع أحد نهائيا حتى يتجلى الموقف".

"أظن أنه قد بلغك الانقلاب الخطير الذى حصل فى مصر، والناس هنا يوجسون خيفة من تغيير الدستور ويتوقعون حوادث خطيرة فى الأشهر المقبلة، ولا أدرى متى ترتاح مصر البائسة التعسة من هذه النكبات.

عبد الحميد العبادى قد مات والده وسافر إلى الإسكندرية لقضاء أيام ثم يعود ليستأنف العمل فى فجر الإسلام (رغم أنه من عمل احمد أمين إلا أنه والعبادى وطه حسين اعتبروا أن كل عمل يقوم به أحدهم كأنه عملهم جميعا لأنهم كانوا يراجعون مادته ويقرأونها أيضا جميعا) ولعل حظه هذه الأجازة يكون خيرا من حظه فى الأجازة الماضية أما أنا فأحببت أن أكتب بابا فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول، ورأيت الأغانى (للاصفهانى) خير ما يعين على ذلك ، فبدأت بقرائته من أوائل مايو، والآن وصلت إلى الجزء السابع عشر، فإذا أتممته بدأت فى كتابة هذا الباب".

السنهوري ورائي بالكرباج!

ومن لندن في ٢٩ يوليو (بدون سنة) يكتب أحمد أمين

أخي العزيز

سلام عليكم ورحمة الله

سررت مما استفدت من لندن، سهل لي إخواني هنا سبل الإقامة – جزاهم الله عني خيرا – ولكن لم أحقق كل غرضي فلم يتيسر لي الإقامة في عائلة إنجليزية لقصر المدة التي أقضيها هنا ، ولأن العائلة التي كانت أعدت لي قررت قبيل مجيئي أن تسافر إلى شاطئ البحر".

"كتاب المختارات وضع في جزءين لا في ثلاثة ، واحد للسنة الثالثة وآخر للرابعة والخامسة معا ، وقد اخترنا ما اختاره الأعضاء للسنة الثالثة. وتركنا الباقي للسنتين الأخيرتين، وأنا موافق على المعاني التي ذكرتها في خطابك لتكون مقدمة للكتاب ، ولكن أرجو الإسراع في إرسالها إلى الشايب. مع خطاب الوزارة ولك الشكر .

أحس في كتبك بشيء من الضجر والقلق فأرجو أن تكون فوق الحوادث كما عهدتك، وأن تنظر إليها نظرة الرائي لرواية، ومثلك خير من يستخرج من الفلسفة ما يجعله يستهين بهذه الصغائر".

ومن القاهرة في ١١ سبتمبر ١٩٣٠ يكتب أحمد أمين إلى طه حسين:

يحزنني أن تكون خطاباتك الأخيرة كلها مملوءة بالأسف والحزن، وكان بودي أن تكون كلها نغمة سرور وفرح حتى يعوضك عما لقيت من نصب في السنة الماضية، ولكن شاء القدر أن تخرج من فصل محزن إلا لتستقبل فصلا آخر يتصل به ، على أني أرجو أن يتم شفاء السيدة وأن تستقبل رواية من نوع الكوميديا تمحو بها كل أثر للتراجيديا السابقة".

"اجتمع مجلس الجامعة في الأسبوع الماضي وكان يدور كله حول مقترحات كلية الحقوق، وأهم ما يخصنا المصادقة على ضم القسم الإعدادي إلى كلية الحقوق.

وبهذه المناسبة يريد كامل بك أن يختار مدرسين من قسم اللغة العربية لنقلهما إلى الحقوق ، وقد وقع اختياره شفويا على أمين الخولي وأحمد الشايب، ولا أدري من أين استقى معلوماته، ولكني أرى الاحتفاظ بهما ، وأن نرشح له عبد الوهاب حمودة، وطه إبراهيم. فما

رأيك – سأقابل لطفي بك لأكلمه في وقف النقل حتى أعرف رأيك – أما مسألة العميد والانتخابات وما إلى ذلك فأظن أن الكلام فيه قبل أوانه لأن شيئا في هذه الموضوعات لم يتم.

سلامي عليك وأتمنى لك راحة الضمير

ويذكر أحمد أمين أن كلية الآداب كانت "تقوم كل سنة برحلات في أجازة نصف السنة، فاستفدت من هذه الرحلات ورحلت إلى الشرق والغرب، ومرة رحلنا إلى الشام وأخرى إلى العراق وثالثة إلى الحجاز، ومرة إلى هولندا وإنجلترا وبروكسل، وكانت هذه الرحلات موضعا للاستفادة منها حيثما رحلنا".

ويكتب أحمد أمين عن إحدى تلك الرحلات وكانت رحلة صعبة فيقول من:

دمشق في يوم ٥ فبراير ١٩٣١

أخي العزيز الدكتور طه

سلام عليكم ورحمة الله

وصلنا بحمد الله إلى دمشق وقد كان في طريقنا من طبرية إلى دمشق بعض الصعوبات لأن المطر انهمر علينا وكثر الضباب حتى لم يستطع الرائي أن يرى على بعد متر، وأمسى علينا المساء ونحن في منتصف الطريق، وبينما نحن سائرون ارتطمت سيارة في أحجار وتهشمت وجرح ثلاثة من ركابها، ففزعنا جميعا إذ ظننا أنها إحدى سياراتنا خصوصا وقد جاءنا الخبر أولا بأنها كذلك، ثم حمدنا الله كثيرا على أنها لم تكن لنا، وأنها لجماعة من دمشق فخف علينا بعض الشيء وقع المصاب، ونقلنا المصابين معنا إلى المستشفى فكان فصلا مؤثرا أثر في بعضنا الخوف وفي بعضنا الحذر وفي بعضنا الاتكال على الله – سنقوم غدا إن شاء الله إلى بغداد وسنقطع ٩١٥ كيلو مترا من دمشق إلى بغداد. وكل أعضاء الرحلة يشكرون لك – أولا تمهيدك السبيل للرحلة والسعي في إتمامها – وثانيا توديعك لنا على المحطة، ويحيونك ويتمنون لك أجازة طيبة.

والسلام

أحمد أمين

، .ت الرحلة التالية إلى فرنسا أكثر استمتاعا وكان بصحبة أحمد أمين، د. عبد الرازق السنهوري الذي كان محافظا على تنفيذ برنامج الرحلة كمحفظه للقانون فلم يترك فرصة لصديقه لالتقاط أنفاسه ، يقول أمين لطه حسين:

قضيت خمسة عشر يوما في فرنسا رأيت بعض متاحفها وملاعبها، وحضرت اول أمس رواية عايدة في الأوبرا، وعملت رحلات في ضواحيها وشهدت كثيرا من مظاهر جوها وهواها، وقضينا أمس في فرساى فأعجبتني، ودعينا ونحن في ليون لرحلة تبعد نحو ١٥٠ كيلو فقضينا يوما جميلا شهدت فيه جبال فرنسا وكثيرا من مناظرها الطبيعية، وبالاختصار اصبحت عندى صورة لا بأس بها، ولكني لم أرتح مطلقا فالدكتور السنهورى كان ورائي بالكرباج من الأوتيل حوالى الساعة العاشرة صباحا فلا نعود إلا الساعة الواحدة - لهذا لم يكن عندى زمن لأهضم ما أرى. فوطنت نفسى على أن آكون كالحمل المحنز يأكل بسرعة ثم يجتر في الوقت المناسب ما يأكل، وأنا متوقع أن يكون هذا حالى فى لندن - لذلك سأضطر سريعا إلى الهرب إليك بعد نحو عشرين يوما لأقضى أياما أستريح فيها.

استحضرت معي من مصر ردنجوت وسموكنج فلم أحتج إلى الالتجاء إلى خياطى باريس، وقد رأيت عنك أثمانها وأنا متأكد أن القماش لابد أن يكون ردينا حتى يفصلها بخمسة جنيهات قياسا على ما سمعت لى ورأيت.

هذه الشلل

ويكتب أحمد أمين في ٢٥ أغسطس (بدون سنة)

وقد سررت جدا من رأى الأستاذ مرسيه في "فجر الإسلام" وشجعنى على المضى فى "ضحى الإسلام" وقد كدت أنتهى من قراءة ما أحببت قراءته لتحضيره ووزعت المذكرات التي أخذتها على الدوسيهات ، ولم يبق إلا الكتابة، وأرجو أن تعود إلينا بجزء صالح من كتابك فإني أشك كثيرا أن ينتهى قسم العبادى هذا العام.

بعثت إلى العبادى أول أمس خطابا اعتذر فيه عن قبولى لعمودية الكلية فى شهر سبتمبر واقترحت عليه أن يكلها إلى الأستاذ شفيق غربال أو حسن إبراهيم لأنى رأيت أنها ستشغلنى فى أمور تافهة لا تقدم الكلية ولا تؤخرها، وأفضل أن أسافر أو أكتب جزءا من ضحى الإسلام.

"اهتم المدير فى هذه الأيام بإصلاح كلية الحقوق وقد تم فعلا إخراج (.....) وانتداب نجيب بك الهلالى ورأفت العشماوى للتدريس مع بقائهم فى وظائفهم، وعين سيد مصطفى .. إلخ.

وقد أخبرني المدير أنه سيتفرغ لكلية الآداب بعد . لعلك تستطيع أن تحضر قبل انتهاء الأجازة لتشترك في الإصلاح المنوى إن كان.

أزمة الثقافة

ويتذكر طه حسين "لما أنشأ الدكتور أحمد أمين مجلة الثقافة كنت أكتب فيها بدون أجر". وفي خطاب أحمد أمين ، التالي حديث حول أزمة تواجهها مجلة الثقافة، وفيها يعتب على طه الذى "نسيها" ويكتب عن مواقف بقية الكتاب منها، فيقول :

أخي الدكتور طه

سلام عليك ورحمة الله

وصلني خطابك وألمت لوصفك لنفسك ولكن خفف ألمي علمي ان الأديب في كل عصر لا ينتج إنتاجا قيما إلا إذا احترق ورحم الله أبا الطيب الذى اكتشف أن كل بعيد الهم فيها معذب.

أما أنا فقد سافرت إلى الإسكندرية في حالة إعياء شديد وصحة متدهورة، فلم أكد أستريح بعض الشيء حتى واجهت حالة الثقافة المتعبة، فقد نسيها طه حسين وأخلى بنا عوض وقد وعد أن يتابع الكتابة حتى وهو على ظهر المركب فلم أسمع منه الآن ولا كلمة، وكذلك قبل توفيق الحكيم وقد وعد أن يكتب في رحلته إلى سويسرا فلم يصلني منه إلى اليوم شيء. وكذلك فعل بعض أعضاء اللجنة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ولست أقدر على مواجهة الجمهور بالخيبة ، فاضطررت أن أحول بريد الثقافة إليّ بالإسكندرية واختار ما يمكن نشره وأكتب في كل عدد طوعا أو كرها ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما رضيت بإخراج الثقافة ولكن كيف الهرب.

ومع ذلك انتهزت فرصة وجودي في الإسكندرية فأرحت نفسي من مقابلة فلان وفلان وأرحت سمعي من الحديث عن الجامعة وكلية الآداب . وكلفت أن أعمل كتابا لمطالعة السنة التوجيهية فرفضت واسترحت، ومكنتني فرصة الوحدة من أن أستعيد الماضي القريب في الجامعة فوصلت إلى نتيجة تشبه تلك التي وصل إليها أبو العلاء حين عودته من بغداد وهممت أن أكتب منشورا كذلك المنشور الذى كتبه إلى أهل المعرة ولكني اكتفيت بنية التنفيذ ، فاعتزمت أن أترك مجلس الجامعة وأترك مجلس الكلية إلا عند نظره في مسائل

تعليمية مهمة، وأن انفض يدى إلا من تحضير درس وإلقائه، ولو كانت ظروفى كظروف أبى العلاء فى جناية أبيه وعدم جنايته على أحد لتركت الوظيفة أيضا، لقد ظفرت أنت فى أجازتك بالجزء الثانى من الأيام أما أنا فلم أظفر إلا بتسيير الثقافة سيرا أعرج، وتفكير بسيط فى الأدب العربى المصرى.

والآن قد تشبع جسمى من جو الإسكندرية فتضايقت منه وكرهت منظر البحر من أجله واعتزمت العودة إلى القاهرة يوم ٢٠ أغسطس، فاحتمال الحر مع الجفاف أهون من هذه الرطوبة المضنية ، ولولا الإشفاق على الأولاد لعدت من زمان أو لتركتهم وسافرت إلى لبنان.

وأكتب إليك والجو السياسى مضطرب أشد الاضطراب فلابد أن قرأت استقالة محمد محمود باشا وشائعة إسنادها إلى على ماهر باشا وعزمه على الاستناد إلى حزبى السعديين والأحرار الدستوريين، وتمسك هؤلاء بأن يمثل كل حزب منهم خمسة أعضاء، وعدم موافقة ماهر باشا على هذا ، وقد يصلك خطابى هذا وقد انجلت الغيوم ولو إلى حين.

وبالأمس كنت أجلس فى "تريانون" فهذا هو عوض إبراهيم فى شلة من الموظفين ونجيب الهلالى فى شلة أخرى والقهوة مزدحمة بهذه الشلل، و"الشيخ روتر" يذهب ويجئ من وندسور إلى تريانون ومن تريانون إلى وندسور ، والمسرح مزدحم بالمناظر وأهم منها ما وراء الستار.

ولا أطيل فسلامى عليك ورحمة الله

أحمد أمين

المسؤامرة

وكما لاحظنا فقد ضاق أحمد أمين ذرعا بمجلس الجامعة ومجلس الكلية فقرر عدم المشاركة فيهما إلا للضرورة العلمية القصوى ، ويحدثنا عن خلاصة تجربته فى مجلس الجامعة ، فيقول:

"وكان المجلس يضم إنجليز ومصريين ، وأحيانا يكون الجدل والمناقشة بالإنجليزية وأحيانا بالعربية . ومن أغرب ما لاحظت أنه إذا كانت المناقشة بالإنجليزية قل الاستطراد وتحدد الغرض ودلت الألفاظ على معانيها بدقة، ولم يعرض المجادل أو المناقش لرأى سبقه به أحد إلا إذا كان جديدا، وعلى عكس ذلك كله إذا كانت المناقشة باللغة العربية.

وقد تعلمت من هذا المجلس أني رأيت الكبراء والعظماء يفكرون كما يفكر الناس، ويخطئون في التفكير كما يفكر الناس، وفهم شهوات وأغراض كما لسائر الناس، وكان قد وقر في ذهني أنهم من طينة أخرى ولا يعملون إلا للحق والمصلحة العامة.

وتعلمت أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: متكلمون بالحق، ومجرمون لا يعنيهم الحق في قليل أو كثير، وهؤلاء، وهؤلاء أقلية، وأكثر الناس جبناء تنقصهم الشجاعة، فإذا نطق بالحق أحد تبعوه ونصفوه، وإذا لم يتكلم به أحد ضاع الحق وفسد الميزان.

وإذا كانت العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين قد توثقت بينهما حينما أتى الأول بالآخر إلى الجامعة وتعاونا في المسائل العلمية وكتابة تاريخ الإسلام ، كما تعاونا في أمور "الثقافة" واشترك طه معه في لجنة "التأليف والترجمة والنشر". فإن العلاقة قد امتدت بين الصديقين إلى ما هو أبعد إنسانيا، كما يتذكر طه حسين "وكان الدكتور أحمد يلجأ إليّ في علاج مشكلات أبنائه في التعليم . وكنت أعاونه ما استطعت وأذكر أني يسرت لبعض هؤلاء الأبناء فرصة السفر إلى الخارج للدراسة على حساب الدولة، غير أن الدكتور أحمد أمين مع هذا تنكر لي وانضم إلى الدكتور السنهوري في التآمر ضدي"[1]!

ولم نعثر بعد على أثر لتلك المؤامرة إلا في هواجس وشكوك طه حسين الذي سحب تلك الشكوك التي استخدمها في منهجه العلمي، على أصدقائه حيث أن سوء الفهم كان يصور له أحيانا أشياء لم تحدث، وربما لعبت بعض الوشايات دورها في الإيقاع بينه وبين أصدقائه، ولم يكن طه حسين من ذلك النوع الذي يكاشف أصدقاءه ويواجههم بل كان يكتم شكوكه وهواجسه في نفسه ولا يصارح بها أحداً إلا في حديث عابر كتلك الأحاديث التي دارت بينه وبين سكرتيره ، بينما تكون الحقيقة شيئا آخر غير تلك التي تخيلها في نفسه، وسنكتفي بواقعة واحدة وإن لم تكن الوحيدة في التدليل على صحة ما ذهبنا إليه في تفسير تلك المؤامرة التي لم تقم سوى في خيال الدكتور طه حسين، وهذه الواقعة يذكرها سكرتيره. فيقول "أما عن فتور العلاقة بين العميد والزيات فإن العميد كان لايجد لها سببا، وكان يقول لي : إن الأستاذ الزيات لم يعد يزورني أو يتصل بي كما كان الحال بيننا من قبل، وكان إذا لقيني في المجمع اكتفى بتحيتي قائلا: إزيك يا باشا.

وسألت المرحوم الأستاذ الزيات – وكنت أعمل معه في لجنة المعجم الوسيط بالمجمع اللغوي – لماذا فترت العلاقة بينك وبين العميد أخيرا؟ وكان جواب الأستاذ الزيات : إن

---

(١) طه حسين يتحدث – السابق.

العلاقة لم تفتر ، ولكن زوجة الدكتور هي المسئولة عن ابتعاد أصدقاء الدكتور عنه، وأنت تعلم أنه لا يستطيع إغضابها، فقلت كيف تكون زوجة الدكتور مسئولة؟! قال: كانت تحول بينه وبين لقاء من يود، وكنا إذا ذهبنا إليه ورغبنا في اصطحابه معنا، فإنها كانت لا تمكنه من ذلك بحجة أن صحته لا تساعده على الخروج، وهذا ابتعد أصدقاء الدكتور عنه شيئا ، فشيئا حتى انقطعت صلته بهم تقريبا.

وهكذا يلعب سوء الفهم وغياب المعلومات الصحيحة دورا في تنمية شكوك طه حسين وهواجسه، وإن كان ذلك عيبا في شخصيته إلا أنها أبدا لن تنسينا بقية جوانب العظمة في تلك الشخصية الفريدة التي دارت حولها كل الشخصيات العظيمة في القرن العشرين.

عبد الحميد العبادى

مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى

كان د. عبد الحميد العبادى أحد الذين استعان بهم د. طه حسين لتقوية الجامعة الوليدة وتغذيتها بالعناصر المصرية أمام الكثرة الغالبة من العناصر الأجنبية والتى لم يكن لها بديل آنذاك حتى استطاع طه حسين بالتعاون مع لطفى السيد أن يمصر الجامعة بتلك البعثات المنتجة للأساتذة الجامعيين فى جميع التخصصات، وحتى يحدث ذلك كان على تلك القلة من العناصر المصرية أن تقوم بالعبء الأكبر ليس فقط بالتدريس للطلبة المصريين بل لتأسيس مناهج علمية جديدة تقوم عليها النهضة الجامعية والثقافية المصرية الحديثة، وكان من هؤلاء المؤسسين د. عبد الحميد العبادى الذى اشترك مع طه حسين وأحمد أمين فى مشروع اتفقوا عليه لإعادة كتابة العصر الإسلامى برؤية عصرية جديدة، فتناول طه حسين الجانب الأدبى، وعهد إلى أحمد أمين بالجانب العقلى والاجتماعى، وتحمل د. العبادى عبء كتابة التاريخ الإسلامى برؤية علمية كان هو مؤسسها الأول والذى سار على نهجه كل مؤرخى التاريخ الإسلامى حتى اليوم.

ود. العبادى أحد أضلاع مثلثنا الذهبى فى الجامعة المصرية، ومراسلاته لطه حسين مهمة لأنها تؤرخ لحقبة مبكرة من تاريخ هذه الجامعة بما اعترضها من مشكلات وصعوبات.

نصف المصادر

ومصدرنا فى المعلومات المتاحة عن العبادى هو تلاميذه: عبد الوهاب عزام ، د. جمال الدين الشيال، ومحمد عبد الهادى شعيرة.

ولد د. عبد الحميد العبادى بحى الأنفوشى سنة ١٨٩٢ لأسرة سكندرية عريقة تنتمى لأصل مغربى، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ١٩١٤، وعمل مدرسا بالجمعية الخيرية الإسلامية، ثم أستاذا للتاريخ بمدرسة القضاء الشرعى التى شاركه العمل فيها أحمد أمين – الذى اشترك معه فى دراسة المخطوطات العربية باستانبول – عاطف بركات ، الشيخ محمد الخضرى، ومن تلاميذ العبادى بتلك المدرسة: أمين الخولى وعبد الوهاب عزام، وحين افتتاح الجامعة المصرية ١٩٢٥

اختير أستاذا للتاريخ الإسلامي. والتدب للتدريس في مدرسة دار العلوم، والجامعة الأزهرية ودار المعلمين العالية ببغداد، ثم صار عميدا لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩، وعضوا بمجمع اللغة العربية بمصر، وعضو المجمع العلمي بدمشق ، وعضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وكان له اهتمام بالأدب والشعر، فجمعت المنتديات الأدبية بالإسكندرية، بينه وبين أصدقائه من أدباء الثغر أمثال عبد الرحمن شكرى وإبراهيم مصطفى وعبد اللطيف النشار. ولذلك كان "أستاذا موهوبا، وفنانا فذا جمع بين الأدب والتاريخ في آن واحد، فله من الأدب جمال الصورة ، وروعة الأسلوب، وله من التاريخ منهجه العلمي الدقيق"، ولذلك لم نعجب إذا علمنا أنه في الجامعة المصرية القديمة "كان يشارك في اللجان العلمية لمناقشة الكثير من رسائل الدكتوراة والماجستير في الأدب العربي" بل إن كتاب "نقد النثر" لابن قدامة، اشترك العبادى في نشره والتقديم له والتعليق عليه مع طه حسين. والعبادى واحد من طلائع النهضة العلمية الثقافية الحديثة حيث اتفق مع مجموعة من الزملاء النوابغ في جيله أمثال : محمد حسن الزيات، أحمد زكى ، عبد الوهاب عزام، أحمد أمين، على إنشاء لجنة لوضع كتب علمية حديثة يساهمون بها في إرساء النهضة الثقافية المصرية على قواعد سليمة، وتأسست اللجنة ١٩١٤ وصار اسمها "لجنة التأليف والترجمة والنشر".

وكانت الاجتماعات الأولى التي تمخض عنها مولد هذه اللجنة تعقد في منزل عبد الحميد العبادى الطالب بمدرسة المعلمين العليا، وكان أحد المؤسسين لهذه اللجنة، التي امتد نشاطها من مصر إلى العالمين العربي والإسلامي لنشر الفكر والثقافة.

وعندما عين العبادى مدرسا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب كان له الفضل الأول مع طه حسين في إنشاء هذا القسم، وتثبيت دعائمه، وتخصص في التاريخ الإسلامي. وكان أول من أدخل دراسة تاريخ المغرب والأندلس في مناهج الجامعة، فكان أستاذا جليلا ومؤرخا محققا من الطلائع الذين أقاموا الجامعة والحياة الجامعية في مصر على أسس قوية ، كما يقول تلميذه جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامي والذى يؤكد أن التاريخ الإسلامي كان "قبله رواية تروى، أو قصة تحكي، أو نكتة تقال ، أو بيتا من شعر ينشد، وكان العبادى أول من ارتفع به إلى مرتبة العلم فجعله فكرة تمحص ، وتحليلا ونقدا ومقارنة ودراسة دقيقة على أسس ومناهج علمية ثابتة، فإذا كان في مصر اليوم من يفهم التاريخ الإسلامي حق فهمه، ومن يجيد بحثه ودراسته، فإن الفضل الأكبر في هذا إنما يرجع إلى العبادى وطريقته وجهوده".

ويضيف تلميذه د. محمد عبد الهادى شعيرة "والعبادى من غير شك صاحب مدرسة جديدة في التاريخ الإسلامي فعالجه على نحو خرج به عن نطاق السطحية والسرد والأساليب الخطابية الجوفاء إلى الدراسة المنهجية والتعمق في سبر أغوار الحوادث والوصول إلى أصولها واستنباط

نتائجها مع تصوير أجوائها تصويرا يعين على فهمها وتمثلها".

وقد نعاه صديقه عبد الوهاب عزام عندما سمع بنبأ وفاته وهو بعيد خارج مصر يعمل دبلوماسيا في سفاراتنا هناك، أنشد قول الشاعر:

راعني في البعاد نعي صديق كان في غمرة الحياة شقيقي

علمتني مصيبة الموت فيه أن نصف الممات موت صديق

* * *

حالة حضرة صاحب العزة

نصل الآن إلى مجموعة الرسائل التي كان يرسلها العبادي لطه حسين أثناء سفر الأخير في أجازته السنوية، وكان العبادي يقوم مقامه كعميد لكلية الآداب أثناء غيابه، وذلك بالتبادل مع بقية الأساتذة، فيبعث من القاهرة في ٣ أغسطس ١٩٣٠م. متحدثا عن مشكلة خلو مكان الأساتذة الأجانب بعد انتهاء مدة انتدابهم ، واعتذار بعضهم عن تجديد الانتداب، والعبادي في رسالته يحاول بالتفكير مع طه حسين البحث عن بدائل قبل بداية العام الجامعي الجديد لحل هذه الأزمة نظرا لنقص الكوادر المصرية فيقول:

صديقي المفضال

اليوم فقط أستطيع أن أتحدث إليك في شئون الكلية، وأما قبل اليوم فلم يكن ذلك مستطاعا لأن كل أمور الكلية تقريبا كانت معلقة لا يمكن لإنسان أن ينتهي فيها إلى نهاية واضحة .. ولاشك أنك عارف بما في ذلك التعليق وسببه .

وصلني منك خطاب تكلمت فيه عن مسألتين:

الأولى: مسألة الأستاذ برجستواسر

الثانية: مسألة عبد الهادي شعيرة

وبمجرد وصول هذا الخطاب ذهبت إلى الإدارة ولبثت أتردد عليها أياما متوالية أحاول إنهاء هاتين المسألتين كما طلبت ، أو على الأقل الوصول فيهما إلى غاية ما فلم أفلح، وأخيرا انفرجت الأزمة أو قل أخذت تنفرج، فقد جاءنا لطفي بك السيد مديرا للجامعة وقد قابلته

اليوم وكلمته في هاتين المسألتين، فأما مسألة الأستاذ برجستراسر فقد وعد أن يسلك في حلها الطرق السياسية التي اقترحها الأستاذ واقترحتها أنت. وهو مسافر غدا إلى الإسكندرية وسيقابل الوزير الألماني وسيكلمه في ذلك. كما أنني أنا من ناحيتي سأقدم مذكرة إلى الإدارة أطلب فيها ندب الأستاذ برجستراسر للتدريس بالكلية في فصلي الدراسة القادمين (أكتوبر إلى مايو) نظير مكافأة قدرها ١٠٠٠ جنيه من ضمنها مصروفات السفر.

وكانت الإدارة من قبل ترى أن تكون المكافأة ٩٠٠ جنيه فقط بناء على طريقة اتبعتها في الحساب أصرح لك أني لم أدركها بسهولة. على أن لطفي بك وافق على التقدير الذي قدرته.

وأما مسألة شعيرة فقد رأى لطفي بك وجوب استصدار قرار من مجلس الجامعة بنقله إلى السوربون ، وقد قدمت مذكرة بذلك سيطاف بها على أعضاء المجلس ليوقعوا عليها، واظن أن الأمر سينتهي إلى ما تريد.

هناك مسائل أخرى خلفها لي العميدان السابقان وأنا ذاكرها لك وذاكر ما اتخذته فيها من الإجراءات لعلك تمدني برأيك فيها.

أولا: مسألة أستاذ التاريخ الحديث. هذه لا تزال قائمة فقد كتبت لجنة اتحاد الجامعات البريطانية تلوم وزارة المعارف والجامعة على تأخرها في طلب من تريد من الأساتذة إلى ما بعد مايو، وقد ردت الجامعة تعتذر باستثنائية الظروف وتطلب مواصلة البحث.

ثانيا: مسألة أستاذ التاريخ المتوسط، قدم الأستاذ "كوبلند" استقالته إلى الجامعة في النصف الأول من يونيه، فأرسلت إليه إدارة الجامعة رسالة برقية وأخرى بريدية تطلب إليه فيهما العدول عن استقالته فلم يرد، وأخيرا كتب إليه مدير قلم البعثات يطلب إليه الرد عن الرسالتين المذكورتين فجاء رده بالبرق في هذا الأسبوع فقط بتصميمه على الاستقالة، ويعد أنه سيرسل خطابا يفصل فيه ما أجمل في رسالته البرقية، هنالك كتبت إلى الإدارة أطلب إليها مكاتبة لجنة اتحاد الجامعات البريطانية في ترشيح أستاذ لكرسي التاريخ المتوسط، على أن يكون ذلك بعقد لمدة سنتين وبمرتب قدره ١١٤٠ جنيها.

ثالثا: مسألة خلف المستر شيني، رأيت ألا أطلب الآن تعيين خلف أجنبي للمستر "شيني" فقد بلغني أن بجامعة "ليفربول" شابا مصريا يدرس التاريخ المتوسط واسمه (مصطفى زيادة) وأنه سيؤدي الامتحان (....) في سبتمبر القادم على الأرجح والأستاذ شفيق غربال يثني على هذا الطالب، لذلك أرى أن نحتفظ له بمحل شيني ، فلعلك موافق على ذلك الرأي.

رابعا: مسألة من يخلف "السير توماس أرنولد" ، أبرقت إلى الأستاذ "نيكلسن" في ذلك فرد يعتذر عن عدم استطاعته قبول طلب الكلية، فأرسلت برقية أعرض عليه المجيء إلى الكلية بصفة أستاذ زائر ، ولكنه لم يرد بعد.

هذه هي المسائل المتعلقة بالأساتذة ، وهناك مسألة أخرى تتعلق بأحد طلبة البعثة الذين سافروا في الشهر الماضي إلى أوربا، فقد كتب قلم البعثات إلى الكلية يخبرها أن الطالب نجيب بلدي ليس مصريا ولكنه يوناني الجنسية بنص شهادة ميلاده، ويطلب تحقيق هذه المسألة. استدعيت ولي أمر الطالب المذكور فقال إن ما ذكر بشهادة الميلاد من حيث الجنسية غير صحيح ووعد أن يقدم إلى الكلية المستندات التي تثبت مصرية "نجيب بلدي" وقد قدمها فعلا فأرسلتها إلى قلم البعثات عن طريق إدارة الجامعة للنظر في قيمتها، ويمكنك أن تتصور حالة حضرة صاحب العزة السكرتير العام للجامعة وقد وقف على هذا الاكتشاف الغريب!! (....) ودمت للمخلص.

عبد الحميد العبادي

الابتـــلاء

ويشكو العبادي من ابتلائه بمنصب العمادة المؤقتة نظرا لمشاكلها التي لا تنتهي، وذلك في رسالة من "القاهرة في ٢٥ أغسطس ١٩٣٠":

صديقي المفضال

(....) لاشك أنك تحب أن تعلم شيئا عن أحوال الكلية التي ابتليت بالإشراف عليها، ويحاول د. أحمد أمين التخلص منها في الشهر القادم ، وإلقاء ذلك على عاتق غيره.. ولست مطيل التحدث إليك فأنا اليوم على ميعاد مع المدير وكامل بك مرسي للبحث في نظام يوضع للقسم الإعدادي للحقوق – والظاهر أن النية متجهة نحو جعل الدراسة بكلية الحقوق بالفرنسية دون العربية، ونحو جعل القسم الإعدادي مدرسة شبه مستقلة يدرس الطلبة فيها اللغتين العربية والفرنسية فقط، وسيعهد إليك أنت بالإشراف على هذه المدرسة (لأني عاوز أبث في الطلبة روح طه روح البحث والجدل والخناق العلمي) كما يقول أستاذنا لطفي السيد.

(....) لم يرشح بعد مكتب اتحاد الجامعات البريطانية أحد للكرسيين الخاليين بالكلية :

كرسى أستاذ التاريخ المتوسط وكرسى التاريخ الحديث، غير أنه بلغنى أن المفاوضات لا تزال جارية بين الإدارة وبين المستر كوبلند بقصد حمله على العدول عن استقالته. هذا وقد قدم الأستاذ كوبلند إلى المدير تقريرا عن إصلاحات يرى إدخالها على نظام الكلية، ولم أطلع على هذا التقرير ولا بلغت الكلية مضمونة.

يظهر أن الوزارة ستفسر المادة الخاصة بتعيين عميد كل كلية بأن لوزير المعارف أن يعين عميد الكلية بعد اخذ راى مجلس الكلية فى غير تقيد به، ويظهر أنها ستأخذ بهذا التفسير فى تعيين عميد كليتنا ويلوح لى أن النية متجهة نحو تعيين عميد أجنبى(....).

لقد تقدم للامتحان بالكلية (قسم الآداب) ٥٩ طالبا منهم ثلاث طالبات، و١٨ طالبا من حملة تجهيزية العلوم، وللالتحاق بالقسم الإعدادى للحقوق ٥٤ طالبا منهم طالبة واحدة، وقد تم الكشف الطبى على الذكور منهم فى هذا الأسبوع ، وأما بالنسبة للإناث فسيكون ذلك فى الأسبوع القادم بواسطة طبيبة تنتدبها الإدارة.

لقد أوقفت لجنة البعثات البت فى أمر بعثة كلية الآداب وطلبت إلى الجامعة بيان الطلبة الذين يدرسون بالخارج والعلوم التى هم متخصصون بها، وعدد من يدرسون بالكلية من المصريين وبيان مؤهلاتهم وما ينتظر أن تحتاج الكلية إليهم فى المستقبل من المدرسين المصريين ، وقدمت إلى الإدارة مذكرة بينت فيها وجهة نظر الكلية وضرورة الموافقة على إرسال من رشحتهم الكلية لبعثتها . (....)

خالص احترامى

المخلص

عبد الحميد العبادى

البدار . البدار

وفى الوقت الذى كانت تعانى فيه الجامعة من صعوبات توفير أعضاء فى هيئة التدريس ، كانت بعض المناصب ذات الرواتب الوفيرة تجتذب أو تكاد بعض الأساتذة الموجودين بالفعل بكلية الآداب، ويعرض د. العبادى فى رسالة طريفة لهذه المشكلة التى أغضبت طه حسين، ويطمئنه أنه لا يزال صامدا، فيكتب إلى طه حسين من الإسكندرية فى ١١ سبتمبر ١٩٣٠، فيقول:

صديقي المفضال

ليت عزاما لم يفض إليك بشيء مما هو جار، وليته إذ فعل كان أفضى إليك بكل الأمر حتى لا يتجزأ غضبك بل يقع دفعة واحدة ثم يعقبه سكون الرضا بما هو كائن أو ما لابد أن يكون.

إن كلية الحقوق بعد أن صرفت النظر عن احمد امين او بعد أن صرف هو النظر عنها عادت ترنو إليه، وعاد يرنو إليها، تلوح له بالدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية فيميل إليها كل الميل، والدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية مرجح لعمرك يرجح كل شيء ولو كان حلم السيد احمد أمين. أما العبد الفقير كاتب هذه السطور فقد عرضوا عليه منصبا إداريا مربوطه الدرجة الثالثة، غير أن صاحبه لا ييأس من الثانية . إحم! فكاد يستخف لبه ويتزلزل يقينه.

حقا إنها لفتنة يا طه لمن كان أبا لأولاد يوشكون أن يكونوا خمسة ، ثم هم لا تشبع لهم بطن ولا تنقض لهم حاجة، هذا إلى أنه ليس من بين القائمين بأمر الجامعة من يصلح أن يكون عضوا بجمعية رعاية الأطفال.

وذكرت حفظك الله وأنت غضبان آسف، الكلية ، والصداقة، وخدمة العلم. أما الكلية فلها رب يحميها كما حمى الكعبة من قبل. وأما الصداقة فباقية ونامية بإذن الله. وأما خدمة العلم فآه! ولكن ألا يمكن خدمة العلم خارج الكلية ، أظن ذلك غير مستحيل على الله. اعود فاقول ليت عزاما أفضى إليك بكل الحقيقة ، ولكنه سامحه الله أفضى إليك ببعضها ، بخمسيها إن أردت الدقة في التعبير. ذلك بأنه هو نفسه مرشح لمنصب (ملحق أدبي) بالمفوضية المصرية ببلاد العجم. وهو فرح بهذا المنصب لأنه سيعينه على التضلع من الآداب الفارسية ، وليقال عنه في المستقبل (عزام الأعجم) كما قيل زياد الأعجم، وليقال أيضا عنه (إنه سابق المصريين إلى الأدب الفارسي) كما قيل عن سلمان (إنه سابق العجم إلى الإسلام). ثم إن أخانا الشيخ امين الخولي قد عرف الأزهر له استقراره في ثيابه الشرقية الأزهرية ، وهاهو يعرض عليه سكرتارية المشيخة الجليلة.

وزميلنا السيد إبراهيم مصطفى قد وقع اختيار الأزهر عليه لقراءة سيبويه، به، لأن الأزهريين علموا أنه سيد من يقرأ سيبويه في هذا الأوان، على أنهم شرطوا عليه أن يعود إلى سابق ملبسه وإلا صرفوه. وها هو يجتهد في استيفاء هذا الشرط. فياسيدي طه البدار! البدار! قبل أن يصيب قسم اللغة العربية الامتعجام. قد أعذر من أنذر، والسلام.

المخلص

عبد الحميد

تسرب الامتحانات

ويبدو أن مشكلة تسرب الامتحانات مشكلة قديمة، ففي رسالة العبادى إلى "سيدى العميد" من القاهرة في ١٩ يونيو ١٩٣١م يقول بعد أن يتحدث عن مشاكل الجامعة والكلية مما سبق تناوله:

أما عن غيرهما فلاشك في أنك قد سمعت بفضيحة الامتحانات العامة. فقد تسربت إلى الطلبة أسئلة الشهادة الثانوية بقسميها وكذلك بعض أسئلة الابتدائية وقد ألغت الوزارة امتحان الشهادة الثانوية وستعيده في يوليه القادم.

وأخيرا يسرك أن تعلم أن علاقتي بالأخ احمد أمين قد عادت إلى ما كانت عليه من الصفاء، والفضل في ذلك يرجع إليك ثم إليه.

وفي خطابه يوم الجمعة ٩ يوليو ١٩٣١، يتحدث العبادى إلى طه حسين عن استخذاء الإدارة وتدخل المالية في استقلال الجامعة، فيقول: ".. أما سفرى وسفر الأستاذ سامي (جبرة) فمما لم توافق عليه المالية، وذلك راجع كما قيل إلى أن الإدارة لم تشجع المالية على الموافقة على سفر سامي. كما أنها من ناحية أخرى لم تعرض طلب انتدابي بما يفهم المالية وجه الغرض منه، وعلى ذلك فلست أدرى ما يؤول إليه الأمر، أسفر أم إقامة. وعلى كل حال فهذا التصرف من الإدارة استخذاء منها للمالية وإهدار لاستقلال الجامعة الإدارى، ولو كنت عضوا بمجلس الجامعة لاحتججت على هذا التصرف احتجاجا شديدا".

المرشحون للتدريس العراق

ويتعرض د. عبد الحميد العبادى إلى ما أحدثته الوزارة الجديدة بالمجازات الوزارة السابقة، في رسالته المؤرخة بأغسطس ١٩٣١، فيقول:

قد يهمك أن تعلم شيئا عن بعض ماجد في البلد.. فاعلم أن النظام القديم لمعهد التمثيل قد ألغي وأن المعهد استحال إلى قاعة محاضرات عامة في التمثيل يحضرها من يشاء، والناس في ذلك بين حامد وناقم، فالصحف الوزارية تسبح بحمد الوزير وتهتف للشيخ أبو العيون، وصحف المعارضة تعتدى بذلك على وزارة المعارف وتعده رجوعا منها إلى الوراء في

أمر كان يجب عليها المضي فيه.

وقد نشرت صحف الصباح في هذا اليوم أن وزير المعارف يرى وجوب الفصل بين البنين والبنات في جميع معاهد التعليم حتى الجامعة وأنه كلم في ذلك لطفي بك".

* * *

وتقفز السنوات منذ إبعاد صدقي باشا لطه حسين عن الجامعة لرفضه الكتابة في صحيفة حزب الديكتاتور ، لنصل إلى سنة ١٩٣٦ بعد عودة طه حسين، حيث يكتب العبادي في السادس من أغسطس من نفس السنة حول بعض أمور الجامعة كعادته، فيقول:

سيدي الأستاذ العميد

تحية وسلاما إليك وإلى أهل بيتك الكريم، وبعد.. فقد وصلني خطابك الذي تظهر فيه موافقتك على اقتراح معالي الوزير، ولكني أخبرك أن هذا الاقتراح لم يرق الرامين من طلبة الجامعة فسعوا لدى الحكومة ورجال البرلمان في أن تكون النسبة المئوية المنجحة ٥٠٪ بدلا من ٦٠٪ وأن يسري ذلك على دوري امتحان هذا العام، وقد وفقوا في سعيهم، وصدر مرسوم بذلك عرض على مجلس النواب، فوافق عليه بإجماع الأصوات، وهو الآن في مجلس الشيوخ ولا يمضي يوم أو يومان حتى يصبح قانونا واجب التنفيذ.

أما المرشحون لوظائف التدريس بالعراق من خريجي الكلية فقد جاوز عددهم الأربعين وقد أرسلت أوراقهم إلى وزارة المعارف حسب طلب الوزارة الرسمي وموافقة المفوضية العراقية على أن تكون الوزارة هي المتولية هذه المسألة...".

من أمين الخولى إلى طه:
لن يختلسونى!

من الذى يعلم أن (*) الشيخ أمين الخولى خريج مدرسة القضاء الشرعى، والذى لم يتخل أبدا عن الزى الرسمى لرجال الدين، كان مؤلفاً مسرحيا لفرقة أولاد عكاشة ، فألف عددا من المسرحيات من أشهرها مسرحية[1] "الراهب المتنكر ، التى عرضت فى مسرح الأزبكية وقدمت على خشبة الأوبرا بغير اسم مؤلفها، فقد اختار الشيخ لنفسه اسم "كاتب متنكر" لأنه لم يكن فى استطاعة شيخ من قضاة الشرع أن يكتب للمسرح أو يكتب اسمه فى إعلانات مسرحية".

وهذا الشيخ المعمم "أصبح إماما للمفوضية المصرية بروما، وإماما للسفارة المصرية فى برلين، وتعلم الإيطالية والألمانية وكان ذلك بين عامى ١٩٢٣ ، و١٩٢٧ عندما عاد إلى مصر مدرسا فى مدرسة القضاء الشرعى، حتى عين مدرسا بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فى ٣ نوفمبر ١٩٢٨ بعد أن أغلقت مدرسة القضاء الشرعى أبوابها".

"ثم كان العمل العظيم الذى قام به الشيخ فى حياتنا المعاصرة وتلخص فكرته فى: مناهج التجديد.. وظل طوال حياته يدعو إلى تأصيل هذه المناهج فى دروسه الجامعية ودراساته" و"هناك قضية أهم وأخطر.. وكان للشيخ فيها رأى.. وهى قضية تجديد الإسلام، وكان آخر كتبه هو كتاب "المجددون فى الإسلام".

و"الشيخ هو صاحب منهج تجديد الدراسة القرآنية على أساس علمى عصرى" و"هو صاحب منهج تجديد البلاغة والنحو" وكانت جماعة الأمناء التى أنشأها الشيخ أمين الخولى فى عام ١٩٤٤ برئاسته وعضوية أبنائه وتلاميذه من طلبة كلية الآداب قسم اللغة العربية قد لعبت دورا مؤثرا فى الأربعينات، والخمسينات والستينات، كما يقول الأديب فاروق خورشيد[2] "لا يشك أحد أن مجلة الأدب التى صدرت فى إبريل عام ١٩٥٦ عن جماعة الأمناء" "قامت بفتح آفاق النشر أمام أجيال جديدة بالفعل من الأدباء الشبان أو الصاعدين" ، "ولعل هذا الاتجاه كان يكمل اتجاه أمين الخولى إلى تأصيل فكرة تواصل الأجيال من ناحية، وفكرة فتح الأبواب أمام كل المواهب من ناحية أخرى، لقد أوجد الخولى مدرسة بتلاميذه، حملت المشعل أفكارها وكان الشيخ أمين الخولى بأفعاله وأقواله نموذجا لرجل الدين المستنير.

(*) مواليد أول مايو ١٨٩٥ بقرية شوشاى بمحافظة المنوفية.

(١) الجديد ١٩٨٠/٣/١٥ عن مقال لتلميذه عبد المنعم شمس.

(٢) المصور ١٩٨٣/١٢/٣٠.

وفي الجامعة حيث عمل الخولي مع طه حسين يقول[٣] "كنا نفهم أن البيئة الجامعية هي بيئة الدرس المبتكر الموصول بالحياة وصلا إيجابيا، فكنا نعمل على تحقيق ذلك ، وعلى إرساء، فكرة الدرس الحر المتجدد في نفوس طلابنا".

وفي رسالة الخولي إلى طه حسين يبدد شكوكه حول الأخبار التي وصلته حول اعتزام تركه التدريس في الجامعة. فيقول:

تحريرا في ١٩٣١/١/١٠ مصيف ساحل البرلس

إلى الصديق النبيل

تحية وتمنيات طيبة. وصلتني رسالتك العذبة ، فكانت نفحة من جو فرنسا لطفت جوى الحار الجاف في جميع مناحيه ، وصلتني حين أتهيأ للكتابة إليك بعدما حرمت من رؤيتك في المنزل في اليوم الذي تواعدنا عليه . لكن كادت مشاغلي تحول حتى بيني وبين أيام على الشاطئ لولا مغالبة شديدة طويلة، لقد حال سفري مع مرض ابني الكبير دون مسارعتي بالرد. وزاد ذلك نسياني العنوان في مصر ، فمعذرة عن هذا التأخر كله، ولي في جميل تلطفكم وكرم خلقكم ما يشفع لي ويقدر حالتي.

ذكرت أيها الصديق النبيل أمر اختلاسهم لي من الجامعة – كما سميته – وتركت لي الرأي في ذلك، وأنا في هذا أجرى على ضرب من الإيمان أو الفلسفة أو الهرب من المسئولية أو كما تسميه فلا أقدر ولا أحكم ، وكذلك لزمت مذهبي في هذه المسألة العرضية فلم أعد أعرها اهتماما ولم أجد فيها ما يستحق إخبارك فلم أفعل، وإنما كان كلام من هنا وهناك ورد فيه ذكرها، ولا أزال أرى ألا أعيرها عناية ما، وقد أحسنت كل الإحسان إذا لم تقف عندها ولم تكترث بها.

وذكرت المحاضرة وأنك من أجلها تفكر فيّ ، فأنا سعيد أتم السعادة بهذا التفكير ، ظافر بأكثر مما يستحق عملي من جزاء، وأن في لذة الدرس والبحث كما تعرف – لذة وسعادة كانت تكفي جزاء بل تربي، ولكنك بما عودتنا من نبل وكرم خلق تأبى إلا أن تجزينا أو في الجزاء بل تزيد. أتمنى أن تكون والأسرة الكريمة على أتم ما يكون من صحة وطمأنينة بال حتى تنال حظك من الرياضة وتنهض به من عمل عظيم في تلك الأجازة، وإني أرسل إليك وإلى الأسرة أطيب تحية وأصدق سلام من صديق مخلص.

أمين الخولي

---

(٣) الإذاعة والتليفزيون ١٩٧٩/٤/١٤.

عبد الوهاب عزام خادم الإسلام

د. عبد الوهاب عزام الذى خدم العروبة والإسلام مفكرا وأديبا وأستاذا جامعيا ودبلوماسيا ومترجما ، قدم إلى العربية شاعر الإسلام محمد إقبال وقال إنه أول من حمل إلى الناس كافة وإلى المسلمين خاصة فى هذا العصر رسالة الأمل والقوة الروحية والحياة، ومن الآثار التى تركها عزام "النفحات والشوارد" "محمد إقبال حياته وشعره" ، "مهد العرب"، "رحلات" ، "التصوف"، وترجم الكثير من الشعر الفارسى والتركى، وعمل مراقبا عاما لجمعيات الشبان المسلمين حتى وفاته، وكان عضوا بمجامع سوريا والعراق وإيران ، فضلا عن عضويته لمجمع اللغة العربية، ولن نجد أفضل من طه حسين ليحدثنا عن عبد الوهاب عزام صاحب الحياة العريضة القصيرة، منذ ولد فى أول أغسطس ١٨٩٥ بقرية الشوبك محافظة الجيزة، ووفاته ١٩٥٩ ، وقد نعاه طه حسين فى مجمع اللغة العربية فقال عنه(*).

عرفته حين كان طالبا فى مدرسة القضاء وكان يختلف إلى دروسى فى الجامعة المصرية القديمة، وأشهد لقد كان أنجب الذين كانوا يختلفون إليها. كان من تلاميذ هذه المدرسة التى تعلم فيها المعممون من طلاب الأزهر إذ ذاك، كان يحسن لغتين أجنبيتين، ولست أنسى عجبى حين أردت أن أقرأ مع تلاميذى فى الجامعة كتابا من كتب أرسطاطاليس فى النظام السياسى لمدينة أثينا، ولم يكن هذا الكتاب قد ترجم إلى العربية ، وأردت أن يقرأ أحد التلاميذ فتقدم عبد الوهاب يقرأ لى وأفسر أنا له ولزملائه. ومرة أخرى أردت أن أقرأ معهم مسرحية من مسرحيات أرستوفان بالفرنسية فكان عبد الوهاب الذى يتقدم للقراءة دائما.

ثم افترقنا، ذهب إلى لندن فى المفوضية المصرية هناك ، وفى أثناء ذلك اختلف إلى دروس الجامعة البريطانية – جامعة لندن – وتخرج فيها بعد أن تخرج فى مدرسة القضاء وبعد أن سمع الدروس، وإذا لم تخنى الذاكرة فقد ظفر بالليسانس من كلية الآداب القديمة من الجامعة المصرية الحرة.

ثم استدعيناه إلى كلية الآداب فى الجامعة المصرية الحكومية فرأيته وقد كان تلميذا لى يصبح زميلا لى فى كلية الآداب، بدأ مدرسا فى الكلية وما أسرع ما رقى إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ ثم أصبح عميدا لهذه الكلية، ثم افترقنا مرة أخرى حين اختطفه السلك السياسى من بيننا فمضى

(*) جلسة المجمع ١٩٥٩/٣/٢٥.

هو يطوف في أقطار الأرض كما يقول المسعودى:

تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الأقصى وطورا إلى الغرب

فكان في البلاد العربية وفي الهند وفي الباكستان. كنا نلتقى من حين إلى حين في المجمع اللغوى حين يتاح له الإلمام بمصر. واعترف بأنى لم أعرف أحدا كان أخف روحا ولا أسمح نفسا ولا أسجح خلقا ولا أرجح حلما من عبد الوهاب عزام. كان حديثه ظرفا كله حين يمزح وحين يجد، وكان إلى هذا كله صاحب نزعة عربية حرة، سمحة مع ذلك ، لا تعصب فيها ولا إلحاح. كان مؤمنا بأن وطنه هو أرض العرب كلها، لم يكن يؤمن بأنه مصرى فحسب، وإنما كان في كل البلاد العربية مواطنا، كان يرى نفسه مواطنا عربيا ينزل في قومه حيث حل من هذه البلاد، ثم اقتضت به الأسباب السفر، فسافر إلى الهند وباكستان وألم بإيران وزار تركيا. وتظهر فيه نزعة أخرى فهو مسلم مخلص في إسلامه، سمح مع ذلك فيه، وهو مؤمن بأن كل دار الإسلام وطن له كما كانت الحال في العصور الإسلامية الأولى. وكذلك كان عبد الوهاب مسافرا قبل أن تشغله ظروف السياسة، وكان كثير الأسفار إلى البلاد العربية وإلى إيران وإلى تركيا، وكان يشهد بعض المؤتمرات العلمية - مؤتمرات المستشرقين بنوع خاص - وتشرفت بأن يكون زميلا لى حين شهدنا مع صديق لنا رحمه الله، أحمد أمين .. شهدنا جميعا مؤتمر المستشرقين في مدينة بروكسل فى بلجيكا . وأشهد الله فقد كان الوهاب مؤنسنا في تلك الأيام بدعاباته الحلوة، وإن أنس فلن أنس مداعبته لأستاذه وزميله أحمد أمين حين ذهب أحمد أمين إلى الحلاق في بروكسل ليصلح له من شعر رأسه وكان أحمد أمين يتكلم الإنجليزية ولا يتكلم الفرنسية، فجعل الحلاق يعبث فى شعره وكلما ألقى عليه سؤالا أجاب عليه "Yes" ، حتى إذا فرغ الحلاق نظر أحمد أمين فى مرآته فلم ير فى رأسه شيئا وإنما كان الحلاق قد أتى على ما كان في رأسه من شعر ، وتندر عبد الوهاب بهذا فى أبيات لا أذكر منها مع الأسف إلا هذا البيت الذى لا يستقيم عربية لأنه لم يكن يريد أن ينظم شعرا عربيا:

ونظر الأستاذ في المرايه فلم يجد في رأسه شعرايه

وكانت حياة عبد الوهاب عزام بين أصدقائه فكاهة متصلة ودعابة حلوة، كان هو الذى يؤنس جلساته ، سواء زارهم أو زاروه، كان حلو الروح عذب الحديث مشرق اللفظ محببا إلى النفس لا يستطيع الإنسان أن يفر من هذه الجاذبية التى كان يمتاز بها.

وهو قبل كل شئ كان ممتازا بين زملائه جميعا فى الجامعة لعنايته الشديدة جدا باللغات الشرقية. كان أستاذا للغة الفارسية في كلية الآداب وهو أول أستاذ مصرى علم هذه اللغة لا فى كلية الآداب فحسب بل في مصر في هذا العصر الحديث. وكان متقنا للتركية ثم لم يلبث أن تعلم الأردية ، كان حريصا أشد الحرص على أن يحسن اللغات الشرقية الإسلامية ولم يكن علمه بهذه

اللغات علم رجل ذى أثرة، يخص نفسه بالعلم ولا يفيض منه على المصريين والعرب شيئا، وإنما كان رجلا ذا إيثار يتعلم لنفسه من جهة ويتعلم قبل كل شئ لينفع قومه من جهة أخرى، وما رأيته فى يوم من الأيام الا مشتغلا بترجمة كتاب من كتب الأدب الفارسية أو التركية أو الأردية .

وبفضل عبد الوهاب عزام، استقر تدريس اللغة الفارسية والتركية فى جامعة القاهرة وانتقل منها إلى جامعات أخرى ومعاهد أخرى للتعليم. وبفضل عبد الوهاب عزام أخذنا نعرف أدب الفرس ونعرف من آثارهم وأمورهم شيئا غير قليل.

ويكفى أن أقول أن عبد الوهاب عزام هو الذى أحيا "الشاهنامه" وكانت الشاهنامة قد ترجمت فى أيام المماليك أو فى أواخر أيام الأيوبيين إلى اللغة العربية ثم أهملت ونامت فى المكتبات، ولم يذكرها أحد ولم يعرف عنها شيئا حتى تنبه عبد الوهاب عزام فأحياها وأتم ما نقص منها وأعاد النظر فى الترجمة القديمة فصححها وجعلها ملائمة حقا للأصل الفارسى وتقدم بهذا الكتاب "شاهنامة" وبدراسة عنه ليظفر بدرجة الدكتوراه من كلية الآداب فى جامعة القاهرة.

ثم مضى فى ترجمة الآداب التركية والفارسية والأردية. والأمة العربية مدينة لعبد الوهاب عزام أولا: بإحياء الشاهنامة ، وثانيا: بأنه نشر فى اللغة العربية شعر إقبال سواء منه ما نظم فى اللغة الفارسية وما نظم فى اللغة الأردية.

والأمة العربية مدينة له قبل هذا كله وفوق هذا كله بأنه وهب للأمة العربية تلاميذ نجباء يعلمون الفارسية فى جامعاتنا الآن ويعضون على سنته فى تعريب الأدب الفارسى ووصل الأسباب بين المسلمين من العرب والمسلمين من غير العرب. ولست أريد أن أسمى أحدا من هؤلاء التلاميذ ولكنكم ستسمعون الآن لتلميذ من تلاميذه هو الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب وهو خليفته على كرسى الأدب الفارسى فى كلية الآداب.

ولم يكن عبد الوهاب عزام يشغل نفسه بما يشغل المسافرون به أنفسهم، ولكنه دائما مفكر، وكان دائما باحثا، كان دائما مفكرا فيما ينفعه وينفع به أمته. يذهب إلى البلاد العربية السعودية فيحاول أن يعرف موقع عكاظ ويقف عند دار خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر لنا أشياء كثيرة قلما كان الناس يذكرونها فى هذه الأيام عن البلاد العربية. ويذهب إلى الهند وإلى الباكستان فيفرغ لترجمة إقبال ويترجم له طائفة صالحة من دواوينه.

وكان أغلب شئ على عبد الوهاب عزام فى حياته كلها منذ عرف اللغة الفارسية دراسته للمتصوفة وشعرهم وعلومهم، ولم يستطع أن يخلص من هذه الدراسة فقد غلب عليه التصوف وأصبح هو نفسه صوفيا إلى حد ما، كان يعايش الناس وكأنه واحد منهم ولكنه كان نجيا فيما بينه وبين نفسه حياة خاصة جدا لا يعرفها إلا الله وحده لأن هذه الحياة الخاصة كانت موقوفة على

معرفة الله، موقوفة على التفكير في الله، موقوفة على الاتصال بالله . ولا يكاد كتاب من كتب عبد الوهاب يخلو من هذه النفحات الصوفية، وهو إذ يترجم لإقبال إنما هو يترجم لصوفي مثله. ولم تكن صوفية إقبال صوفية انقطاع عن الناس والدنيا وإنما كانت صوفية إصلاحية يريد بها أن يصلح من حال المسلمين جميعا.

فيزون أن عبد الوهاب عزام مع أن حياته لم تطل كما نرجو أن تطول ، قد أتيحت له حياة عريضة كأعرض ما تكون الحياة ولكنها لم تكن كحياة ابن سينا تلك التي كان يؤثرها على الحياة الطويلة فقد كان ابن سينا يقول أنه يؤثر الحياة العريضة على الحياة الطويلة، ذلكم أن حياة ابن سينا كانت عريضة لنفسه وجسمه فهو قد ملأ الدنيا فلسفة ولكنه قد أخذ نصيبه من الدنيا ونعيمها ، وعسى أن يكون هذا هو من الأسباب التي قصرت حياته. أما عبد الوهاب عزام فقد كانت حياة عقله وحدها هي العريضة، كانت عريضة بإنتاجه الذي لم يهدأ في يوم من أيامه منذ فرغ من طلب العلم – وأريد منذ فرغ من طلب العلم على ذلك النحو النظامي المألوف في المعاهد والجامعات، فقد عاش طالبا للعلم ومات وهو يطلب العلم.

ولقد رأيته آخر مرة معنا في المجمع اللغوي يجادل عن اللغة العربية ويجادل في إصلاح الكتابة العربية ويحاول ما استطاع أن يتم هذا الإصلاح دون أن يمس هذه الكتابة العربية التي بلغتها العصور. كان ذلك يوم الخميس ثم سافر إلى الحجاز وبعد ذلك بيومين إلى نجد ثم لم يمكث إلا أياما قليلة حتى عاد إلى وطنه، ولكنه عاد إلى وطنه جسما بلا روح، أما روحه فليس لها وطن في هذه الدنيا وإنما وطنها هو ذلك الوطن الذي عاشت له وعاشت به ، ولم تفكر حين كانت تخلو إلى نفسها إلا فيه وهو هذا الوطن الروحي القدسي الذي لا يباح إلا للأخيار الذين سبق قضاء ربهم برضائه عنهم أبدا.

يرحم الله عبد الوهاب عزام ويعزي فيه أهله ويعزي فيه زملاءه ويعزي فيه الأمة العربية كلها، وما أراني مبالغا حين أتمنى على الله أن يعزي عنه الأمة الإسلامية كلها فقد كان عبد الوهاب عزام فوق هذا كله خادما مخلصا للإسلام في حياته كلها.

سرني أن خسرتُ الصدق

وفي رسالة لعبد الوهاب عزام إلى طه حسين يعلق فيها على ما أسماه العميد مكرة العام الماضي، والتي تدور حول إخبار عزام للعميد بنية أحمد أمين ، وأمين الخولي، التخلي عن التدريس بكلية الآداب لإغراءات مادية أمامهما، ولكنهما كذبا هذه الأنباء التي أقلقت طه حسين عميد

الآداب، بينما الذى ترك التدريس هو عزام نفسه، بعد أن أغراه السفر للعمل الدبلوماسى ، يقول عزام:

سيدى الأستاذ الجليل

أقدم لك وللسيدة والنجلين أخلص تحية، وأدعو لكم بكل عافية وسعادة

جاء الكتاب الكريم وأنا فى غمرات من فهرس الشاهنامة ومقدمتها ومما ورطت نفسى به من العمل فى كتب الأمير إبراهيم حلمى، ومن حر الصيف، فكان كتاب سيدى روحا خففت بعض الآلام ، وجلا بعض الغمرات فأنشدت مع مهيار:

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

ولسيدى الشكر العظيم على هذه الذكرى

وبعد فإن ما سميتموه مكرة العام الماضى كانت صدقا ولكنى حمدت الله على أن انقلب الأستاذان عما عزما عليه، فانقلب الصدق كذبا، وقد سرنى أن خسرت الصدق وربحت الأستاذين الصديقين. وفى كلية الآداب هذا العام أخبار وأخبار "وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون" وستعلم حين تقدم أنى لو أردت لأرسلت.

ضاق علينا زمن الأجازة ولا أزال ناصبا ، وأقصى ما أرجوه أن أظفر بأسبوعين قبل بدء الدراسة ، فادع الله أن يظفرنى بهما.

ثم أختم بتكرار التحية والتسليم وتقديم أوفر الشكر

١٣ أغسطس ١٩٣١ المخلص

عبد الوهاب عزام

حسرات وحنين

وفى رسالة تنقصها السنة التى كتبت فيها يستعيد عبد الوهاب عزام حنينه وذكرياته مع طه حسين ، بعد أن فارقه إلى عمله الدبلوماسى فى الخارج فيقول:

أستاذنا الدكتور الكريم

السلام عليكم وكل عام وأنتم بخير

ولعلكم كما أرجو عافية وسروراً.

وبعد.. فقد سمعت صوت أستاذنا يتحدث عن الأدب العربى وما يأخذه المحدثون عليه،

فعادت بي الذكرى إلى سنوات هي أحسن ما في العمر ، وأحبّه.. وأوغل فكري في ذكر كثيرة لسنوات طويلة، منذ جلست إليك لأستمع تاريخ اليونان، وأقرأ عليك كتاب تسديد إلى أن تركنا الجامعة أو افترقنا في الجامعة.

ويعلم الله أني لأشتاق إلى مجلسك وحديثك حيثما كنت من الجزيرة العربية أو أرجاء الهند.

وقد منعني من الكتابة إليك بعد تجشمك المشقة للتكلم في احتفال أهل الجيزة أن نفسي من هذه الذكريات ، وأخذها من الحنين ومن الحزن ما جعلها تهاب الكتابة وتشفق من إمساك القلم لتخط إلى الأستاذ بعض ما جال في خاطري ، بل صعد من زفراتي وسال من مآقيّ.

إن إعز شئ في هذه الدنيا ذكرى خلاّن اجتمعوا على طلب العلم فجمعهم الحب حينا ثم افترقوا ، ولست أدري أهذه الذكرى أعظم لذة في الحياة أم أشد ألم.

لقد قلت مرة إن عيب الدكتور طه في معاملته إخوانه أنه لا يضن عليهم بما يستحقون وما لا يستحقون ، وأنه يسرف في رعايتهم، ويستحل المحاباة لهم.

اعترف بهذا من اعترف وجحده.

وكذلك صدقت كلمتي يوم احتفال الجيزة. ويشهد الله لقد عزمت على أن أزورك بعدها، فلما فاتتني الزيارة عزمت على الكتابة فما نسيت وما تهاونت ، ولكن لم أجرؤ على الكتابة قبل هذه الساعة. وقد أقدمت عليها وفي النفس حنين وفي العين دموع. ثم خشيتها عجزا عن المضي فيها. وحسبي هذا العجز شكرا وثناء.

والسلام على أستاذنا الكريم ورحمة الله

المخلص

عبد الوهاب عزام

كراجي ١٩ رمضان

٢٣ مايو

الإسلام وأصول الحكم

بين علي عبد الرازق وطه حسين

يعرف(*) الشيخ علي عبد الرازق بكتابه القنبلة "الإسلام وأصول الحكم.. بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام" والذي حطم به آمال الملك فؤاد في تنصيب نفسه خليفة للمسلمين بعد إلغاء خلافة أتاتورك. حيث قرر علي عبد الرازق أن الإسلام دين فقط وليس نظاما للحكم، وأن الخلافة لا أصل لها في الدين ، وبإيعاز من الملك تم اضطهاده وإخراجه من زمرة العلماء، وإخراجه من وظيفته كقاضي في محكمة المنصورة ، وبعد فصله حصل على الدكتوراه" في الاقتصاد من جامعة اكسفورد، وبعد وفاة الملك فؤاد بدأ يعود إلى الحياة العامة وتولى وزارة الأوقاف.

وقد ارتبط طه حسين بآل عبد الرازق وكان دائم التردد على دارهم بل والإقامة فيها، وهم الذين ساعدوه كثيرا في بعض المحن والأزمات المادية التي واجهها. ولم يتردد طه حسين في الوقوف إلى جانب الشيخ علي عبد الرازق في محنته وراح يكتب "إيه أيها الطريد من الأزهر تعال نتحدث ضاحكين عن هذه القصة المضحكة.. يجب أن نحمد الله على السلامة.. فلو أننا في تلك العصور التي يحكم فيها الأحبار والكهان لحرقت مع كتابك".

وقد كان طه حسين على موعد مع محنة شبيهة عندما أخرج كتابه "في الشعر الجاهلي" ، ولم يعبأ "برأس الذئب الطائر" ، مما جعل البعض يظن أن طه حسين نفسه هو مؤلف "كتاب الإسلام وأصول الحكم".

والعلاقة بين طه وعلي عبد الرازق قديمة كما يقول(1) "عرفت الأستاذ علي عبد الرازق منذ أيام الطلب في الأزهر، ولم تقتصر علاقتي به وحده فقد شملت الأسرة كلها، وكانت لنا جلسات ممتعة في بيت آل عبد الرازق في عابدين ، وأذكر أنني رأيت والدة علي عبد الرازق وكذلك والده وكان هذا الرثاء شعرا ونشر ذلك في "الجريدة" "إن صلتي بعلي عبد الرازق كانت وثيقة جدا، وأذكر أن عليا وهو طالب في الأزهر قد استأجر حجرة قرب الأزهر ليستريح فيها بين الدروس ، نظرا لبعد منزل الأسرة عن الأزهر، وكان يصر علي أن أذهب معه إلى هذه الحجرة

(*) مواليد ١٩٠٨ بقرية أبو جرج بمحافظة المنيا.

(1) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره – د. محمد الدسوقي.

طوال فترة بقائه فيها، وكنا نقضي الوقت في مذاكرة بعض العلوم وقراءة كتب الأدب" وبعد صدور الحكم على الشيخ علي عبد الرازق "كتبت مقالين في "السياسة" عن هذا الموضوع، وهاجمت شيوخ الأزهر لتجريدهم الشيخ علي عبد الرازق من درجة العالمية وإبعاده من القضاء الشرعي، وخاصمت بعض هؤلاء مع اعتزالي بفضلهم عليّ مثل الشيخ سيد المرصفي، بسبب اشتراكه في محاكمة الشيخ علي" "والواقع أن الملك كان وراء محاكمة الشيخ علي، كما كان من وراء ما أثير حول كتاب "الشعر الجاهلي"، وأذكر أن المرحوم عبد العزيز فهمي كان وزيرا للعدل حين صدر الحكم ضد الشيخ علي فاستقال احتجاجا على هذا التصرف(**) ، على أنني قرأت أصول كتاب الشيخ علي قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيراً" (***).

وسوف تدلنا الرسالة التي كتبها الشيخ علي عبد الرازق إلى طه حسين على عمق الصداقة بينهما ، وطرافة الجدل بينهما حول قضية : من أولى بالاهتمام : السياسة أم العلم؟

ملوك الشاى

يقول الشيخ علي عبد الرازق في رسالته:

عزيزي طه

أحييك وأحيي زوجتك العزيزة وأنجالك وأبلغكم جميعا تحية عائلتي وأرجو أن تجدوا في مصيفكم من الراحة والمتاع ما يزيدكم عافية وصحة وسعادة ، ولعل أخانا مصطفى، واصل إليكم قريبا، فقد أنبأني أنه اعتزم أن يبحر من مصر يوم ١٧ الجاري وأظن أنه ذاهب مباشرة إلى "ليدن" عن طريق باريس، أما أنا فمصيف بالإسكندرية مع زوجتي في منزل استأجرناه، وقد وجدنا والحمد الله مقنعا في هذا المصيف المتواضع وغنينا بمنظر البحر وهوائه وبمعيشتنا القانعة الهادئة فوق ربوة تشرف على البحر من قريب، وترينا حركة التيارات وتسمعنا صوت الأمواج ، ونجد عندها سكنا ودعة واغتباطا، وهنيئا لقوم آخرين المصايف الأخرى. وجميع العائلة تقريبا في أبو جرج. وكلنا بخير والحمد الله.

لقد سرني كثيرا أنني خطرت ببالك ، وسرني أكثر أنك كتبت إليّ وأعجبني هزلك وجدك، ونصحك ولومك، وخطأك وصوابك، وكل ما كتبت ، فشكرا لك وهات زدنا من

(**) وانهيار الائتلاف الحكومي وقتها.

(***) ربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن مؤلف الكتاب هو طه حسين.

هذه الأحاديث، على أن شكرى إياك وإعجابى بك، وسرورى من أنك تفضلت فذكرتنى ، وكتبت إلىّ، لا تمنعنى من مخالفتك على بعض ما قلت خطابك. لا أبالى ضاق صدرك بهذا الخلاف أم اتسع، فقد أخذ الله علينا نحن الزعماء ألا نقر الناس إلا على الحق. ونحن نعلم أنكم يا رجال النبوغ العبقرى أحرج الناس صدراً بمن يخالفكم أو ينقدكم، والينهم أذنا لسماع المديح والتمليق ، ولكن الذى بنى على هذه الصفة نفوسكم، بنى نفوسنا على حب الخلاف والجدل واستكراه الملق والمديح، فأقام بذلك أسباب التفاوت كبيرا بين الزعامة الحقيقية والنبوغ الحقيقى حتى لا ينبغ زعيم ولا يتزعم نابغ ، ولا يتعارف نابغ وزعيم . ولولا أن الله خرق لك القاعدة وجعلك بين رجال العبقرية شاذا فجمع فيك بين النبوغ والزعامة ، لما كان للتعارف بيننا من سبيل، ولكن الزعامة دوحة تضمنا معا، ثم يميزك بعد ذلك النبوغ المعقر، فإذا نحن مختلفان . وإذا بعض الذى قلت فى خطابك الأخير يثير فى نفسى إنكاراً عليك ويغريها بالشغب والجدل. ولقد يكون من اللغو أن آخذ الآن فى مناقشتك بعد إذ تبينت فيك اجتماع العبقرية النابغة والزعامة ، وأنك تضيق صدراً بالخلاف والنقد، وتلين أذنك لسماع المديح والتمليق، ثم يتسع صدرك فتحب الخلاف والجدل، وتكره الملق والمديح وأن الله ألف فيك بين الغريب والغريب، والنقيض والنقيض ، فأنت تخلص منحدا، وتلحد مخلصا، وأنت تجد هزلا وتهزل جدا، وأنت تطول أيامك فى باريس وتقصر، وأنت عن أصدقائك راض ساخطا وساخط راضيا. وبعد فهل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن يجد المرء شيئا من اللذة المرة فى أمر من الأمور.

ولقد نعرف نحن الزعماء فقط أن المرء يكون على نوع من التساهل لذيذا ، فأما اللذة فلا نعرفها إلا حلوة ولا نستسيغها إلا كذلك فإذا أمرّت فانحراف والعياذ بالله فى الصحة وشئ فى الذوق، فأما أنتم أيها الزعماء النابغون فمذاهبكم فى الأمور غير مذاهبنا، وحكمكم عليها غير حكمنا، فعندكم البارد والحار، والمربع والمدور، والسرور الحزين والبكاء الضاحك، ثم هل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن تريدنى على أن أفرغ وإياك "لهذا الجهاد العقلى الذى يحلو ويمر ويلذ ويؤلم ، ولكنه يفيد الناس ويفيدنا نحن على كل حال" "وأن أترك السياسة لأصحابها وأصرف نفسى عن هذا النحو من اللعب المضنى إلى شئ من الجد فى العلم والدين" إلخ. لو أريت أيضا أن أجعل هذه الدعوة موضع جدل بيننا بعد الذى قلت لك من قبل فلعل ذلك كلام جمع الله فيه بين أسرار الزعامة وأسرار النبوغ مما لم نصل إليه ولم نهتد بعد إلى حكمته ومعناه، ولكن الذى يستطيع أن يفهمه أمثالى من فقراء النبوغ والعبقرية هو أن مجال السياسة خير من مجال العلم وأجدى، وإلا فلتكن

السياسة والعلم على حد سواء. أما أن يكون هذا الجهاد العقلي الذي ذكرت خيرا من السياسة فشيء تقولون به أنتم نوابغ العلماء وحدكم - إلا فقولوا - لقد أخشى أن أكون من الملحدين في العلم بأشد من إلحادك في السياسة ، وأن يكون إنكاري عمل العلماء أكثر من إنكارك عمل السياسيين.

سألت مرة بعض الإخوان: ماذا يعيب الكون لو أن الله أرسل في لحظة واحدة شيئا يدمر كل ما في المكاتب العامة والخاصة من كتب قديمة وحديثة مطبوعة ومخطوطة، فلم يترك كتابا ولا صحيفة؟ أفهل يرجع ذلك بالعالم إلى الوراء، وهل يغير من نظامه شيئا؟ والآن أوجه إليك هذا السؤال وأزيد فيه، لو أن الله جمع أولئك العلماء وأعني فطاحلهم - وفطاحل العلماء عندكم هم المنقطعون للعلم لا يريدون غير العلم - فرفعهم إلى السماء في لحظة واحدة، أوخسف بهم الأرض حتى لم يبق فوق ظهرها كتاب ولا عالم من أولئك العلماء ، أفترى هل يضطرب لذلك شيء من نظام الكون وتنحط درجة هذا التمدن الحاضر، أم يمضي كل شيء في طريقه قدما كأن لم يحدث حادث ، ولم ينقص من الدنيا عنصر من عناصر كمالها وبهجتها؟

وهل سيتعطل سير المراكب أو الترامويات أو البوابير أو الأتومبيلات أو الطيارات، وهل تتأثر أثمان القطن وأسعار البورصة، وهل تسقط وزارة أو تتغير حكومة، أم ماذا يحصل في الأرض أم في السماء؟

إن غاية ما يمكنكم أن ترفعوا إليه قدر هذا العلم أن تجعلوه حشيشا كالذي يحرقه الحشاشون، أودخانا يدخن، أو أفيونا يبتلع، أو خمراً تشرب، وغاية ما تصل إليه دور الكتب أن تكون غرزة أو قهوة أو حانة ، وغاية أولئك العلماء ، وإياهم أعني - أن يكونوا في طبقة ملوك الشاي وأهل الكيف البارعين تطاردهم وتفاوضهم وتنابذهم ، فإذا ماناهم أذى بكينا عليهم وقلنا كانوا جمال الأرض ومظهر التجليات الفنية ، وغذا الأرواح، كما بكت الجارية المجنوز عمر بن أبي ربيعة لأنه كان أمير الغزل وشاعر التشبيب والنسيب.

فأما السياسة فأقل شأنها في مصر أن ترفت عمدة أو تعينه، وأن تقدم موظفا أو تؤخره، وأن ترهب حاكما أو تؤمنه ، وأن ترضي أناسا أو تغضبهم ، فإذا ما ارتفت عن ذلك شيئا، فشركات تنشأ، وقناطر تبنى واحتكارات تعطى، ومشروعات .. أعزك الله - قد تفيد الناس وتفيدنا نحن على كل حال . فإذا ما ارتفت عن ذلك فثمت من النعيم والملك الكبير ما تعرف وما لا تعرف، وما تفهم ومالا تفهم من لذة غبرة مرة، ومن جهاد يحلو فلا يمر ويلذ فلا يؤلم.

وبعد فأنت تشكك كثيراً في أن الزعامة السياسية مخصبة منتجة، فهلا شككت كذلك في أن الجهاد العلمي مخصب أيضا ومنتج؟ وهلا تأذن لي أن أشكك أنا ذلك الشك وأن أستعير بعض عباراتك وطريقتك في التدليل، فأشفق عليك من زعامتك العلمية ، فهي ثقيلة شاقة لا تخلو من مرارة ، وربما شككت كثيراً في خصبها وانتاجها لا لأنك عاجز عن أن تأتي بالمعجزات وتغير الحال بين مشرق الشمس ومغربها ، بل لأن بلادنا لم تنضج بعد ليشتغل فيها أمثالك بالعلم، فمثلك إنما ينتج بشرطين : الأول أن يشتغل في بلد حر حقا يحب الحرية كما يحب الحياة، ويحرص عليها كما يحرص على الهواء أو الماء، وما تزال امام مصر مسافة بعيدة جدا يجب أن تقطعها قبل أن تبلغ هذا الطور. الثاني أن يشتغل في بلد قد بلغ الرشد وجاوز الصبى ، ومازلنا والحمد لله في العلم أطفالا وصبيانا، فلو تركت العلم لأصحابه وصرفت نفسك عن هذا النحو من اللعب المضني إلخ. إلخ. وأراني قد أطلت ولما أبلغ من القول ما أريد، ودون أن أبلغ المراد مسافات أخرى طوال قصار، ومتعبة مريحة، وخفية واضحة، أو لعلي قد بلغت بك الغاية من حيث تدري ولا تدري.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة. وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.

ففكر في هذا وسأفكر فيه أيضا حتى إذا التقينا إن شاء الله فقد ننتهي إلى قرار.

والسلام عليك ورحمة الله

٨ أغسطس ١٩٣١ بالإسكندرية

علي عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق
صاحب أول عمامة فى مجلس الوزراء

الشيخ مصطفى عبد الرازق(*). (١)هو أول وزير يدخل مجلس الوزراء وفوق جسمه الجبة وليس البدلة الأفرنجية ، وعلى رأسه العمامة وليس الطربوش، وفى داخل رأسه مزيج رائع من خلاصة أفكار الأفغانى وآراء الشيخ محمد عبده، لقد كان وزيراً للأوقاف، تعلم فى الأزهر، والتحق بجامعة السوربون ، وألقى محاضرات فى جامعة ليون، وعمل أستاذا للفلسفة بآداب القاهرة، وصار شيخا للأزهر فكان أول من أدخل اللغات الأجنبية إلى الجامعة الأزهرية، ويرى د. عبد الحميد يونس أنه "رائد الفلسفة الإسلامية فى مصر".

وتدع د. طه حسين ليحدثنا بأسلوبه الفريد عن صديقه ، حين رثاه متذكرا مواقفه فى المروءة والصبر على أذى الناس.

يقول طه حسين فى رثائه الذى حرص على الاحتفاظ بنصه بين أوراقه:

العقاب على المروءة

"فما أعرف أن أحداً شكا منه أو أضمر له شرا أو احتفظ له فى نفسه بموجدة أو ضغينة؛ لأنه كان مكفوف الأذى عن الناس جميعاً، مبسوط الخير للناس جميعاً. وأكثر ما يسىء بعض الناس إلى بعض حين يعجلون فى الرأى والقول والعمل . ولم يكن يعجل فى شىء من هذا ؛ فلم يكن يسىء إلى أحد. وقد كان الناس يعجلون عليه فيلقونه بالكلمة النابية أحياناً، ولكنه كان يعرف كيف يستأنى بهم ويحلم عليهم ويردهم إلى الحياء من أنفسهم قبل أن يستحوا منه. وفى الطبيعة الإنسانية شر كثير ؛ فقد كان بعض الناس يكيدون هذا الرجل الذى برئت نفسه من الكيد، ولكنه كان من طهارة القلب وصفاء النفس ونقاء الضمير بحيث لا يؤذيه كيد الكائدين. كان يرتفع عن

(*) مواليد ١٨٨٥ بأبو جرج بمحافظة المنيا.

(١) عادل الملك – أكتوبر ١٩٨٧/٦/١٤.

الصغائر كلها، وأى شئ أصغر من الكيد! كانت صلاته بالناس كلها صفواً. وكان هذا الصفو يأتى منه أكثر مما يأتى من الناس ؛ وكان هذا الصفو يأتى منه لأنه كان يستأنى بالناس دائماً ولا يعجل عليهم فى شئ. وأذكر أنه فى ذات عام من الأعوام تعرض لبعض الشر فى منصبه الذى كان يشغله بوزارة العدل، فلم يعجل ولم يسرف على نفسه ولا على أحد بقول أو عمل، وإنما ابتسم للمكروه حين أقبل عليه، وابتسم للمكروه حين أدبر عنه ، ولم يصرفه هذا المكروه لحظة عن حياته النقية الصافية ، وصلاته الأبية الكريمة بالناس.

كان ثروت باشا رئيساً للحكومة، وكان الخلاف عنيفاً بين الحكومة والوفد، وكان سعد بعيداً عن مصر فى منفاه فى أقصى الشرق أو فى أقصى الغرب، لا أذكر. وكانت أسرة مصطفى عبد الرازق مؤيدة للحكومة مخاصمة للوفد ، ولكن صلات قديمة كانت تصل بين سعد وبين أسرة عبد الرازق، فلم تستطع الخصومة على عنفها أن تبلغ هذه الصلات فى قلب هذا الصديق الكريم. وقرأ الناس فى الصحف ذات يوم أن مصطفى عبد الرازق مر بدار سعد وترك بطاقته لمناسبة عيد من الأعياد، فلم ينكر أصدقاء مصطفى من ذلك شيئا. ولكن أيام العيد تنقضى ويستأنف مصطفى عمله فى وزارة العدل. وإنه لفى ذلك وإذا الوزير يدعوه فيسأله: أفى الحق أنك ذهبت إلى دار سعد ؟ قال مصطفى: نعم. قال الوزير: أتعلم أنك موظف ، وأن الموظفين لا ينبغى أن يسعوا إلى الدار التى تخاصم فيها الحكومة؟ قال مصطفى: لا أعلم إلا أن بينى وبين سعد صلات مودة قديمة ، وأن أيسر الوفاء لهذا الود يفرض علىّ أن أمر بداره أيام العيد. قال الوزير: فإنك منقول إلى أسيوط. فلم يزد مصطفى على أن ابتسم وانصرف.

وكان ثروت باشا غائباً عن القاهرة، فلما عاد وصل إليه النبأ، فتقدم إلى وزير العدل فى أن يلغى هذا الأمر السخيف؛ لأن ثروت باشا كان كمصطفى عبد الرازق يقدر صلات المودة بين الناس، ويعلم أن هذه الصلات حقوقاً لا يقصر فيها الرجل الكريم.

وأشهد لقد سمعت ثروت باشا يقول متضاحكا : سامح الله وزير العدل! يريد أن يعاقب رجلا على مروءته".

"إن الذين يألمون لفقد مصطفى من أهله وذوى خاصته ومودته من الأصدقاء الأقربين ومن الذين وصلت بينه وبينهم شؤون الحياة الاجتماعية لقليلون جداً بالقياس إلى هؤلاء الناس الكثيرين الذين لا يعرفهم أحد أو لا يكاد يعرفهم أحد، والذين كان مصطفى يتلقاهم كما كان يتلقى أرفع الناس قدراً، ويسعى إليهم كما كان يسعى إلى أرفع الناس قدراً، ويرفق بهم كما كان يرفق بأقرب الناس إليه وآثرهم عنده؛ لا يتكلف ذلك ولا يشق على نفسه به، وإنما يراه شيئا طبيعيا لا يحتاج إلى جهد أو عناء. كان يصنع ذلك حين كان طالباً فى الأزهر، يسمر إذا أقبل الليل مع أرفع

المصريين مكاناً في داره، ويسعى إذا أقبل النهار مع الطلاب من جميع الطبقات، يسعى بينهم كواحد منهم لا يجدون منه كبرا ولا شيئا يشبه الكبر. وكان يصنع ذلك بعد أن أصبح عالماً من العلماء وأستاذاً في مدرسة القضاء. وكان يصنع ذلك طالباً في أوربا مع رفاقه من المصريين والفرنسيين جميعاً قبل أن تثار الحرب الأولى وبعد أن أثيرت. وكان يصنع ذلك بعد أن عاد من أوربا وقد شغل المناصب المختلفة في الأزهر ووزارة العدل وفي الجامعة بنوع خاص، في الجامعة حيث يسعى الفقر والغنى مصطحبين، يظهر الغنى نفسه في بعض الطلاب من الفحة، ويخفي الفقر نفسه في كثير من الحياء. في الجامعة حيث يذهب بعض الطلاب في السيارات وإن قربت الدار، وحيث يذهب بعضهم سعياً على الأقدام وإن بعدت الدار. في الجامعة حيث تؤدى قلة قليلة أجور الدرس عن سعة، وحيث تشقى كثرة كثيرة بالعجز عن أداء هذه الأجور. في الجامعة لا يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً لأنه يلقي الدرس على وجهه ويعلم الشباب كما ينبغي أن يتعلموا فحسب، وإنما يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً حين يتفقد شؤون هؤلاء الشباب في أناة وخفة ورفق، وحين يعلم من خفي أمرهم ما يعلم، فيصلحه بالحب والعطف والعون الذى لا يصدر عن تفضل ولا عن تطول، وإنما يصدر عن محبة ومودة، لا يكاد يشعر به من يبذله، ولا يكاد يشعر به من يتلقاه.

وأشهد لقد كان مصطفى أصلح الأساتذة جميعا في كلية الآداب من هذه الناحية التي لا يكون الأستاذ أستاذاً إلا بها.

هذا بعض آثار الأناة في الصلات بين مصطفى وبين الناس. ولكن للأناة آثارا أخرى في حياته الخاصة، في حياة مصطفى الأديب الذى لم يكن يحب التعجل بما يكتب ولا بما يقول، وإنما كان يختار اللفظ ويلائم بينه وبين المعنى، يبذل في ذلك أعنف الجهد وأقساه، يخلو إلى ذلك حين يتفرق عنه الناس أى حين يتقدم الليل. يقتطع لذلك من وقت راحته ومن الوقت الذى كان ينبغي أن يختص به نفسه وأهله. يحكم المعنى، ويحكم اختيار اللفظ لهذا المعنى، ولا يكتفيه ذلك حتى يلائم بين اللفظ واللفظ وبين المعنى والمعنى، وحتى يخرج القطعة الأدبية كأنها قطعة الحلي قد صيغت كأحسن ما يصاغ الحلي على أدق أصول الفن وقواعده. وما أعرف أن أديباً معاصراً أتيحت له الإجادة الفنية كما أتيحت لمصطفى ، ومصدر ذلك أنه كان يستأني بإنتاجه، ولا يعجل به.

وللأناة أثرها البالغ في حياة مصطفى الأستاذ، وفي حياة مصطفى الباحث، فلم يكن يحب أن يجل بالدرس قبل أن يتقن إعداده كأحسن ما يكون الاتقان، ولم يكن يحب أن يتعجل تلاميذه بالفهم عنه. وإنما كان يأخذهم بالأناة في القراءة وفي الفهم وفي التفسير كما كان يأخذ نفسه بها. ومن أجل هذا كان له تلاميذ بأدق معاني هذه الكلمة بين الشباب الجامعيين. وكان يستأني

ببحثه عن أى مسألة من مسائل العلم، يستقصى ما وسعه الاستقصاء، ويحلل ما وجد إلى التحليل سبيلا، ويقلب النص على كل وجه من وجوه التقليب، ولا يتعجل بعد ذلك بإصدار الحكم، وإنما يضع أمامك النصوص ويعينك على فهمها واستخراج الحقائق منها.

ومن أجل هذه الأناة كان مصطفى أديباً مقلا، وعالماً مقلا. وربّ قليل خير من كثير".

"وكان مصطفى أعرف الناس بحقوق العلم على العلماء. وما أقل العلماء الذين يعرفون ما للعلم عليهم من حقوق! إنها نكبة فى الإصلاح بأوسع معانى الإصلاح! فقد كان مصطفى أحسن خليفة يمكن للأستاذ الإمام، ورث عنه علمه وطموحه إلى الخير، وأضاف إلى هذا التراث من العلم بالحضارة الحديثة شيئا كثيراً . وأتيح له منذ تولى أمر الأزهر مالم يتح لأستاذه من السلطان. فكان خليقاً أن يمضى بالإصلاح الدينى والعلمى والخلقى فى البيئة الأزهرية إلى أبعد الغايات. وأشهد لقد كان يعمل لذلك جاداً، ولكن فى أناة ورفق.

رحم الله مصطفى ! وأعزز علىّ بأن أملى هذا الدعاء. رحم الله مصطفى! لقد كانت الأناة أخص صفاته، ولكن الأناة ليست من صفات الموت. ليت الموت أستأنى بمصطفى ليتم ما يسر له من الخير. ولكن الموت لا يستأنى بأحد. وربما كان أبغض شئ إلى الموت أن يستأنى بالأخيار من الناس".

طه حسين

رديئها وجيدها

وبين أيدينا رسالة من الشيخ مصطفى عبد الرازق أرسلها أثناء مصيفه بالخارج إلى طه حسين أثناء أزمة الشعر الجاهلى التى وقف فيها الأحرار الدستوريون بجانبه، ونصيحة ثروت باشا له أن يتوقف عن الرد والرد المضاد فى الصحف، فى الوقت نفسه قاومت الحكومة ضغوط المشايخ والتزمت بحماية طه حسين .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق فى خطابه:

١٩ أغسطس ١٩٢٦

أخى العزيز

أما كتابك الأخير فقد حمل إلىّ أخبار مصر وتركنى غير محتاج إلى قراءة الجرائد ولا السؤال عن الأحوال ، وقد عملت بنصيحتك فى الهجوع ما استطعت، ولعل تأخير كتابى عنك من أثر هذا الهجوع.

ومالي لا أهجع وتهجع معي مادام ثروت باشا يوحي إلى "السياسة" أن لا تكتب لك شيئا ، ويوحي إليك ألا تكتب في الصحف أي أن تهجع بعبارة أخرى.

لما تركت مصر كان آخر ما عندي من أنباء كتابك أن شيخ الجامع حشد وفدا من الشيخ بخيت والشيخ قراعة وأضرابهما، وطلبوا من عدلي باشا أن يحدد لهم موعدا يلقاهم فيه فابلغهم أنه مستعد لمقابلة شيخ الجامع وحده، وسمعنا أنه قال للشيخ : إننا الآن في حكومة دستورية تسيرها قوانين ولا تملى عليها إرادة الشيوخ.

لكن "كوكب الشرق" بقي وحده يبدئ ويعيد في الرد على "الكتاب" بقلم مصطفى صادق الرافعي، فهل حدثت بعدنا تطورات أخرى؟

ولست أدري بأسا بأن تستريح من الكتابة إلى الجرائد في هذه الأيام عملا بمشورة ثروت باشا. وهل جاء ثروت باشا إلى أوربا؟ فقد كنت أعلم قبل سفري أنه على نيته المجن بحرمه في أوائل أغسطس.

في "إكس" بعض المصريين ، بل إن معي في الفندق منهم نساء ورجالا ، لكنني بعيد عن هؤلاء وهؤلاء، وكانت معنا أميرتان، أما إحداهما فشاب في ميعته وأما الأخرى فشباب إلى حد ما ولكنها أقل ميعة، وقد مضتا إلى باريس من قبل أن أتعرف إليهما، كأنما كتب علينا ألا نجني من تلك العائلة إلا أردأ ما فيها . ولتذهب إلى الشيطان برديئها وجيدها. وسلام عليكم جميعا وتحيات زكيات.

مصطفى عبد الرازق

مؤامرات السنهوري وتناقضات طه حسين!

د. عبد الرازق السنهوري عبقري القانون الذي كان يوصف بأنه "يفلق الشعرة بالطول" ، يجمع بينه وبين عبقري الأدب طه حسين أن كلا منهما قد تولى أمر وزارة المعارف ولكن في حكومات متعادية، ورغم اختلاف المشارب السياسية التي مسار فيها الرجلين إلا أن بعض وجوه التقارب كانت تؤلف بينهما مع وجود بعض وجوه التباعد في الرؤى والأفكار والنظرة للأشياء، وإن كانت السياسة قد أفسدت في النهاية ما بينهما من ود وصداقة ، على الأقل من جانب طه حسين.

وأمور السياسة نفسها وتقلباتها غير المأمونة هي التي أفسدت كثيراً من العلاقات بين أدباء أصدقاء نتيجة لانتماءاتهم الحزبية، وهي طبيعة العصر الذي لم يكن بقدرة الأديب أن يحتمي بأدبه دون اللجوء إلى حزب يستند إليه ويتحدث من خلال صحفه حتى وإن لم يكن عضوا في الحزب أو حتى مقتنعاً بمجمل أفكاره ومبادئه، فكان انتقال الأدباء بين الأحزاب ظاهرة أخذت عليهم ونالت من أقدارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة ، ولعل ذلك ما حدا بإحدى الصحف آنذاك لأن تنتقد هذا المسلك في معرض الإعجاب بطه حسين والسنهوري ، وإن أرجعت المسئولية في ذلك إلى الأحزاب نفسها التي تريد أن تقوي نفسها بأمثال هؤلاء العباقرة، فتقول هذه الصحيفة "هو "أي السنهوري" وطه أستاذ جامعة، كل "منهما أهلته مواهبه لالتقاط الأحزاب فجاء دورهما السياسي مثل البقعة السوداء في الثوب الأبيض.." "مثل هؤلاء الأفذاذ كان يجب ألا تتخلى عنهم الجامعة ولا مناصب الأستاذية ، ولكن ما الحيلة في أساليب الأحزاب السياسية، إنها كلما افتقرت التقطت ، وكلما احتاجت اقتنصت"[1] وقد كانت بعض مواقف وآراء طه حسين السياسية مما أخذ عليه لتحوله على سبيل المثال من ذم الملك والحملة عليه إلى الدرجة التي حاربه فيها الأخير وأغلق عليه كل المنافذ في الجامعة والصحافة حتى اضطر طه حسين إلى التفكير في الهجرة ومغادرة الوطن بلا عودة. وتحول طه حسين من معاداة الملك إلى الإشادة به وبوالده، مما جعل طه حسين يبرره بالمهادنة من أجل الهدف الأكبر الذي كرس حياته له من أجل نشر التعليم وجعله حقا للجميع كالماء والهواء، وهو ما حاول تحقيقه أثناء تقلده لمنصبه كوزير للمعارف بعد اعتراض الملك على ترشيحه وإصرار النحاس باشا على نفاذ ذلك الترشيح وهو ما تحقق بالفعل.

---

(١) المصور ١٩٤٨/٧/٩.

وكذلك كانت الحالة بالنسبة لعبد الرزاق السنهوري الذي كان يضطر لمخالفة قناعاته بسبب السياسة ، أو كما تصفه الصحيفة المشار إليها سابقا أنه "يجيد الكلام كل الإجادة إذا اقتنع ولا يجيده متصنعا إذا لم يقتنع، فهو محامي القضايا السليمة ذات الوضوح لا القضايا العليلة ذات الرضوض والجروح، يملك زمام ذهنه ولسانه إذا تكلم وشرح شرح المحاضرين ، ويفلت منه الزمام إذا خطب بأسلوب السياسيين" ولعل هذا التناقض الذي شاركه فيه صديقه طه حسين هو ما حدا به "أي السنهوري" إلى اتخاذ مواقف متطرفة ضد الوفد وزعيمه حين صار وصديقه سليمان حافظ "المفتيان القانونيان للثورة ورجالها" حيث كان فيما يبدو يصفي حسابات قديمة لمعاداة الوفد له، لمشاركته الخارجين والمنشقين على الوفد وزاراتهم التي اضطهدت الوفديين ونكلت بهم ، وقد دفع السنهوري ثمن تجاوزه عن القانون والدستور لصالح الثوار، وضد الوفد، ما انتهى به إلى الاختفاء عن الحياة العامة، لأن الاقتراب أكثر مما يجب من السلطة لا نتيجة له في الغالب إلا الاحتراق، وإن كان طه حسين أكثر ذكاء وخبرة في التعامل مع الثوار فكان اعتداله سببا في نجاته.

الكوارث المتكررة

ومن العجيب أن السنهوري حين صار وكيلا لوزارة المعارف التي صار النقراشي (أستاذه بالمدرسة الثانوية بالإسكندرية) وزيرا لها ١٩٣٩ ، أبرق إليه طه حسين وهو في باريس والحرب العالمية الثانية تدق أبواب أوربا، مهنئا إياه والنقراشي معبرا عن سعادته "لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير" متمثلين في الوزير ووكيله ، بل ويؤكد طه في رسالته أن له فضلا في المنصب الذي وصل إليه السنهوري، ومن العجيب أن طه حسين الذي عبر عن هذه المشاعر الفياضة نحو صديقه السنهوري، الذي صار وكيلا لوزارة المعارف هو نفسه الذي اشتكى منه "حين عين وكيلا لوزارة المعارف مع النقراشي، أخذ السنهوري يكيد لي ويتآمر عليّ وأنا لا أدري"[1] وقبل أن نتحدث عن أسباب تهنئة طه حسين للسنهوري ثم النظر بعد ذلك في شكواه منه، علينا أن نقرأ رسالة التهنئة أولا وهذا هو نصها كما كتبها أو أملاها طه حسين الذي أشار فيها على الوكيل ووزيره بما يجب لإصلاح التعليم، يقول في :

(٣٠ أغسطس ١٩٣٩) حيث كانت الحرب العالمية الثانية تدق الأبواب.

---

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره – د. محمد الدسوقي – دار المعارف ١٩٩٢.

أخي العزيز

تحققت أمس أنك أصبحت زعيما من زعماء التعليم بعد معالي الوزير فهممت أن أبرق إليك مهنئا، ولكن استحييت من عامل البريد الفرنسي ، فإن هذه الظروف التي نحن فيها لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهنئات مهما تكن أسبابها ومصادرها، واكتفيت إذن بأن أرسل إليك هذا الكتاب طائراً كما يقال إن كانت الظروف العامة لا تزال تسمح للرسائل بأن تطير.

وما أظنني في حاجة إلى أن أعرب لك عن اغتباطي بهذه التضحية التي فرضت عليك فلعل معالي الوزير يذكر أني اقترحتها عليه حين كان وزيراً للمواصلات أيام حكومة الوفد.

فأنا إذن سعيد لأن أمنية من أمانيّ قد تحققت، وأنا أشد سعادة لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير، وهل يستطيع الإنسان أن يتمنى خيراً من أن يكون النقراشي باشا وزيراً للمعارف والسنهوري وكيلاً.

وأنا أعلم أن النقراشي باشا لم يحسن إليك حين كلفك هذه المهمة ، فقد وضعك في بيئة ما أظنك تحبها حبا شديداً، وقد حملك أثقالاً ما أشك في أنك كنت تفضل عليها أثقال الفقه القديم والحديث ، ولكن التضحية واجبة على الأكفاء دائما، وهي أوجب عليهم في هذه الظروف الخطرة التي تحيط بحياة الناس، وكل ما أتمناه الآن هو أن تصلح الظروف العامة وأن يظل السيف والمدفع صامتين ، وأن تظل الكلمة للعقل والقلب، فيستطيع وزير المعارف ووكيلها في مصر أن يصلحا وأن يصلحا كثيرا ، وأن يصلحا في أشد مواطن الحياة المصرية حاجة إلى الإصلاح. وما أشك في أن وزارة المعارف ووكيلها يتمنيان ذلك أيضا، ويقرران أن أساس الإصلاح التعليمي في كل مكان وفي مصر خاصة إنما هو تقديم الأداة قبل كل شيء. تقويم الديوان ، ثم تقويم المعاهد التي تعد المعلمين، فأما برامج التعليم ومناهجه فإن العناية بها تأتي بعد ذلك . ولكن أخشى أن أكون طفيليا وأن أتحدث فيما ليس لي أن أتحدث فيه، فأنا رجل جامعي والجامعة مستقلة عن وزارة المعارف. ووزارة المعارف مستقلة ويجب أن تكون مستقلة عن الجامعة كما كان يقال في البرلمان منذ أسابيع. فتقبل إذن تهنئتي خالصة صادقة بمنصبك الجديد وإن كانت وزارة المعارف أحق منك بهذه التهنئة .

أما أنا يا سيدي فموحوس ("فمحبوس" كما تدل العبارة التالية وإن كان الذي أملاه طه قد أخطأ في سماعها ومن ثم في كتابتها) في فرنسا لا أدري كيف أخرج منها في هذه الظروف العصيبة، فنحن مهددون بالكارثة بين حين وحين وما ينبغي أن نركب السفينة الآن لنتعرض للخطر بعد يوم أو يومين ، ولست أنا بالذي يحسن الاجتهاد لنفسه ولأسرته إن حاق

بالسفينة بعض الخطر. فلابد لى إذن من البقاء هنا حتى تنجلى الأزمة ولكن هل تنجلى؟ وعلى أى نحو تنجلى ؟ أما إن صارت الأمور إلى السلم فإنى عائد إن شاء الله ، وتارك كلود "الاسم الفرنسى الذى اختارته زوج طه لتنادى به ابنهما مؤنس" ليتم تعليمه فى باريس. وأما إن صارت الأمور إلى الحرب لا قدر الله فهذه عقدة العقد المعقدة تعقيداً كما كان يقال فى بعض القصص التمثيلية المضحكة. ولعلك تذكر أنى كنت طلبت أجازة طويلة فرفضت ، فيظهر أن الأقدار تريد أن أمنح هذه الأجازة ، وما أظن أن الحكومة المصرية تأباها علىّ، وأن كنت لا أدرى ماذا أصنع بها وقد تركت كتبى وسافرت مفر من قرر العودة . وإن كنت لا أدرى أيضا كيف نعيش فى فرنسا بما يبقى لنا من مرتبنا بعد الذى ننفقه منه آخر الشهر فى أداء ما لابد من أدائه.

هذه هى الخواطر التى نعيش فيها منذ أسبوع وهى كما ترى قاتمة مظلمة أشد الإظلام، فلعل الله أن يصنع للإنسانية وأن يجنبها هذه الكوارث المنكرة.

وأنا آخر الأمر أريد أن أعتقد أن لى فى مصر أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى، إن كان ما لا نرجو أن يكون.

وأنا أهدى إليك وإلى السيدة الجليلة والآنسة نادية (ابنة السنهورى) تحياتنا جميعا طيبة صادقة وتهنئاتنا جميعا عميقة خالصة، وأرجو أن تقرآن تحيتى على حضرة صاحب المعالى الوزير . ولعل هذا الكتاب أن يصل إليك.

طه حسين

حياة القرن العشرين مع القرن الثانى

وتبدو مخاوف طه حسين واضحة من خطر قيام الحرب وهو فى باريس فيصبح أمر عودته لمصر صعبا إن لم يكن مستحيلا وهو فى ذلك يستنجد بـ "أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى"، ولعل من هؤلاء الأصدقاء د. عبد الرزاق السنهورى نفسه الذى يكتب إليه مهنئا إياه كوكيل لوزارة المعارف فى ظروف "لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهنئات" وهذه الصداقة لها تاريخ يعدد فيه طه حسين أفضاله على صديقه السنهورى، فيقول:

"بعد عودة الدكتور السنهورى من فرنسا وتعيينه بالجامعة ، جاءنى يشكو لأنه لم يرق إلى درجة أستاذ ، على حين رقى غيره، وقد سعيت لترقية الدكتور السنهورى إلى درجة أستاذ،

وبعد مدة جاءني وطلب مني أن أسعى لدى مكرم كبيد لتعيينه قاضيا بمحكمة المنصورة المختلطة، لأن في هذا راتبا يفوق راتب الجامعة، وكلمت مكرم وصدر قرار بتعيين الدكتور السنهوري قاضيا بالمنصورة ، وبعد مدة جاءني وطلب مني أن يعمل في قضايا الحكومة، ولم أصق بكثرة طلباته وكلمت الدكتور عبد الحميد بدوى (وزير الحقانية أو العدل والذى عمل وكيلا لمحكمة العدل الدولية الدائمة) فنقله إليها"[1].

فما الذى يجعل السنهورى ينكر لطه حسين الذى أحسن إليه، ويظن أن "السنهورى يكيدلى ويتآمر عليّ وأنا لا أدرى".

لا يذكر لنا طه حسين نوعية هذا الكيد أو نوع ذلك التآمر ، الذى يبدو لنا أنه ليس له مبرر على الإطلاق من السنهورى تجاه طه الذى كان مفيدا له طول الوقت رغم "كثرة طلباته ورغباته". ورغم إحساس طه حسين بأنه قد فقد مودة وصداقة السنهورى بسبب إحساسه بتنكره له، إلا أن ذلك فيما يبدو لم يكن مبنيا على حقائق وأدلة وبراهين حقيقية بدليل أن مواقف طه حسين تجاه السنهورى بعد ذلك لا تدل على رد فعلى سلبى تجاه السنهورى بل هى مواقف تدل على دوام الصداقة والحفاظ عليها. كما سوف نرى بعد قليل؟

إذن فما الذى كان يجعل طه حسين يستشعر مثل هذا التنكر من صديقه مقابل إحسانه له؟

يفسر لنا توفيق الحكيم (والذى كان صديقا أيضا لطه) ، مثل هذه الأمور من طه حسين بسبب وشاية أو سوء فهم من طه لآراء أو تصرفات بعض أصدقائه دون أن يقصدوا إلى الإساءة إليه، فيرى الحكيم "أن الحساسية عند طه حسين كانت تضخم له هذه الأشياء وأمثالها مما كان يتراكم فى نفسه دون أن يظهره".

وهو ما فعله مع السنهورى فلم يعرف أحد بمشاعره نحوه إلا بعد موته من خلال إفضائه لسكرتيره الأخير محمد الدسوقى والذى نشره فى كتاب أشرنا إليه سابقا، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا مما تراكم في نفسه، إلا أن يفضى به إلى صديق أو يظهره هو بعد أن يكون قد مضى وقته وانقضى زمنه كما فعل مع العقاد بعد موته فأعلن أنه لا يفهم عبقرياته ، وقد كان من قبل قد بايعه بإمارة الشعر، وكما فعل مع صديقه د. محمد حسين هيكل بعد موته ، فلم يعلن غضبه منه فى حينه، بعد أن ظن أن د. هيكل قد حرض عليه الطلبة للاعتداء عليه فى حين أنه كان قادما لزيارة لطفى السيد فى الجامعة هو وتلميذه حافظ محمود ، فاستثمر بعض الطلبة الموالين للأحزاب الأخرى ، وجوده فألقى عليهم كلمة كزعيم للمعارضة، فهتفوا ضد الوفد وزعيمه ومن والاهم

---

(١) طه حسين يتحدث – السابق.

كطه حسين الذى اقتحموا مكتبه، ولولا أن حافظ محمود شهد الواقعة فى حينها وأوضح لطه حسين حقيقتها، لظل سوء الفهم والشعور بالمرارة قائما فى نفسه من صديقه د. هيكل. وهكذا يمكن أن نتفهم حساسية طه حسين تجاه بعض الأشخاص والأحداث أو كما يصفه صديقه أحمد أمين بأن "صداقته متعبه وعداوته أيضا متعبة" ، ويزيد الأمر التباسا وتعقيدا قدرة طه حسين على كتم مشاعره المؤلمة تجاه أصدقائه فلا يظهرها ولا يواجههم بها، فيظل سوء فهمه لهم معلقا فى نفسه ، ومما يزيد الأمر غرابة فى نفس الوقت هو استطاعة طه حسين أن يتجاوز تلك المشاعر السلبية دون أن ينساها، وتبدو لك صداقته قوية بغير شك أو لبس لأن مواقفه تجاه تلك الصداقات رغم ما فى نفسه تجاهها، لا تظهرك على حقيقة ما فى نفسه وما يعتمل فيها، فرغم مشاعره تجاه صديقه السنهورى إبان توليته وكيلا لوزارة المعارف، بسبب اعتقاده أن السنهورى يكيدله ويتآمر عليه ، رغم إحسانه إليه، إلا أن طه حسين يرى (أن نكران الجميل لا يؤثر فى نفسى لدرجة أن يحول بينى وبين عمل الخير ما استطعت) ولعله من هذه الرؤية لم يزدد لحظة واحدة فى الاستعداد الصادق للوقوف ضد الملك فاروق الذى يريد حل مجلس الدولة الذى يرأسه صديقه السنهورى ، وذلك للتخلص منه بسبب عدائه له ، بل وقيام طه حسين الذى كان وزيرا فى ذلك الوقت باستعداء رئيس الوزراء النحاس باشا ضد الملك بسبب موقفه ، والاتفاق مع النحاس باشا إن أقدم الملك على خطوته العدائية هذه، فلا بديل عن تقديم النحاس لاستقالة حكومته احتجاجا على تصرف الملك ضد السنهورى ومجلس الدولة إن خرجت نواياه إلى حيز التنفيذ، والقصة كما يرويها محسن عبد الحافظ أحد أصدقاء السنهورى (الذى شغل منصب نائب إدارة الفتوى والتشريع بالكويت) هى أنه "حين أوعز الملك وحكومته إلى أحد النواب بمجلس النواب للتقدم بمشروع قانون يقضى على حرية الصحافة، وطلب الديوان الملكى من مجلس الدولة إعداد مذكرة فى هذا الشأن تؤيد ذلك المشروع ، كانت كلمة السنهورى – رحمه الله – لعضو مجلس الدولة الذى كلفه بإعداد تلك المذكرة : (اسمع يا فلان لا تدخل ذلك التهديد فى حسابك، فليلغوا مجلس الدولة إذا شاءوا ، اكتب المذكرة كما يمليه عليك ضميرك ... فإما أن يكون هناك مجلس دولة أو لا يكون). وقد كان وقدمت المذكرة إلى السراى على غير ما كانوا ينتظرون ، إذ جاءت إنكارا لمشروع القانون ودفاعا عن حرية الصحافة"[1].

ولذلك – يكمل طه حسين الصورة – "حاول الملك فاروق إلغاء مجلس الدولة – حينما كنت فى الوزارة – وهذا من أجل التخلص من الدكتور السنهورى رئيس المجلس ، فقلت للنحاس : أبلغ الملك أننا نرفض إلغاء مجلس الدولة، وإذا كان الملك مصراً على ما يريد فستقدم الوزارة استقالتها،

---

(١) مجلة العربى الكويتية ١/٥/٧٤.

وسكت الملك عن محاولة إلغاء مجلس الدولة أمام هذا الموقف المتشدد" [1] ولا ندرى كيف اقتنع النحاس بمشورة طه حسين ، وحكومة النحاس نفسها هي التي أرادت التخلص من السنهورى "بحجة أنه كان وزيرا حزبيا في وزارة حزبية (إشارة إلى وزارته للمعارف في حكومات الأحزاب المناوئة للوفد"[2]، ورفض السنهورى الإذعان للحكومة وناصره في ذلك جميع مستشارى مجلس الدولة" وكانت تلك هي الأزمة الأولى مع مجلس الدولة ١٩٥٠ ، تلتها أزمة أخرى في العام التالى أطلقت عليها أزمة الصحافة وهي التي أشرنا إليها سابقا، وكانت الحكومة القائمة في الأزمتين هي حكومة الوفد، والنائب الذى تقدم بمشروع تقييد حرية الصحافة كان نائبا وفديا، واتسعت جبهة المعارضة لذبح الصحافة لتصل إلى أعضاء بارزين من الوفد نفسه كان على رأسهم وزير الخارجية محمد صلاح الدين الذى عارض بشدة هذا المشروع ، فكيف تسنى لطه حسين أن يستعين بالنحاس رئيس الحكومة التي تقدم أحد نوابها بتشريع كهذا إلا أن يكون الأمر متوقفا عند هذا الحد فقط ، حتى إذا تعدى الأمر مجرد الرغبة في إصدار قانون أراده الملك ولم تعارضه الحكومة ، فتعداه إلى إلغاء مجلس الدولة كان على الحكومة أن تفترق مع الملك، مما جعل النحاس مستعدا لأن يعود إلى مواقفه الصلبة فاستجاب لمشورة طه حسين ليحول بين الملك ورغبته في إلغاء مجلس الدولة، وهو ما حدث بالفعل كما ذكر طه حسين، ثم يقف طه حسين موقفا إيجابيا آخر عندما كان رئيسا للمجمع اللغوى والسنهورى عضو فيه، فنجح بعد رجائه في إقناعه بالعدول عن استقالته التي كان قد قدمها بالفعل في أولى جلسات المجمع في دورته الجديدة في شهر أكتوبر ١٩٦٦، وذلك لرغبته في التفرغ لإنهاء موسوعته عن القانون المدنى.

مثل هذه المواقف من طه حسين لا تدل إلا على الصداقة الصادقة والمودة غير المصطنعة ، مما يدلك على أن طه حسين كان يحتفظ في نفسه فقط بأثر المواقف التي يظن أنها قد أساءت إليه، ثم لا يجعلها تتحكم في سلوكه نحو من ظن أنهم تنكروا له. وتلك تمثل قدرته على التكتم نحو سلبيات أصدقائه فلا يظهرهم عليها، أما أعداءه أو من يظن أنهم أعداءه فيبادلهم عداء بعداء ويواجههم بقوة وشجاعة نادرة دون خوف أو حساب للعواقب، فعل ذلك مع رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقي رافضا التعاون مع صحيفة الحزب الذى يرأسه، وتحمل في سبيل ذلك كل سبل الحصار والتضييق التي فرضها عليه الديكتاتور إلى درجة أنه فكر في الانتحار، ففكرة الانتحار لديه أهون من فكرة الخضوع والاستسلام لعدوه حتى لو كان رئيس الوزراء بنفوذه وجبروته، وحين كان منتدبا كمدير لجامعة الإسكندرية واستشعر أن رجل القصر الذى جئ به سكرتيرا عاما

---

(١) طه – مجلة العربي الكويتية ١/٥/٧٤.

(٢) الوفد ٣/٩/١٩٩٩ طلعت الغرياني.

للجامعة ، قد وضع عينا عليه لمراقبته وإعاقته عن الارتقاء بالجامعة، لم يشرع عن مجابهته وكشفه أمام الجميع مخاطبا إياه "ما أنت إلا كبير الكتبة" ليضعه بذلك في حجمه الطبيعي.

وهكذا كان طه حسين رفيقا بمشاعر أصدقائه فلا يسوءهم بإظهار مشاعره نحوهم حتى لو أساءوه أو تنكروا له ، ولكنه على النقيض من ذلك تجاه أعدائه لا يحتاط للنتائج ويبادرهم بسهامه وسخريته فينال منهم غير هياب بما سوف تسفر عنه المعركة من خسائر قد تصل إلى حد إجاعته وتشريده، فهو رحيم شديد الرحمة على أصدقائه حتى ولو على حساب نفسه، وهو على أعدائه حرب عليهم شديد الحرب، وهكذا كان طه حسين يجمع بين المتناقضات إلى أبعد الحدود، وهو يعترف بذلك بل ويجد فيه متعة ولذة ، فيقول "من أهم الأشياء التي تعجبني في حياتي كلها وتلذ لي : المتناقضات ، ووقوعها عندي في وقت واحد" [٣] ويضرب لذلك الأمثلة من قبيل "ما يحفزني على الكتابة والتأليف في شئون عربية بحته ، أن أكون في بيئة أوربية صرفة، فأعيش حياة القرن العشرين مع القرن الثاني في وقت واحد". فالمتناقضات هي فلسفة طه حسين في الحياة وفي الإبداع.

مع المرأة وضدها

أنظر وتأمل معي شكواه العجيبة إلى صديقه السنهوري، حين يشتكي من التعب وهو أمر مفهوم، ثم يشتكي من الراحة أيضا، فأي شئ أدل على التناقض الذي جمعته شخصية طه حسين أشد من هذا التناقض، الذي لم يجد السنهوري تفسيرا له إلا أنه من "أعراض الجنون" يقول السنهوري في معرض رده على رسالة لطه حسين أرسلها إليه في باريس حيث مصيفه هناك فكتب إليه من "القاهرة في ١٢ أغسطس ١٩٣٥:

"تزعم أنك لا تعرف إلا السأم والملل. تشكو التعب في القاهرة ، وتشكو الراحة في فرنسا . لا أشك في أن هذا الكلام يحمل في طياته أعراض الجنون. فاسمع نصيحة عاقل: إذا كنت تشكو التعب في القاهرة وترتاح في فرنسا. فما عليك إلا أن ترتاح في القاهرة فلا تشكو تعبا، وأن تتعب في فرنسا فلا تشكو راحة. هذا هو العلاج الناجع. ولا أتقاضى منك عليه أجراً وإن كلفني كثيرا من التفكير العميق في التعرف على حقائق الأشياء واكتناه أسرارها".

وهكذا رد السنهوري على شكوى صديقه طه حسين بخل يجمع بين الفكاهة والسخرية، وهو ما

---

(٣) أهرام ٧ أكتوبر ١٩٣٨.

يجمع أيضا بين طه والسنهوري في بعض طبيعتهما التي قد تبدو جادة شديدة الجدية، إلا أن بعض المواقف سرعان ما تكشف عن روح مرحة ساخرة.

وليست هذه فقط إلا إحدى نقاط الاتفاق والالتقاء بين الرجلين على ما بينهما من اختلاف في الشخصية والرؤية للأشياء.

فإذا صح أن طه حسين هو عميد الأدب العربي الذي وضع أساسا للمنهج النقدي في الأدب العربي، فإن السنهوري هو "الإمام الخامس" بعد الأئمة الأربعة، كما تراه وتنظر إليه البلاد العربية التي وضع قوانينها، فبالقانون المدني الذي وضعه لمصر ١٩٤٨ استردت مصر سيادتها التشريعية بعد إلغاء الامتيازات التشريعية القضائية الأجنبية ، وإلغاء المحاكم المختلطة، وأصبح القانون المدني الذي وضعه لمصر هو المصدر الذي استلهم منه القوانين التي وضعها لبلاد العربية، أو التي وضعتها البلاد العربية مستمدة منه مع بعض التعديلات التي اقتضتها ظروف كل دولة، وهذا القانون الذي استفادت به كل من : مصر وسوريا وليبيا والعراق والجزائر والأردن والبحرين والسودان والكويت واليمن، وضعه السنهوري في عشرين سنة في (١٢) مجلدا في نحو (١٥) ألف صفحة ، هذا القانون كان "سببا في إيجاد وحدة فكرية في الميدان القانوني بين أبناء البلاد العربية" وكان السنهوري "يؤمن أن توحيد القوانين هو إحدى الوسائل الناجحة لتوحيد الأمة العربية" [١]. ويرى طه حسين في الثقافة وسيلة أخرى ناجحة لتوحيد العرب.

وإذا كان طه حسين أديبا اشتغل بالصحافة فقد تمنى السنهوري "لو تم لي أن اشتغل في الأعمال الحرة لاشتغلت بالصحافة و"المحاماة"[٢] ويقابل أمنية السنهوري التي لم تتحقق أمنية لطه حسين لم تتحقق أيضا ، فقد أراد أن يدرس القانون إلى جانب دراسته للآداب ، وما أكثر مالام نفسه وشق عليها في اللوم لأنه لم يتم ما حاول من دراسة القانون (انظر "الأيام" لطه حسين) وتجمع الصديقين ثقافتهما الفرنسية ، وحصولهما على الدكتوراه من فرنسا ، أحدهما في الآداب والآخر في القانون.

وقد وصل كلا منهما إلى منصب الوزارة ، تقلدها السنهوري أكثر من مرة في الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ حتى ١٩٤٥ كوزير للمعارف أربع مرات على التوالي في وزارة أحمد ماهر ، وزارة النقراشي الأولى والثانية، وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكلها حكومات مناوئة للوفد ، ورؤساؤها قد انشقوا عن الوفد.

---

(١) عبد الباسط الجميعي – مجلة الفكر المعاصر ١٩٧١.

(٢) عبد الرازق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية – نادية السنهوري – توفيق الشاوي – دار الزهراء العربي.

بينما طه حسين قد تولى وزارة المعارف لمدة سنتين فى وزارة الوفد الأخيرة (١٩٥٠–١٩٥٢). وكان طه حسين مشغولا بمجانية التعليم باعتباره حقا للجميع كالماء والهواء، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا حينما تولى الوزارة فنجح فى جعل التعليم مجانيا فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، ولولا اعتراض الملك لجعل التعليم الجامعى مجانيا إلا أن الملك فاروق رفض "بشدة" وقال للنحاس: إن طه يريد أن يجعل البلد شيوعية"[1].

أما السنهورى كوزير للمعارف فتبدو جهوده مجهولة فى هذا الشأن بالمقارنة لصديقه طه حسين، ولكننا سنحاول الكشف عنها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وسنلحظ أول اهتمام للسنهورى بالتعليم فى رسالته إلى طه حسين ١٩٣٥ التى أشرنا إليها سابقا حين يقول "وما دام مقضيا على الإنسان أن يكافح فى الحياة فلا أقل من أن تعطى الناس جميعا أسلحة متساوية لهذا الكفاح ، وأرى ان خير وسيلة لذلك هو أن يجبى من الميراث ضريبة كبيرة تصرف فى تعليم أبناء الأمة جميعا بالمجان وفى إعطاء كل منهم القدر الذى يلزمه من المال للدخول فى معترك الحياة . ثم يترك بعد ذلك إلى كفايته وجهوده"، بل إننا نعثر على اهتمام السنهورى المبكر بالتعليم فى "أوراقه الشخصية" التى كان يكتبها لنفسه ونشرته ابنته بعد رحيله، حيث يرى أن التعليم شاغل أساسى من مشاغله وطموحاته لنهضة مصر، يكرر الحديث عنه بطول أوراقه الشخصية فى أكثر من موضع من مواضع تلك الأوراق والمذكرات ، بدءا من المذكرة الثانية والعشرين والتى كتبها فى مدينة "ليون" الفرنسية أثناء دراسته هناك للحصول على درجاته العلمية، فيكتب "عن الجندية والتعليم" فيقول "أرى أن أول إصلاح يجب إدخاله فى الأمة المصرية هو جعل الجندية والتعليم إجباريين" بينما يرى طه حسين التعليم أيضا إجباريا، وإن زاد عليه السنهورى تقديمه للجندية على التعليم فيقول "وفى اعتقادى أن نهضة الأمة الألمانية فى العلم والصناعة جاءت تالية لنهضتها الحربية والسياسية ومؤسسة عليها". بينما طه حسين يرى أن التعليم مقدم على كل شئ اللهم إلا المسألة الكبرى التى كانت تشغل مصر آنذاك وهى قضية الاستقلال، ولم يربط طه حسين التعليم بالجندية كما فعل السنهورى ، بل ربطه بالحياة الديمقراطية السليمة كأساس تقوم عليه، وكمفتاح تؤدى إليه.

وكان السنهورى ينادى بتوحيد التعليم العام والأزهرى ، وهى نفس دعوة طه حسين من أجل توحيد الأمة "فطالب بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الأزهر، وتوحيد التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، وهو ما أشار به على عبد الناصر قائد الثورة ، وتحقق له بالفعل. وإذا

---

(١) طه حسين يتحدث – السابق.

كان السنهوري يرى التعليم إجباريا للذكور والإناث من منطلق إسلامي لقوله صلى الله عليه وسلم "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" فقد كان طه حسين أول من أدخل المرأة ، التعليم الجامعي سراً بالاتفاق مع لطفي السيد تجنبا لثورة الرأى العام المحافظ تجاه تعليم المرأة، وفي الوقت الذى اتفق فيه الصديقان على حق المرأة في التعليم اختلفا في رؤيتهما لتقلدها المناصب العامة، فبينما لا يقيد طه حسين ذلك بقيود أو شروط إلا الكفاءة والموهبة، يرى السنهوري أن الأمر يحتاج إلى التدرج، تتذكر زوجته "حينما كان وزيرا للمعارف حان ترقية السيدة إنصاف سرى" ناظرة الثانوى إلى مدير عام، فاتصلت بي السيدة هدى شعراوى تريد ترقيتها إلى وكيلة وزارة انتصارا للمرأة وتشجيعا لها .. فقال إنها تستحق أن تكون وزيرة ، ولكن لكل أمر وقته وزمانه"[٢] وإذا كان طه حسين قد أسس جامعة الإسكندرية ثم صار مديراً لها، فقد كان السنهوري هو الذى وضع مشروع قانونها سنة ١٩٤٢. ويذكر السنهوري أنه أثناء وزارة طه حسين سمع خبرا كان هو واضع بذرته "تقدم لأول مرة في هذا العام (١٩٥٠) تلاميذ المدارس الأولية لامتحان الشهادة الابتدائية ، وهذا نظام كنت وضعته وأنا بوزارة المعارف لأفتح أمام أبناء الشعب أبواب العلم والرقى فينتفع البلد بالنبوغ الكامن في أبنائه المغمورين وها قد أنبت النظام ثمرته الأولى" ويتذكر السنهوري أيضا "عندما كنت وزيرا للمعارف عنيت بأن أنظم تعليم اللغة الفرنسية كإحدى اللغتين الأجنبيتين اللتين تعلمان في المدارس الثانوية" "وعرف عنه اهتمامه بوضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها وأساسها إنصاف المعلم، وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة تعليم وتوجيه الطلاب إلى ما يتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفني: الزراعي والصناعي – الذى ثبت أنه التعليم المفيد الذى يساعد على تقوية البنيان الاقتصادى للدولة ، وقد عرف عن السنهوري أيضا اهتمامه بالنوابغ من الطلاب ، وبذل كل ما يمكن من الرعاية والمساعدة لهم"[١] . وقال السنهوري للدكتور مهدى علام زميله في مجمع اللغة العربية : أترك وزارة المعارف وقد نجحت في معظم مشروعاتي، وأخفقت في أمرين: الدروس الخصوصية وتوزيع الحجرات على كبار الموظفين".

وأثناء عضويته في مجمع اللغة العربية منذ ١٩٤٦ حتى وفاته شارك في وضع الكثير من المصطلحات القانونية.

---

(٢) حلمي النمنم – حواء ١٣/٥/١٩٨٩.

(١) مجلة الفكر المعاصر – السابق.

جمعية السنهوري

وكما أصاب طه حسين والسنهوري من السياسة فوصلا إلى أرفع مناصبها كوزراء ، إذا كان في تقلدهما منصب الوزير إصابة ، فقد أصابتهما السياسة واكتويا بنارها، سنكتفي بواقعتين حدثت لهما في سنة واحدة. في خطابه المشار إليه سابقا إلى طه حسين ، يقول السنهوري: أتذكر أننا في مثل هذه الأيام من السنة الماضية (١٩٣٤) كنا معا معلقين في كفة القدر لا نعلم ماذا يأتي به الغد. أنت من أمر "الوادى" في قلق وهم. وأنا من أمر "جمعية الشبان المصريين" في شغل ونصب. وكانت تقرب بيننا الهموم". وتفصيل ذلك فيما يتعلق بطه حسين، حدث عندما استنقذه النحاس باشا من أزمته مع إسماعيل صدقي الذي أقاله من الجامعة وسد أمامه كل سبل المعيشة والحياة بسبب رفضه التعاون مع حزب الديكتاتور ورئاسة الصحيفة الناطقة باسمه ، ليعيش طه وأسرته فترة المجاعة كما أسمتها زوجته، ليجد النحاس أن طه حسين يشاركه وحزبه محاربة الديكتاتور فيطلب إليه الكتابة في صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة باسم الوفد، وفي هذه المرحلة ينتقل طه حسين "من التجدد الفكرى إلى التنشئة الاجتماعية والاقتراب من مشكلات المجتمع، التي تجسدت في الأزمة الاقتصادية ، وما نجم عنها من تهديد للعقائد الثابتة عند الناس من خلال التبشير ، وفساد الحكم، ويتخذ من هذه المشكلات مواقف عنيفة جريئة، يساق بسببها إلى النيابة والقضاء" ثم يشترى طه حسين امتياز جريدة "الوادى" بعد استقالته من "كوكب الشرق" في إبريل ١٩٣٤ ، ويشرف على تحريرها حتى ديسمبر ١٩٣٤ إذ أعيد إلى الجامعة في الوزارة النسيمية (سبب استقالته اختلافه مع صاحب كوكب الشرق حافظ عوض لرفضه دفع غرامة حكمت بها المحكمة ضد أحد المحررين بالجريدة وإن كان قد عاد بعد ذلك) ، وقد أصدر هذه الصحيفة على نفقته في أعقاب الأزمة الاقتصادية، مواصلا مهمته الصحفية في "كوكب الشرق" وتجديد المجتمع إلى جانب التجديد الفكرى والثقافي، وينتقل معه إلى "الوادى" تلاميذ الذين عملوا معه في "كوكب الشرق". وقد خسر طه حسين في "الوادى" ثلاثة آلاف جنيه كانت دينا عليه لموزع جريدته "المعلم الفهلوى" ، وربما لبعض أصدقائه ، ولم ينقذه من هذه الأزمة إلا عودته للجامعة، وبداية الانفراج السياسي. ومن ذلك يتبين أن طه حسين قد تألق ككاتب مقال صحفي ولم ينجح كصاحب جريدة أو مدير"[1]. هذا ما كان من أمر طه حسين في "الوادى" وما

---

(١) من المقال الصحفي في أدب طه حسين — د. عبد العزيز شرف .

سبب له من "قلق وهم"، أما السنهوري وحكايته مع "جمعية الشبان المصريين" التي جعلته في شغل ونصب فقد "دعا إلى تكوين جمعية تضم الشباب المثقف وتعمل على توجيهه وجهة صالحة لنفسه وللمجتمع المصري، وترمي الجمعية إلى بعث الروح القومي، وإعادة الحياة القومية المتدفقة إلى شرايين الشباب، وهي تدعو إلى اعتناق مذهب القوة في كل شئ : في العقل والروح ، والجسم. وكان قسم الجمعية "أقسم بالله العلي الأعلى أن أخلص النية للجمعية ، وألتزم مقاصدها ، مؤازراً لزملائي، حريصا على استكمال وسائل القوة في خلقي وعقلي وجسمي، وأن أنزه قولي وعملي عما يشين ، وأصمد إلى الكمال"[1].

ويشير توفيق الحكيم إلى هذه المرحلة من حياة صديقه السنهوري في "عودة الوعي" أنقلها كما هي لما تدل عليه من بساطة رجلين عظيمين ، يقول الحكيم: "كنت مديراً لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف وكان هو إذ ذاك أستاذا بكلية الحقوق . وكان نسكن في منطقة الجيزة.. ونسير على أقدامنا ساعة العصر على كوبري عباس نتحدث طويلا.. وفي يد كل منا قرطاس من الترمس، وفي ذات يوم جاءني يقول إنه فكر في مشروع نافع لتكوين الشباب وغرس روح البطولة في نفوسهم ، وجعلنا نستعرض أبطال تاريخنا الذين يمثلون المبادئ العظيمة مثل عمر بن الخطاب ، وطارق بن زياد، ورمسيس الثاني ، ونحو ذلك.. ومضت أيام، وبينما أنا جالس في مكتب وكيل الوزارة إذا بي أجد حركة غير عادية – وكانت الوزارة يومئذ ضد الوفد والوفديين ، وسمعت وكيل الوزارة يقول : إن مجلس الوزراء منعقد لفصل الدكتور السنهوري من الجامعة لأنه ألف جمعية سياسية من الطلاب لنشر الدعوة للوفد بإيعاز من صديقه عضو الوفد النقراشي (لم يكن قد خرج بعد على الوفد).. فتعجبت عجبا شديداً. وبعد مدة قصيرة استقالت الوزارة وأعيد السنهوري للجامعة". ويحرص السنهوري نفسه على الإشارة إلى هذه المرحلة من حياته في أوراقه الشخصية في اليوم السابق لكتابته رسالته إلى طه حسين مذكراً إياه ونفسه بهمومهما في العام الماضي فيقول في أوراقه، المؤرخة بـ ١١ أغسطس في ١٩٣٥ "في مثل هذه الأيام من العام الماضي كنت في شغل شاغل من أمر جمعية الشبان المصريين. تتوعدني الحكومة التي كانت قائمة وقت ذلك بالفصل ، وأنا أدبر أمر المعاش فأنظر في خروجي من المنزل الذي أقيم فيه ، ثم فصلت ورجعت ثانية، وها قد مضت سنة على هذه الحوادث ، وأنا الآن أفكر فيها وأقارن أمسي بيومي..

لا يحق لي أن أقول : ما أشبه الليلة بالبارحة، فالليلة ، أحس قلق البارحة ولا أفكر في خروجي من المنزل الذي أقيم فيه، بل فكرت في أن أوسع من سكني.

---

(١) المجلة الجديدة الأسبوعية ٣ نوفمبر ١٩٣٤.

ما أشد تقلبات الأيام، وما أجدر المرء بالثبات عليها، لا تفزعه الباساء ولا تستهويه النعماء".

ويعود طه حسين والسنهوري إلى الجامعة بعد أن ذهبت حكومة صدقي وتابعتها التي تلتها وزارة عبد الفتاح يحيى التي كانت استمرارا لسياسة سلفه، وبعودة الأستاذين الجامعيين المفصولين يكون قد رد إليهما اعتبارهما "ولكن إذا كانت الثقافة المصرية رحبت برجوعهما ، فإن الصحافة ستخسر الدكتور طه حسين ، كما تخسر المحاماة د. عبد الرازق السنهوري"[1] ولكن الجامعة لم تكن لتمنع الرجلين من مواصلة دورهما في الحياة المصرية والعربية، فقد كانا قد تخطيا دورهما المحدود داخل أسوار الجامعة ليحدثا أثرهما البالغ في تاريخ الثقافة بمعناها الأوسع، فطه حسين بمشروعه الأدبي التعليمي ، والسنهوري بمشروعه في القانون المدني، وكلاهما امتد تأثيره إلى خارج مصر ليشمل الدول العربية ، وكلاهما مفكر عالمي، أحدهما في الأدب والآخر في القانون، وإن كان السنهوري يوصف أيضا بأنه "أديب من أدباء القانون له أسلوب أدبي ممتاز تطغى عليه اصطلاحات القانون".

---

(١) المجلة الجديدة السابق

عبد الحميد بدوى

صاحب أول دكتوراه فى القانون

هو صاحب أول دكتوراه يحصل عليها حقوقى من المصريين ، فقد كان عبد الحميد بدوى يتلقى علومه فى مدينة "تولوز" الفرنسية ولكنه لم يرتح لنظام التعليم هناك فنقل نفسه إلى "جرينوبل" فقامت قيامة وزارة المعارف بالقاهرة ، وهالها أن ينقل الطالب نفسه من معهد إلى آخر دون إذن منها، ولكنها اضطرت للموافقة بعد أن بعث إليها بوجهة نظره، وقد قال عميد الجامعة فى تقريره الذى بعث به إلى وزارة المعارف المصرية: إن رسالة د. عبد الحميد بدوى أساسية فى الفقه المدنى لا يستطيع باحث أن يستغنى عنها.

ذلك هو عبد الحميد بدوى المولود بالمنصورة ١٨٨٧، والذى نشأ بالإسكندرية وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٠٨ ، ليخطو مع حصوله على الدكتوراه إلى مناصب الدولة العليا، فكان أول رئيس وطنى للجنة قضايا الحكومة بعد أن كانت حكرا على الأجانب من كبار المشرعين ، وكان فيلها أول مستشار ملكى وطنى عين عضوا بها، وشغل بعض المناصب الوزارية: الخارجية فى وزارة النقراشى الأولى ١٩٤٥، كما اختير وزيرا للمالية ١٩٢١ واضطر للاستقالة منها لأن كرامته ومبادئه حالت دون أن يغمض عينيه عن تصرفات وطلبات القصر الملكى، وكان عضوا بارزا فى اللجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣، وكان أول من دعا لإنشاء مجلس الدولة ، وكان رئيسا للوفد الذى مثل مصر فى اجتماع اللجنة التحضيرية التى تقوم بإعداد اللوائح الداخلية والأنظمة الخاصة باللجنة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٥ ، ورأس وفد مصر فى مجلس الأمن، ثم اختير كأول قاضى شرقى ضمن قضاة محكمة العدل الدولية، وكان نائبا لرئيس محكمة العدل الدولية.

وقد فاجأه مجمع اللغة العربية باختياره عضوا فيه ١٩٤٥، وقد قال عنه د. طه حسين "عاد عبد الحميد بدوى من باريس موفقا سباقا كما تعود أن يكون موفقا سباقا، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الحميد بدوى هو الشاب ثم الرجل الذى عرفناه ونعرفه الآن، وقد كملت خصائصه وكملت مزاياه وأصبحنا نستطيع أن نتعرفه وأن نتعرف عقله ومزاجه الفكرى والثقافى وشعوره

أيضا. فهو صاحب فكر وشعور ، وليس من هؤلاء الذين قصروا حياتهم على الناحية العقلية الخالصة. وعبد الحميد بدوى من أكثر الناس قراءة ولعله أن يكون أكثر الناس قراءة في مصر في اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، وهو بهذا استطاع أن يكون لنفسه هذه الثقافة العالية الرفيعة المترفة المتميزة التي لا يستمتع بها كثير من المصريين في هذا العصر" إنه "صاحب خيال بديع بعيد المدى وصاحب نظرات واقعية .. كون لنفسه مزاجا بديعا من هذه الواقعية والخيالية في وقت واحد" "ما أعرف من المثقفين الممتازين من المصريين أقدر منك على تحديد الألفاظ ، وما أعرف بين المثقفين الممتازين أقدر منك على تحديد المعاني قبل أن تختار لها اللفظ. ثم أنت صاحب فقه، وأظنك توافقني على أن أحدا لم يخدم اللغة العربية في تاريخها القديم كما خدمه الفقهاء ، فهم الذين مهدوا هذه اللغة ، ويسروها، وجعلوها حقا لغة علم وفلسفة وتفكير عقلي عميق رقيق".

أما العقاد فيصفه بأنه "قيد من القانون، وقيد من الكياسة ، وقيد من التكاليف الرسمية ، ويمشي بينها. فيخيل إليك من سلامة المشية أنه لا يتعثر بقيد من القيود، الشريعة عنده طبيعة، والثقافة عنده فن وذوق"

طالب يهمني

وفي رسالتها التي كتبها "قريبا من انفجار بركان الحرب العالمية الثانية، يوصي د. عبد الحميد بدوى طه حسين على أحد الطلبة ليرسله في بعثة ، فيقول:

عزيزى الدكتور

أرسل لك أطيب التحيات وأرجو أن تكون قد عدت موفور الراحة والنشاط، وقد سمعت من صديقي جاكيه بأخبار رحلتكم في بلجيكا وباغتباطه بمرافقتكم . فلعلها كانت موفقة.

أكتب لك ونحن نعيش قريبا من انفجار بركان الحرب، والأخبار تفيض بأسباب الزعر ونذر الخطر. وكان من شأنها أن تمنع من التفكير في الشئون الصغرى من الحياة. ولكن الحياة تأبى إلا أن نسير فيها كما لو كنا نعيشها أبدا. كذلك أرجو المعذرة إذا كانت كتابتي لك على البعد في شأن من تلك الشئون الصغرى.

ولعلك تذكر أني حدثتك يوما في شأن طالب اسمه أحمد صادق موسى راجيا تسهيل إلحاقه بكلية الآداب. وقد علمت أنه في دور مايو ١٩٣٧ حصل على ليسانس الآداب قسم التاريخ وبترتيب حسن ، وأن أساتذته راضون عن عمله ، وأنه درس بمعهد الآثار الإسلامية، فهل لى أن اطمع فى أن يكون أحمد صادق موسى من بين من يرسلون فى هذه البعثات، وإني لأكون شاكرا كل الشكر إذا كان لطلبي هذا حظ من موافقتك وعنايتك. وأرجو أن تقبل لك ولمدام طه بك أصدق التمنيات.

عبد الحميد بدوى

سليم حسن و"الروح" فى بيان رسمى!

لا يخجل الرجل العظيم من تاريخه مهما كانت بداياته متواضعة، وكذلك كان سليم حسن صاحب أول دكتوراه فى الآثار المصرية وصاحب أعظم موسوعة فى تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، والتى بلغت ٣٢ مجلدا ، إنه يقول عن نفسه "باعت أمى حليها لأتم دراستى"، وقد كان هو ومحمود على حمزة أول مصريين يدخلون المتحف المصرى كأمينين مساعدين للمتحف، حيث كانت وظائف المتحف وقفا على الأجانب، ويتذكر "فى نهاية عام ١٩٢٨ استدعتنى كلية الآداب لتدريس علم الآثار فيها بدلا من أستاذ فرنسى ترك الكلية ، ويرجع الفضل فى إسناد هذا العمل إلىّ أنا بالذات إلى الدكتور طه حسين الذى زكانى لدى المسئولين".

وقام بحفائر لحساب الجامعة المصرية بجوار "بول حول" وهو الاسم الحقيقى لأبى الهول، ومعناه "مكان عبادة الشمس" ، وكان أول مصرى يعمل فى ميدان الحفائر الذى كان حكرا على الإنجليز لذلك فوجئوا بهذا المصرى الذى يتحداهم فحاولوا تخويفه بلعنة الفراعنة، ولكنه كان مصمما على أن يتحدى أعداء بلاده، ومصمما فى الوقت نفسه على أن يثبت خرافة "لعنة الفراعنة"، فاكتشف أكبر مقبرة ظهرت فى الدولة القديمة كلها، "رع ور" والتى ظلت الصحف العالمية تكتب عنها وعن صاحبها الشاب المصرى ، لمدة عشرة سنوات ما بين ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩ ، كما اكتشف سليم حسن "الهرم الرابع" واكتشف قبر أول مرأة ملكة (خنت كوس).

ورأت الحكومة المصرية أن تكافئ فتاها المصرى بتعيينه مديراً للمتحف المصرى بدلا من مديره الفرنسى غير أنها لم تستطع أمام الضغوط الفرنسية المسيطرة على المتحف الذى كانوا يعتبرونه إرثا خاصا لهم .

ولم يمكن مكافأة سليم حسن إلا بأن يتولى كأول مصرى معين وظيفة وكيل مصلحة الآثار ، وحينما أعاد الملك فؤاد ما كان يحتفظ به من آثار إلى المتحف المصرى ، تم تسجيلها، ولما تولى فاروق العرش طالب باسترداداها باعتبارها إرث أبيه، فتصدى له سليم حسن باعتبار أن هذه الآثار بعد تسجيلها قد صارت ملكا للدولة وإذا كان لابد من تسليمها فلتسلمونا إيصالا بذلك، هكذا قال.

وكان رد فاروق : الفلاح ابن الكلب ياخذ مال أبويا"!

أما رأى أبيه الملك فؤاد فقد قال: إن سليم حسن شاب يعمل ويجتهد غير أنه لا يرغب أن

يرى أفرنجيا في البلد بل يريد أن يكون هو المسيطر على المتاحف والآثار المصرية(*).

وتواطأ بعض المهربين مع بعض علماء الحفريات الأجانب ضد سليم حسن لتلفيق التهم له بتحريض من فاروق نفسه ، وكانت التهمة المضحكة هي أن سليم حسن يسرق أجور العمال ولم يستطيعوا إثبات ذلك، ولكن سليم حسن أثبت أن الملك نفسه هو الذى كان يسرق المتحف، بعد أن قام بجرده ليكتشف أن تسع قطع من المتحف مسروقه، ليتبين أنها موجودة فعلا بقصر فاروق الذى علم اكتشاف سليم حسن لهذه السرقات فقرر إبعاده بأى ثمن ، ولما تولى د. محمد حسين هيكل وزارة المعارف وكانت الآثار تابعة لوزارته ، أعاد سليم حسن إلى المتحف ليكتشف وجود سرقات أخرى رهيبة، ليحاولوا بعد ذلك تلفيق التهم له، ولكن ياسين أحمد النائب العام آنذاك قام بتبرئته بعد التحقيق معه وأبلغ السراى ببراءته ، فكان جزاؤه إبعاده من منصبه بسبب نزاهته، ولم يكن هناك بد من إبعاد سليم حسن للمرة الثانية، لتعيده حكومة النقراشي باشا إلى العمل يوم أربعاء ليثور الملك ويطلب إبعاده، فيجتمع مجلس الوزراء يوم الخميس ويقرر إبعاده استجابة للرغبة الملكية. ولكن سليم حسن . وجد أن الملك قد خدمه خدمة العمر "أراد فاروق أن يكيد لى بإخراجي من المتحف ولكنه في الواقع منحنى الفرصة لأسجل أعمالى وأكتب تاريخ بلادى".

وكتب في إهدائه لأول كتاب من موسوعته الرائعة عن تاريخ الحضارة المصرية، معرضا بفاروق ساخرا منه حيث كان من "أولئك الذين باعدوا بينى وبين الوظيفة والذين قربوا بينى وبين العلم" وكان الفضل لسليم حسن فى حماية آثار توت عنخ آمون من الضياع، وأثار أزمة مع الإنجليز بسبب تصميم عالمهم "كارتر" الحصول على ثمن اكتشافه بحصول الإنجليز على بعض هذه الآثار، فتصدى سليم حسن لهذه المحاولة وطلب من الحكومة المصرية أن تقدر التكاليف التى أنفقها كارتر وتمنحها له.

وكما أبلى سليم حسن فى مجال الآثار وعلوم الآثار، فقد أبلى فى تخريج الكثيرين الذين عرفوا على يديه لأول مرة كيف يحبون تاريخ بلادهم.

إنه يتذكر المحاضرة الأولى له فى الجامعة المصرية(*) "لقد كان موقفا شد أعصابى حينما دخلت إلى الجامعة المصرية بعد عودتى من فرنسا بشهرين، دخلت كأستاذ مساعد لعلم الآثار، وكان الفضل فى ذلك للدكتور طه حسين.

لقد كنت أول مصرى يدرس هذا العلم ، ودخلت إلى القاعة وفجأة ران الصمت على

(*) من حديث سليم حسن إلى رؤوف توفيق بصباح الخير ١٩٥٩/٨/٢٧.

(*) المصدر السابق

الجميع ، وذهبت إلى المنصة وبدأت أتكلم.

تكلمت عن آثار بلادنا بحماس وبصدق وبكل مشاعري ، ورأيت الدهشة على وجوه الطلبة، إنهم يرون شخصا يتكلم باللغة العربية في هذا العلم لأول مرة ، ويشاهدون شخصا يتكلم عن آثارهم بهذا الحماس.

وانتهت المحاضرة ووجدت جميع الطلبة الذين كانوا يسمعونني يلتفون حولي ويشدون على يدي بحرارة".

وفي كل فترات حياة هذا الرجل العظيم لم يسلم شرفه الرفيع من الأذى، فعندما طلبته وزارة الثقافة في نهاية الخمسينيات ليشرف على جرد المتحف المصري ، اكتشف أنه خربان، وواصل مهمته لوضع سجل علمي لمحتوياته ليكون جزاؤه أن تخرج وزارة الثقافة ببيان رسمي تتهم فيه الرجل بسرقة المتحف وتفتح ملفه أيام فاروق لتؤكد به ما جاء في بيانها رغم أن الرجل قد برئ آنذاك ، مما دعا الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين ليتصدى لما أسماه بـ "الردح في بيان رسمي" ، متسائلا : كيف يتهمون سليم حسن بأنه "لص" في الوقت الذي ائتمنوه فيه على المتحف الذي لا تقدر محتوياته بثمن ، فكيف عهدوا إليه بجرده وهم يعلمون عنه أنه لص قديم.

وتحفل خطابات سليم حسن التي أرسلها إلى طه حسين حيث كان يحصل على أرفع الدرجات العلمية من باريس وفيينا ، بالحديث عن التلفيقات ضده وهي الفترة التي كان يعمل فيها بمصلحة الآثار، وكان في كل ما طعن به يتمثل ببيت شعر لعبد الله النديم يقول فيه:

إذا الدهر صافانا مرضنا وإذا عدنا إلى خطب شفينا

وقد ظل ابن قرية ميت ناجي بميت غمر دقهلية يعمل حتى لحظاته الأخيرة من حياته الممتدة منذ الثامن إبريل ١٨٩٣، فحاول أن ينجز عملا عن كليوباترا يبرئها فيه من كل التهم المنسوبة إليها والأساطير العالقة بها، كما حاول أن ينجز كتابا في خمسة أجزاء عن نهر النيل بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن الموت كان قدرا مقدرا عليه ليكتب له الخلود في سجل العظماء، كريما في عطائه ، كريما في نفسه ، حتى أن أحمد الصاوي محمد كتب عن منزله الذي استأجره ويفرشه لاستقبال المبعوثين المصريين في باريس "إنه بيت الأمة في فرنسا" .

ولنتصفح خطابات سليم حسن إلى طه حسين . ولنقرأ خطابه الأول ، ومحتوياته الحافلة بمختلف الثقافات التي لم يكن أولها ولا آخرها التاريخ الفرعوني والحضارة المصرية القديمة لنقف على مدى الموسوعية التي كان يتمتع بها مثل هذا الجيل الرائد.

إنهم يشوهون سمعتي

يقول سليم حسن وهو يكتب من :

باريس في أول أغسطس ١٩٣٥.

عزيزي طه

أكتب إليك هذه الكلمة بعد أن فقدت كل أمل في أن يصلني منك شيئا حسب الاتفاق وبعد أن قابلت عبد الوهاب باشا على ما أظن.

أريد أولا أن أقص عليك ما حدث طول المدة التي لم أرك فيها سواء كان ذلك في أوربا أم كان في مصر.

ذهبت من مصر قاصدا فيينا لاجتياز امتحان الدكتوراه في الفلسفة ، ولم أخبر أحدا بذلك لأني كنت أخاف سوء العاقبة وبخاصة بأنه كان امتحان مسابقة لابد أن يحصل الطالب على درجة فائق في كل مادة ، وقد كنت أجهز له منذ عامين . والمواد كما يأتي:

أولا اللغة المصرية القديمة بفروعها، وعلم الآثار ورسالة على جبانة أهرام الجيزة في ٣٠٠ صفحة باللغة الألمانية.

(٢) ما قبل التاريخ (٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية

(٤) بحث خاص في فلسفة جلال الدين الرومي وشعره الفارسي

(٥) التاريخ الإسلامي (٦) تربية الطفل من جهة علم النفس

كل هذه المواد كانت موضع الامتحان باللغة الألمانية، وفعلا انتهى الامتحان كله بخير بالدرجة المطلوبة، وقد أرسلت الدكتوراه إلى الجامعة .

بعد ذلك ذهبت إلى بروكسل، حيث المؤتمر، وقد قدمت لهم مختصرا على أعمال الحفر، وألقى سامي (جبره) محاضرة جيدة كانت موضع الإعجاب (.....) بعد ذلك قامت حملة في الجلسة الأخيرة دبرها "كايار" ضد "لاكو" ومن المدهش أن رئيس الجلسة كان أمين متحف اللوفر، ثم قام المسيو "جوجيه" مدير المعهد الفرنسي واحتج على الجرائد المصرية لأنها تريد أن تهدم المعهد الفرنسي، وكذلك احتج على المسيو "لاكو" وبعد ذلك انبرى "كايار" ولم يترك أي سخافة لم يذكرها ضد مصلحة الآثار وعندئذ قام سامي جبرة وقال: إنه ليس هناك

To: www.al-mostafa.com

أى شئ ضد المعهد الفرنسى ، وأن المصريين يحومون المعهد كمعهد ، ثم رد على كايار عندما هاجم لاكو، قائلا: لا تحملوا الناس جرائم بدون ذنب اقترف.

كل هذا وأنا لا أقول كلمة واحدة ، غير أن سامى بعد الجلسة قال : إن زميلى سليم موافق على كل ما قلته. فنظر إلى كايار وما يريد أن يصل إليه، يريد فى كل هذا أن تعينه الحكومة المصرية مستشارا فى المتحف المصرى.

بعد ذلك عدت إلى باريس وهنا وصلنى قصاصة من جرنال روز اليوسف اليومية وفيه أن سيدة فرنسية رفعت دعوى على أستاذ فى الجامعة المصرية تطالبه بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه، وانه كان سيتبناها أمريكى ولكن تركته لأجل هذا الأستاذ، وأنها صرفت هذا المبلغ عليه وعلى أصدقائه ومنهم وزيرا من العهد البائد (.....) ما علينا بلغنى هنا من رجال الآثار أن هذه الحملة مدبرة وموعز بها ضدى لأجل تشويه سمعتى ولكن هذا لا يضير.

وقد كتبت لكل الرجال المختصين فى هذا الموضوع. وهذه السيدة تقول الآن أنها محبة من السفارة الفرنسية والقنصل الفرنسى ، وأن خطاباتها تصل إليها بواسطة البريد السياسى، وأنها تجمع وتعمل وثائق ضدى ، الغرض منها التشنيع، وأن هناك من المصريين من يساعدوها ، ولكن كل هذا لا يهم ، وما كنت أخافه قد كان.

والآن أكتب إليك هذا بالتفصيل حتى تكون على علم من كل شئ (.....) وفى الختام أرجو أن تبلغ سلامى إلى السيدة حرمك وكلود والسيدة جيجيت والسيد فريد ومنى لك ألف سلام.

المخلص

سليم حسن

فى شدة الحيرة

وفى خطاب آخر:

تحريرا فى ٧ أغسطس ١٩٣٥

عزيزى طه

تسلمت جوابك على خطابى وسررت به كل السرور ، ولقد حزنت كثيرا لأنك لم تقابل عبد الوهاب باشا وبخاصة أنه بعد ذلك على ما سمعت وصله خطاب تهديد أو ما أشبه،

ولكن كل ذلك صرخة في واد.

يؤلمني كل الألم أن أتخذ ضد هذا الشخص إجراءات قاسية ولم يكن بد من اطلاع فخري باشا على الموضوع وهو صديق لي ، وقد أظهر من الاهتمام والشهامة ما جعله في عيني من العظماء بحق.

وقد توصل إلى معرفة أشياء عن هذا الشخص وكتب عنه تقريرا يخجل له وجه الإنسانية عامة وهو الآن معي ولا يزال هو مستمر في بحثه وقد وضع نفسه تحت تصرفي في هذا الموضوع، ولكن رغم هذا تجدني لا أريد الأذى لهذا الشخص الضعيف وبخاصة لأنه في حالة سيئة. وكل ما يؤلمني أن اسمع أن رجال المعهد الفرنسي قد دفعوا له مبلغا من المال، ولكني استبعد ذلك كل البعد لأقدر ما يصل إليه ذهني. وتجدني الآن في شدة الحيرة: هل استمر في عملي لطرده من مصر بأشنع ما يكون أو أتركه يستمر في القضية حتى يخيب وأظهر التقرير الذي معي؟

كل هذا جعلني لا أذوق النوم إلا غرارا ، هذا مع كثرة مشغولياتي العلمية، فما رأيك في هذا، التقرير خطر جدا على هذا الشخص لأنه جعله لا شيء . ومع هذا فإني أحفظ الذكرى.

وقد طلب إليّ فخري باشا أن أكتب للأمن العام وأن اتصل به باستمرار في هذا الموضوع ، وأملي أن ينتهي بأحسن الطرق وأسهلها (.....) ما علينا من كل هذا أرجو أن تكون قد وفقت إلى وجود مكان للراحة في قمة الجبل وأن تكون الست والأنجال على أحسن ما يكون من الصحة والعافية وأن يكون فريد مسرور في الجبال العالية المريحة.

سأذهب إلى برلين يوم السبت ١٠ أغسطس لأستمر في أبحاثي في القاموس المصري، وبعد ذلك أعود إلى باريس حوالي عشرة سبتمبر ثم أذهب إلى رومه (روما) في الوقت الذي ستكون أنت فيه، فلو كتبت لي عن ميعاد ذهابك إلى رومة كنت معك في نفس الوقت (.....).

وفي الختام أرجو لك كل الصحة والعافية أنت وجميع الأسرة الكريمة والسيد فريد، وتقبل تحياتي.

المخلص

سليم حسن

وفي خطابه الأخير يقول سليم حسن:

عزيزي الدكتور طه

سلامي عليك بقدر شوقي الشديد إليك . وبعد أبعث إليك بهذه الكلمة من برلين بعد أن كتبت لك من قبل وأنا في باريس على العنوان الذي كتبته في خطابك لي ، ولم يصلني منك إلى الآن رد!.

وها أنا أكتب لك أولا لأستفسر عن صحتك وصحة الأنجال والسيدة حرمكم والسيد فريد. أما أنا فقد اعتلت صحتي كثيراً لدرجة كنت فيها مع اليأس ولكن الله سلم وأخذت صحتي في التحسن بعض الشيء. لقد كاد الكبد أن يقف دفعة واحدة فأظلم العالم في وجهي وضاق صدري ولكن الحالة أحسن (.....). أنا اشتغل الآن رغم المرض في مطالعة أفلاطون لم حل رموز لوحة عثر عليها حديثا في المعبد الذي يرجع عهده إلى الرعامسة (عثر عليها من بضعة أيام قبل قيامي من مصر).

من الغرائب أن هذه اللوحة الحجرية هي لأكبر أولاد رعمسيس الثاني ويتكلم فيها عن وجود معبد في الجهة القبلية الشرقية من الهرم الأكبر ويسميه معبد الوادي، وقد أدهش هذا علماء الآثار عامة.

على كل حال قد أطلت عليك ولكن الصنعة حبكت . وفي الختام تقبل مني كل تحية وكل محبة صادقة.

في ٢١ أغسطس ١٩٣٥ سليم حسن

أحمد بدوى فى بلاد العجائب

ليس أبلغ للدلالة على شخصية إنسان مهما كان وأيا كان سوى لمحة إنسانية بسيطة تظهر معدنه الأصيل وروحه الوثابة نحو الخير، ولم يلفتنى إلى د. أحمد بدوى فى تاريخه العلمى الحافل سوى هذه القصة الواقعية الإنسانية القصيرة البليغة والتى تقول سطورها(*):

د. أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس طلب من وزارة الثقافة والإرشاد علاج موظف يعمل "بالجامعة منذ ثلاثين سنة" أصيب بانفصال فى شبكية عينيه، على نفقتها فى ألمانيا ، ظهر أن العملية تتكلف خمسمائة جنيه ، اعترضت اللوائح رجاء المدير. بعث المدير يطلب صرف المبلغ واقتطاعه من مرتبه على أقساط ، قررت الوزارة الاستجابة لطلب المدير".

ذلكم هو د. أحمد بدوى المتخرج من جامعة القاهرة بعد أن تتلمذ على طه حسين وشفيق غربال وسليم حسن وسامى جبره ، والذى صار فيما بعد أستاذ الآثار، وفقه اللغة المصرية القديمة، واللاهوت المصرى القديم بعد ما تخصص فى ألمانيا حيث نال درجة الدكتوراه فيها، وإليه يرجع الفضل فى الكشف عن كثير من حفائر ميت رهينة ، وله مؤلف شديد الأهمية بعنوان "فى موكب الشمس" من جزئين:

فجر الحضارة المصرية إلى آخر ضحاها، وتاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل. والذى يعترف أحمد بدوى لطه حسين "والله يشهد - أننى لم أضع منه حرفا، ولم أسطر سطرا إلا ورأيتك معى تشجعنى ، وتعيننى ، وتلهمنى أجمل اللفظ، وأحسن الرأى"، فلم يبتعد أحمد بدوى عن طه حسين ، ولم يبتعد طه حسين عن أحمد بدوى ، رغم أن طه حسين قد حاول عندما كان عميدا لكلية الآداب أن يغير مجرى حياة الدكتور أحمد بدوى بأن يجعله من علماء الأدب العربى، ولكن بدوى أصر على أن يمضى فى دراسته عن فراعين مصر، ليقدم لنا أول قاموس عربى هيروغليفى هو "معجم مفردات اللغة المصرية القديمة" بالاشتراك مع هيرمان كيس" أستاذ الدراسات المصرية بجامعة "جوتنجن" بألمانيا، وقدم لنا "وحدة وادى النيل وأسسها الجغرافية ومظاهرها فى التاريخ" - مشترك - كما قدم لنا : "أيام المكسوس ، و"حور محب" وأشرف على إنقاذ آثار النوبة، وعهد إليه بانشاء أول معهد لتسجيل الآثار فى مصر، وحاز على جائزة الدولة التقديرية. وشغل منصب رئيس جامعة القاهرة، وما بين مولده بقرية أبو جرج بمركز بنى مزار

(*) جريدة الأخبار ٥٩/٩/٨

بمحافظة المنيا في ١٣ مارس ١٩٠٥ إلى وفاته ١٩٨٠، عاش حياة ملؤها الحب والوفاء والإنسانية، وتجده في رسالة قصيرة معبرة إلى طه حسين خلال أزمته التي طرده فيها رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقي لرفضه التعاون معه ومع حزبه المكروه ، تجد احمد بدوى عالم الآثار وفقيه اللغة الهيروغليفية، يتمتع بحس أدبي سنلمسه في هذه الرسالة وسنستمتع به في رسالة أخرى، ولعل إدراك طه حسين لقدرات تلميذه هي التي جعلته يحاول أن يجذبه إلى الأدب العربي، ولكنه انجذب إلى عصر الفراعنة ولم يتخل عن أدبه ككاتب، وأدبه كإنسان، يقول في رسالته إلى طه حسين إبان محنته:

سيدى وأستاذى

لا عجيب يُرى في بلاد العجائب ومصرك أم العجائب.

كل شئ على النقيض تنعكس فيها طبيعة الأشياء "وجزاء المحسن أن يساء" ولكنها على الرغم تخدم وأنت خادمها المخلص حيثما كنت وكيفما كنت جزاؤك على الله الخير.

تحية يحملها الشوق من تلميذكم المتألم الحزين.

أحمد بدوى

يا سيدى الدكتور لو حكمت قلبك دون سمعك

وفي رسالة أدبية بليغة طويلة تلمس فيها روح طه حسين وأسلوبه، نقرأ لأحمد بدوى عتابا مهذبا إلى أستاذه الذى صدق فيه الواشين فاتهم تلميذه بالجحود والنكران، ولكن الرجل يبرئ نفسه في هذه الرسالة التي تعتبر من الروائع في أدب الصداقة، فلنقرأها كاملة فهي تشي بما فيها:

أستاذى الجليل

تحية حب ووفاء ، من قلب صورته خرابا من الحب والوفاء!

ولست ألومك على ذلك ، فعذرك في الحكم ظاهر ، وحجتك واضحة، تنهار أمامها كل حجة، ويبطل دونها كل دفاع. لأنك رأيت مني غير ما عودتك. ورابتك من أمرى جفوة وقطيعة . فلقد كنت ألقاك في الجامعة وأغشى دارك أيام الطلب، ثم أراسلك أيام الغربة . وكنت تبادلني حبا بحب، ووفاء بوفاء. وكنت أجد لذلك لذة لا تفوقها لذة، وغبطة لا تعد لها غبطة ، وفرحة تبلغ بالنفس أبعد غايات الرضا، وتطير بآمالها إلى أبعد ما يصور القلب من آفاق السعادة في هذا الوجود.

لقد عشت في الغربة دهرا، لونت لي الحياة أيامه بألوان مختلفة: منها الأبيض المشرق الذي يسعد النفس ، ويرضي القلب، ويشرح الصدر، ويملأ الفؤاد فرحا وأملا. ومنها الأسود المنكر البغيض ، الذي تغتم له النفس، وينقبض الصدر، ويروع الفؤاد. ومنها الباهت الفاتر الذي تفتر فيه الهمة، ويعتل النشاط، ويضعف الأمل.

عرفت هذه الحياة بألوانها المختلفة ، وجنيت من رياضها الباسمة كل ورد ، وروعني ما حول ورودها من شوك . وشربت من كأسها المترعة كل صاب وشهد. أي والله شربت من ذلك كله بالكبير وبالصغير. وتلك كانت حياتي في دار الغربة: كل يوم بعمره، وكل ليلة بدهره. وهي والله الحياة التي عرفتها. وأنكرت من دنياي ماعداها ومازلت أذكرها، وأحنُ إليها، وأردد كلما ذكرتها قول الشاعر :

يومي بأيام لكثرة ما جرت فيه الحياة، وليلتي بليالي. رحم الله عهدها. فأنا أحب أيامها ، وأحن إلى لياليها، بل أحب الأرض التي أمضيتها عليها، والسماء التي أظلتني فيها. وأحب ما بين الأرض والسماء، من ناس وحيوان، وطير، وحجر، وشجر، وماء، وهواء.

أتدري لماذا ؟ لأنني من الذين يعرفون الحب والوفاء، كأصدق ما يكون الحب والوفاء.

ولأنني من الذين لا يرون الوفاء كاملا عند الناس إلا إذا ادخروه للزمان والمكان، كما يدخره بعضهم لبعض. ولأنك كنت معي في كل ذلك ! أي والله! لقد كنت معي يومئذ في الزمان والمكان وفي كل ما سلكت من سبيل.

فأنا أراك حين أستقبل الصبح لاضطرب فيما يضطرب فيه الناس من حياة النهار.

وأنا أراك حين يغشى الليل النهار فأسعى في حواشيه جادا تارة وعابثا تارة أخرى.

أراك معي عند الشدة وحين الرخاء . وعند النقمة وحين البأس ، وفي أفراحي وأحزاني . وحين أكتب وحين أقرأ. ثم ألقاك في قاعة الدرس. وما أكاد أغادرها إلا لأدبر معك الوانا من الحديث حول ما نقلتُ أو أفدت.

ثم تصرعني العلة فألقاك عند فراشي معزيا ومواسيا ومشجعا فأحاول أن أشكر لك كل هذا البر، فينعقد لساني لزيق عيناي بعض الدموع. ثم أراك بعد ذلك محزون القلب، مئتاع الفؤاد، دامع العين ، حين تشيع جنازتي في القاهرة، فأبكي رحمة لك، وشوقا إليك، وإشفاقا من فراقك، ويفزعني كل ذلك ، فأنتفض في النعش، وأحاول مجاهدا أن أفلت من قيود الموت، لأسعى إليك فأشكر لك برك بي ، وعطفك عليّ، ولأهد لك أبوتك الكريمة ، وأخوتك الصادقة، ولأني شعرت يومئذ أن قلبي قد كان ينطوي على أشياء، أشفقت أن

يغادر بها الدنيا، وينتهي بها إلى القبر، فيظل مطويا عليها إلى يوم ينفخ في الصور، وتنفضُ عنها الهامدين المقابر.

أي وا لله ، لقد كنت حريصا على أن استودعها إياك، لأنك أقرب الناس إلى نفسي ، وأحبهم إلى قلبي وآثرهم عندي، وأعزهم لدي، وأبرهم بي.

ثم تقع المعجزة الكبرى ، فإذا الله يبعث الميت ، ويرد عليه ثوب الحياة، فلم يكد يدب على الأرض، ويبلغ السعي مع نفسه وآماله ، حتى يفكر فيك. فيسعى إلى الوطن، ولم يكن له فيه – شهد الله من مآرب غير لقائك، يحب أن يسعد نفسه به كما يسعدها بلقاء أبويه وعشيرته الأقربين.

ويعود بعد اللقاء الكريم إلى أوربا ليستأنف دراسته وفي نفسه منه أجمل الذكر، وأطيب الأثر وأحلى الأماني. وهو لم يكد يبلغ أوربا حتى يلقى العلة في انتظاره، فلا يعبأ بها ولا يخاف فيها فتكا، ولا يشعر لها ببطش . لأنك كنت معه ، ولأن عطفك وبرك ووفاءك ، قد ملأ صدره بإيمان قوى وآمال عراض . فراح يسعى إلى الخلاص من علته ، وينس آلامها، ويطلب البرء منها، فيستسهل الصعب ، ويستهين بالشدائد، ثم يمضي في دراسته بأمل الواثق وإيمان النبي.

ثم يبلغ الوطن آخر الأمر فيلقاك في انتظاره، ثم يلقى عندك من البر والوفاء والمعونة والنصر فوق ما كان ينتظر ، فيمضي في سبيله وفيا لك ، مقبلا عليك ، متعصبا لبعض رأيك، فخورا بحبك، معتزا بصداقتك ، شاكرا لفضلك، طامعا في رجائك، يذكرك كما يذكر أباه، ويجد لنفسه عليك ما يجد على أبيه من دالة. ثم تجرى بنا أيام الحياة في الجامعة سهلة هينة، حلوة بسامة ، ولكنها كانت مع الأسف قصيرة الأجل، محدودة العمر. لأن الظروف قد نقلتك من الجامعة إلى ديوان المعارف (لا كان ولا كانت أيامه السود). وإذا بك تطلبني ذات يوم فأسعى إليك، لأسمع منك أنك ترى من الخير أن تكون حياتي العلمية مشاعا بين الجامعة ومصلحة الآثار (لا كانت هذه الأخيرة ، ولا كان عهدها، ولا كان أهلها ، ولا كانت أيامها البغيضة المنكرة). ليتك ما دفعتني إليها. وليتني عصيتك يوم أن فتحت لي السبيل إليها.

ترى هل كان في وسعي يومئذ أن أعصيك ؟ كلا! لقد كان الأمر أمرك ، وكان الخير فيما ترى . وكنت لا أطيع غير أمرك ، ولا أهتدى إلا بهديك.

قبلت ذلك راضيا ، ورضيت به مسرورا، ولم أكد أمضي فيه غير قليل، حتى رأيتك صادا عني ، تدبر حين أقبل ، وتعرض حين أقصد، لا أكاد أزداد في التقرب منك حتى

تشتط في البعد عني.

وأسائل نفسي عن أسباب كل ذلك فتزداد حيرتي، هنالك عرفت أن الواشين قد لعبوا بينك وبيني، فأسمعوك عني ما لم تعوّدْ ، وصوروني لك على غير حقيقتي . وإذا بي في ديوانك ذات يوم لأسمع منكرا من الأمر، فأسمع أنني سفاح، وأنني أعرف كيف أقتل الناس، بل أعرف كيف أقتل أبر الناس بي ، وآثرهم عندي، وأحبهم إلى قلبي، وأكثرهم حفاوة بي، وعطفا عليّ. ثم أسمع أن رسائل عدة قد دست عليك في هذا الأمر المضحك المبكي في آن واحد. وأسمع منك ضحكا من ذلك ، وإنكاراً له، وتنذرا عليه، ثم أخرج من عندك مشفق النفس، محزون الفؤاد مرتاع القلب، لا أكاد ألتمس في هذه الدنيا غير ثقتي بنفسي وسخريتي من أخلاق الناس، وغير كلمات طيبات سمعتها منك، فيها استنكار لما افتراه الواشي وفيها طيف من عزاء لتلك النفس المحزونة، التي لم تعرف الحياة بغير الوفاء.

لقد خرج الرجل من عندك يومئذ وفي قلبه حسرة ، وفي فمه مرارة . ثم حاول أن ينسى ذلك سريعا. ولكنه لم يستطع.

ولولا بقية من إيمان، لألغى عقله ، وأنكر جهده، وجحد مروءته ، ونسي ماضيه ، ولعن الدنيا ومن فيها. ولكنه تاب إلى رشده، وعلم أن الشر في الدنيا أكثر من الخير، وأن الباطل أشد من الحق. وأخذ يرد نفسه إليك ، فيلقاك مرة ومرات ، ثم يقبل عليك ليراك كما عرفك ، وليلقى عندك ما تعود أن يلقى من مودة ورفق، فلا يكاد يحس من ذلك شيئا. وإنما هو يلقى منك إعراضا وفتورا . وأنا أترك لك وحدك تصوير النفس المحزونة حين تجد عند الأصدقاء إعراضا وفتورا.

أما أنا فلا أخفي عليك أنني أنكرت ذلك أشد الإنكار ، وأخذت أفاضل بين كرامة إنسانيتي وبين مظاهر الحب والوفاء ، فآثرت الأولى والتمست العزلة أملا في أن ألقى بها شيئا من عزاء. وما حيلتي وقد علمني أبي يرحمه الله أن أقبل عليه حين يرضى، وأعرض عنه حين يغتر، فأتكلم وأستعذب الألم في سبيل ذلك؟

شاء الله قبل أعوام أن أخرج لقراء العربية كتابا في تاريخ مصر – والله يشهد – أنني لم أضع منه حرفا، ولم أسطر سطرا إلا ورأيتك معي تشجعني، وتعينني ، وتلهمني أجمل اللفظ ، وأحسن الرأي. ثم حاولت أن أحمله إليك، فمنعني – مكرها – ما كنت أحس من إعراض وفتور، واضطررت إلى أن أبعث به إليك عن طريق لجنة التأليف.

ذلك هَمٌ طويته في صدري أعواما، ثم حملته ثقيلا خشنا، لأصوره لك اليوم، وقد انتهى إليّ على لسان صديق مازحتني به من انعدام الوفاء، فلم ألمك، ولم أعتب عليك، وإنما لُمت

نفسي.

وإنما السيء الذي ألومك فيه، واستأذنك في الثورة عليه – إن صح أن يستأذن للناس في الثورة . هو أن تصورني متقلبا بين الناس، جاريا في ركاب الوزراء .

لا يا سيدي! معاذ خلال المروءة، وحاشاي أن أكون من صوّرت.

فأنا أعلم أنني امرؤ يعرف قدر نفسه ، ويقدر كرامة إنسانيته، ويؤثر الخروج من نعمة الحياة في الدنيا والآخرة على أن يرى نفسه متقلبا بين الناس ساعيا في ركاب الوزراء وغير الوزراء. لا يا سيدي الدكتور ارم بذلك من تشاء من الناس، فأنا أعلم أنني أكرم على نفسي ، وأشعر أنني أكرم على الدهر ، وأرجو أن أكون أكرم على الله من أن أزل على هذا النحو.

أحلّ أن تصورني كما تشاء إلا على هذا النحو المنكر.

ولعمري يا سيدي الدكتور لو حكّمت قلبك دون سمعك لوجدتني أبرأ الناس مما رميت به لديك. إلا أن تظن ما بدا لك والسلام.

ولتتقبل مني تحية ود ووفاء والله يحفظك للمخلص

أحمد بدوي

من حسين مؤنس إلى طه:
عن معركة والت ديزنى ٩٩ فى مدريد ٥٤

هو "مؤرخ الحضارة الأندلسية" التى تخصص فيها رغم أنفه، فقد كان[*] د. حسين مؤنس يريد أن يتخصص فى تاريخ مصر، ولكن أستاذه فى السوربون، كما يروى لنا بنفسه [١]"قال لى : لا أرى أن تكتب فى تاريخ مصر لأنك فيما أرى تحب بلدك حبا لابد أن يميل بك إلى الهوى، فابحث لك عن ميدان آخر، وأنا أرى أنك كتبت الماجستير فى تاريخ المغرب، فإما أن تكتب الدكتوراه فى المغرب أو الأندلس" .

وقد أحب حسين مؤنس الأندلس وتاريخها وحضارتها، ورغم ما قدمه فى هذا المجال إلى المكتبة العربية إلا أنه بكل تواضع العلماء يقول[٢]: "بالرغم من مشوارى الطويل إلا أننى أحس دائما بالسعادة حيث تمكنت من أداء جزء من رسالتى العلمية ، من خلال مؤلفات عديدة من بينها: المشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، فتح العرب للمغرب، تاريخ الفكر الأندلسى، عالم الإسلام، رحلة الأندلس ، شيوخ العصر فى الأندلس، تواريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس وتراث الإسلام، ابن بطوطة ورحلاته، وغيرها من البحوث، فضلا عن مؤلفات ومترجمات فى الأدب.

ولكن حبه الأول لتاريخ مصر الذى أراد أن يتخصص فيه جعله يضع كتابا مهما عن "مصر ورسالتها" ، وكانت هذه[٣] أول محاولة علمية لفهم مصر وتفسير تاريخها والتعرف على شخصيتها والكشف عن رسالتها بين الأمم".

ومن أهم الكتب التى قدمها حسين مؤنس للمكتبة الإسلامية "أطلس تاريخ الإسلام" والذى كان من المفروض أن تقوم به لجنة علمية على أعلى مستوى عندما كان يعمل رئيسا لقسم التاريخ بالكويت ولكن فقدان الروح الجماعية فى العمل العلمى جعل المشروع لا يتقدم خطوة واحدة،

(*) مواليد ٢٨ أغسطس ١٩١١ بمحافظة السويس.

(١) مجلة الفيصل – السعودية – يونيو ١٩٩١.

(٢) الهلال ديسمبر ١٩٩٣.

(٣) السابق.

قاصر حسين مؤنس على أن ينجز المشروع الكبير وحده من ١٩٧٩ ، إلى عام ١٩٨٣ وعشر ساعات من العمل اليومي، وفقد في هذا العمل عينا ونصف عين فلم يعد يرى إلا بنصف عين مبصرة ، ولكنه مع ذلك كان يشعر بالسعادة الغامرة لأنه يؤدى واجبه العلمي بهمة وإخلاص.

وكان حسين مؤنس هو [٤]"صاحب فكرة إنشاء معهد مصرى في مدريد يقوم بدراسة اللقاء بين حضارتي الشرق والغرب، إذ كان قد تقدم بمشروع مكتوب بهذه الفكرة (...) للدكتور طه حسين (أثناء توليه وزارة المعارف) وقرأ د. طه حسين المشروع المقترح. ولأنه كان ذا بصيرة وأفق ذهني واسع ، وافق مبدئيا على المشروع واستمر (حسين مؤنس) وراء مشروعه هذا حتى أوجدت له الوزارة الميزانية المطلوبة، ثم (...) تحقق مشروع المعهد وأصبح له مكان ووجود" وحدث أنه بعد إنشاء المعهد في عام ١٩٥٠ لم يعين حسين مؤنس أول مدير له، ولكن الرجل رغم ضيقه باعتباره صاحب المشروع إلا أنه كان سعيداً بخروجه إلى النور إلى أن صار مديرا للمعهد بعد ذلك فوضع من أجله كل جهده ليصير مصدر إشعاع حضارى إسلامي. وكان على اتصال دائم بطه حسين في كل خطواته وإنجازاته، ويتذكر حسين مؤنس أول علاقة له بالعميد[٥] "سمع صوتي أول مرة وهو في مقعد العمادة ولكن عندما لقيته للمرة الثانية وجدت أن صوتي قد تطبع في ذهنه، فعرفني لأول ما فتحت فمي، ثم لاحظت بعد ذلك أن ذهن ذلك الرجل يشمل الدنيا كلها" وتتذكر ابنة حسين مؤنس ما حكاه لها والدها عن فضل طه حسين عليه فتقول[٦] "من الأشياء التي لم ينسها أبي أبدا للدكتور طه حسين أنه هو الذى رشحه في البعثة التي سافر بها إلى أوربا ونال بها درجة الدكتوراه. وحكى أبي أنه كان عليه أن يقوم بكشف طبي كامل قبل سفره للخارج (كان شيئا مثل القومسيون الطبي الحالي)، ونجح أبي في جميع الفحوصات إلا في كشف النظر فكان طوال عمره يعاني من نظر ضعيف، وكان هذا العجز سيمنعه من السفر. فذهب للدكتور طه حسين وحكى له ما حدث – وكان على ما أظن في وزارة المعارف حينذاك – فأمر بالإعفاء من شرط النظر".

وتواصلت العلاقة بين حسين مؤنس تلميذا وأستاذا ومسئولا عن معهد مدريد، وبين طه حسين ، ويخبره بفكرته في رسالته التالية والتي ينوى تنفيذها بإطلاق اسم طه حسين على قاعة محاضرات المعهد "تقديرا للفضل".

---

(٤) في بيت حسين مؤنس – مجلة أكتوبر – ٨ ديسمبر ٩٦.

(٥) أكتوبر ١٩٩٥/٨/٢٨.

(٦) في بيت – السابق.

الطـــــلاوة

يقول حسين مؤنس:

سيدى وأستاذى

تحية واحتراما وبعد

فإننى أعتذر إليكم عما أضيعه من وقتكم بهذه السطور، وأعتذر كذلك عن تأخرى فى الكتابة إليكم، والسبب فى التأخير أننى كنت أحسب أن ليس لى من نفسكم موقع يسمح لى بمخاطبتكم، وقد ظللت على ذلك حينا حتى تحدث إلىّ صديقى الأستاذ "غرسيه غومس" فأراح نفسى من هذه الناحية، وفهمت منه أنه لا زالت لى فى نفس أستاذى بقية من حسن الظن تسمح لى بالتطفل بالكتابة ، ويعلم الله مدى عرفانى لجميلكم .

وأحب أن أؤكد لكم أننى بازل أقصى الجهد فى تهيئة هذا المعهد على الوجه الذى يمكنه من أداء رسالته كما رسمتموها له. وقد انقضت عليه فترة من عدم الاستقرار بسبب وضع أموره بين أيدى غير المتخصصين، ولكن كل شئ يسير الآن سيرا طبيعيا، وأنا اجتهد فى أن أفرغ من مهمتى خلال الأشهر الباقية لى من عام الانتداب.

وقد كانت فى نفسى فكرة كنت أتحين الفرص لإبرازها إلى حيز الوجود، ثم تحدث إلىّ الأستاذ "غومس"، فى أن نضع لوحة تذكارية فى المعهد باسم المرحوم أحمد زكى باشا، إذ كان فى الحق أول من لفت النظر إلى أهمية الدراسات الأسبانية، وقد اتفقنا على تنفيذ الفكرة ، ووجدت أن الفرصة سانحة لتنفيذ فكرتى فى نفس الوقت، وهى أن نطلق على قاعة المحاضرات فى المعهد اسمكم تقديراً للفضل، واعترافا بالجميل، وسيتم الأمران بإذن الله فى يوم واحد.

وتعلمون كذلك أن الأستاذ "غومس" قد ترجم كتاب "الأيام"، والترجمة الآن فى المطبعة، وقد كتب مقدمة لها غاية فى العمق والطلاوة، وقد رأيت أن أترجمها إلى العربية، وأنشر الترجمة فى المجلة فى عددها الذى نعده الآن. وسيعطينى أصول المقدمة بعد غد لأترجمها.

معذرة عما أضعت من وقتكم، وألف شكر على ما سبق من فضلكم علىّ وعلى هذا المعهد.

٥٤/١/٢٠ م

المخلص

حسين مؤنس

المعهد المنافس

ويحاول حسين مؤنس تدعيم دور المعهد المصرى بمدريد فى مواجهة المنافسة التى يلقاها من معهد الثقافة العربية ، الذى أنشأه الأسبان، ويفاجئنا بالدور الذى يلعبه بعض ممثلى الدول العربية المتعاونين مع المعهد الأسبانى، مما يجعلنا نربط بين ما فعله بعض العرب فى الخمسينات وما فعله بعض العرب فى التسعينات عندما دعموا شركة والت ديزنى فى مواجهة الموقف الذى أراد العرب اتخاذه ضدها حينما سمحت بالترويج لفكرة أن القدس إسرائيلية فى معرضها ١٩٩٩ بأمريكا، وبعد أن كانت الشركة على وشك اتخاذ موقف تتراجع فيه، اتصلت بها بعض الدول العربية لطمأنتها من عدم اشتراكها فى المقاطعة التى اعتزم العرب اتخاذها إذا ما استمر الجناح الإسرائيلى فى المعرض يروج لفكرته التى تتعارض مع الحقوق العربية ، فما أشبه اليوم بالأمس.

يقول د. حسين مؤنس فى رسالته ونصها:

وزارة المعارف المصرية

المعهد المصرى للدراسات الإسلامية

مدريد – أسبانيا

سيدى وأستاذى

تحية واحتراما

أتشرف بأن أقدم إليكم المجلد الثانى من صحيفة المعهد، وهو يضم العددين الأول والثانى لهذا العام، وقد جعلناهما فى مجلد واحد، نظرا لتأخر الكثيرين فى تقديم أبحاثهم فى الموعد الذى كان محددا لصدور العدد الأول. وترون من تصفح المجلد أننى حرصت على أن أضع به أساساً لما سيصدر من أعداد هذه الصحيفة فى الأعوام المقبلة، وقد استعنت فى ذلك بخير ما وجدت من نظم ترتيب المجلات العلمية ، وأضفت بابا لنقد الكتب قمت بكتابة معظمه بنفسى، وبابا للأنباء قمت بتحريره أيضا، وجعلته معرضا لنشاط المعهد والنشاط المصرى الثقافى العام فى أسبانيا.

والمجلد يضم أحد عشر بحثا لباحثين مصريين فى القسم العربى، وخمسة أبحاث فى القسم الأفرنجى، منها اثنان بأقلام مصرية . وجعلت فى نهاية القسم العربى بابا خصصت فيه الأبحاث المنشورة فى القسم الأفرنجى، وكذلك قمت بتلخيص المقالات العربية فى نهاية القسم الأوروبى.

وقد نشرت في العدد الترجمة العربية لمقدمة الترجمة الأسبانية لـدرة الأدب العربي الحديث، وهي كتاب "الأيام" ، وقد راجع الترجمة "غرسية غومس" وأقرها.

وبعد، فهذه يا سيدى ثمرة متواضعة من ثمرات غراسكم ، فإن هذا المعهد مدين لكم بوجوده، ومع أنني أنتظر بين لحظة وأخرى أن يصلني الأمر بالرحيل، فإنني أرجو أن تضيفوا إلى أفضالكم على هذا المعهد فضلا جديداً ، فتبعثوا إليه بمقال يكون فاتحة العدد الأول من المجلد الثالث بإذن الله.

وقد كتبت إلى الوزارة أكثر من مرة أرجو أن تتخذ قرارا بشأن انتدابي هنا، وعلمت أن الوزارة تفضلت فطلبت إلى كلية الآداب تجديد الانتداب، فاعتذرت، فرجوت انتداب زميلي وتلميذكم الدكتور عبد العزيز الأهواني، ولازلت أنتظر ما يستقر عليه الأمر.

والواقع أنني في حرج شديد ، لأن صالحي الشخصي يستدعي عودتي إلى الجامعة بسبب ما أحمله الآن هناك من مسئولية كبيرة، وأنا أخشى في نفس الوقت أن يوكل هذا المعهد بعدى إلى غير مختص فيضطرب أمره من جديد ويعجز عن أداء رسالته، ونحن اليوم في منافسة شديدة لا يخفى على سيادتكم أمرها، فإن الأستاذ "بروفنسال" مع صداقته لنا يضاعف الجهد في الأندلسيات ليصغر شأن المعهد المصرى بالنسبة إلى معهده هو في باريس، بل هو يجتهد في التدخل في شئوننا ويرجو أن يفرض علينا وصاية تؤذينا ، وقد اجتهدت هذا العام في دفع هذه التيارات كلها، وأنا أسرُّ إليكم بذلك، لأنه سيكون في القاهرة عن قريب ، وسوف يحوم حول هذه الأماني في أحاديثه معكم ومع المسئولين.

ومن ناحية أخرى أنشأ الأسبان معهدا جديدا سموه "معهد الثقافة العربية الأسبانية" رئيسه الأستاذ "غوميه غومس" ، وهدفه البعيد إخمال أمر المعهد المصرى بمزاحمته في ميدان عمله، ومن أسف أن بعض ممثلي الدول العربية هنا يعينونه على ذلك ويعملون على استدعاء أساتذة من بلادهم للمحاضرة في المعهد الأسباني من ناحية، ونشر أبحاثهم في المجلة التي سيصدرها من ناحية أخرى ، إلى أشياء أخرى يطول شرحها وليس مقامها هذه السطور. وهذا هو الذى يجعلني أميل إلى التضحية بل المخاطرة بمصالحي في سبيل حماية هذا المعهد، والمحافظة على رسالته. ولو أني الأهواني لاطمأننت بعض الاطمئنان. لقد أطلت عليكم بهذا الحديث، ولكنني أعرف أنه يهمكم ، ولهذا أذنت لنفسي في الاسترداد.

مع أصدق التحيات وأخلص الشكر.

٥٤/١٠/١١ تلميذكم

حسين مؤنس

سعد زغلول

ينقذ مصطفى مشرفة من لطفى السيد!

كان د. على مصطفى مشرفة باشا، أول مصرى يحصل على الدكتوراه فى العلوم[1] "وفى سنة ١٩٢٦ طلب من جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) أن تعينه أستاذا للرياضة، فأبى المدير وكان وقتئذ لطفى السيد باشا وبلغ الأمر "سعد زغلول" وكان رئيسا لمجلس النواب ، فسأل لطفى باشا: لماذا يرفض تعيينه ؟ وكان الجواب: أن على مشرفة لم يبلغ الثلاثين.. قال سعد: إن صغر السن لا يجوز أن يحول دون الانتفاع بمواهب النابغين". لقد كان مشرفة كذلك أول من حصل على دكتوراه فى الفلسفة ، وأول عميد لكلية العلوم، وله أكثر من ٢٥ بحثا علمياً فى علوم الرياضة الطبيعية، وله أكثر من ١٢ كتابا علميا فى مختلف نواحى النشاط العلمى، وقد دعته[2] "جامعة برنستون" الأمريكية لإلقاء سلسلة من محاضراته القيمة فى الذرة (فى بلد الذرة) كأستاذ زائر فيها ، وفى المرة الثالثة ١٩٤٧ فى هذه الجامعة تقابل مع إلبرت أينشتين أحد عباقرة العلم وأكبر علماء الطبيعة منذ نيوتن، صاحب النظرية النسبية التى أدت إلى صنع القنبلة الذرية.

وقد لفت مشرفة نظر ألبرت أينشتين بعمله وعبقريته الممتازة وقال عنه بالحرف الواحد: إن هذا العالم المصرى الفذ صاحب عبقرية ممتازة. لقد ألقى مشرفة عددا من المحاضرات القيمة فى الذرة حضر إحداها إلبرت أينشتين وصفق له". ولم يكن مشرفة عالما فقط بل[3] "كان فنانا أتقن العزف على البيانو والكمنجة وألف قطعا موسيقية ، وترجم بعض الأوبرات إلى اللغة العربية واشترك فى إنشاء جمعية موسيقية لتمصير الموسيقى الأجنبية ، وكان يترجم الأغانى الإنجليزية إلى اللغة العربية.. شعراً".

بل إن مشرفة كتب رواية لم يستكملها هى "قنطرة الذى كفر" ، عن ثورة ١٩، التى حولت بطل الرواية الشهير، بقنطرة ، [4]"من متملق وضيع لا يعف حتى عن القوادة إلى بطل فدائى يقدم

---

(١) المصور ١٩٥٠/١١/٢٧.

(٢) أكتوبر ١٩٩٥/٧/١٦.

(٣) المصور السابق.

(٤) الجمهورية د. شكرى عياد. ١٩٩٦/٩/١٥.

على الموت مطمئنا في سبيل بلاده، ورغم أن الرواية مكتوبة باللغة العامية إلا أن الناقد الأدبي د. شكري عياد يؤكد[٥] "أن رواية الدكتور مشرفة تظل درسا عظيماً في الفن الروائي لأنها تستعمل هذه الوسائل كما ينبغي".

لقد كان [*]مشرفة نابغة وعبقريا متعدد المواهب، إنه يقول [٦]"في أعماق كل عالم فنان .. هذا إذا صح أني عالم" لقد كان أول عالم مصري يشترك في الموسوعة العالمية للشخصيات العلمية، طبعة نيويورك ، وطبعة لندن.

[٧]ونحن لا نكاد نتذكر أحداً من علمائنا على امتداد القرن العشرين - الذي يوشك على الأفول - سوى د. مصطفى مشرفة الذي نحتفل بمئويته والذي ارتبط اسمه كواحد من عشرة في العالم يفهمون نظرية النسبية "لأينشتين" ناهيك عن بروز اسم د. أحمد زويل في الفترة الأخيرة، غير أن وجود عالمين أو ثلاثة إذا أضفنا اسم د. فاروق الباز عالم الفضاء الذي رسم خريطة للقمر حتى قيل إنه يعرف سطح القمر كمعرفته لكف يده، عدد لا يكفي (وإن كان لطه حسين رأي اخر حول ندرة العلماء سنورده من خلال نص مجهول له عن د. مشرفة) على مدى قرن من الزمان لكي يقول شعب إنه دخل عصر العلم أو أن أبنائه قدشاركوا في المسيرة العلمية العالمية ، خاصة إذا علمنا أن هذه المساهمة تصب خارج بلادهم لا داخلها. ولعل ذلك يتعلق أساسا بدقة التخصصات العلمية التي قد لا تتوافر في بلادهم النامية ومن ثم تصبح الاستفادة بهم غير ممكنة. وإن كانت د. فينيس كامل وزيرة البحث العلمي السابقة قد علقت هذه المسألة على قلة الإمكانيات حين ذكرت في حوار مشهور لها بمجلة "المصور" الغراء أثناء وجودها بمنصبها أن ثمانين بالمائة من ميزانية البحث العلمي تذهب كمرتبات ولا يبقى للبحث العلمي ذاته سوى عشرين بالمائة ، مما يجعلنا نتساءل: لماذا؟ ونعتقد أن الإجابة ضرورية جدا لإعادة النظرة في هذه النسبة أو هذه القسمة التي يجب أن تصب لصالح البحث العلمي لأنه لم يعد هناك مجال في العالم سوى للأقوياء. والقوة هنا هي القوة العلمية في المقام الأول لأنه على أساسها تبنى اى قوة كانت سواء سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، حيث لم تعد القوة بمقدار ما نمتلك من وسائلها كمستهلك لها ولكن بمقدار ما نمتلك من مواردها كصانع لها. ومن هنا لم يكن مستغربا أن يموت يحيى حقي - أديبنا الكبير - وهو يقول "أعطوني ولو ربع مخترع".

---

(٥) السابق

(*) مواليد ١١ يوليو ١٨٩٨ بدمياط.

(٦) الهلال سبتمبر ١٩٦٢ .

(٧) مقال للمؤلف نشر بالأهرام ١٩٩٨/٧/١٠. بمناسبة مئوية مشرفة.

وإذا كانت بداية دخولنا عصر العلم قد بدأت مع د. علي مصطفى مشرفة فإن الاحتفاء بعنويته تصبح حقا ليس واجبا فقط بل ضروريا ولازما لكي نغرس في نفوس الأجيال الجديدة قيمة العلم والعلماء ليصبح رجل العلم قدوة يقتديها الشباب ويتمنوا التمثل بها كما يحدث بالنسبة لأهل الفن وأهل الرياضة.

وقد اخترنا أن نحتفل بمصطفى مشرفة من خلال وثيقتين : إحداهما خطاب لم يسبق نشره أرسله العالم الكبير إلى د. طه حسين الذي كان الجميع يتحلقون حوله ويراسلونه ويزورونه باعتباره رمزا لعصرهم أو كأنه أباهم، يستوى في ذلك أهل الأدب وأهل العلم.

وقبل أن نقرأ خطاب مشرفة إلى طه حسين ينبغي أن نتعرف على علاقته بطه حسين. وهي علاقة يحدثنا عنها العميد نفسه في الوثيقة الثانية وهي نص مجهول تحت عنوان "كلمة حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف العمومية في تأبين المغفور له الدكتور مصطفى مشرفة باشا وذلك في مساء يوم الأربعاء الموافق ٨ مارس ١٩٥٠" كان مشرفة بالنسبة لطه حسين كما يقول "الصديق الكريم والزميل العزيز والأخ الوفي، الذي لم يعرف إخاؤه ضعفا ولا وهنا على اختلاف الظروف".

أما مشرفة العالم فقد رأى فيه العميد "مثلا قائما للجد والدرس والتضحية في سبيل العلم، مثابرا على المكروه في سبيل العلم والطموح المتصل الذي لا يعرف الضعف ولا الوهن في الوصول إلى المثل العليا، واتخاذ المادة وسيلة لا غاية".

وأما قيمة مشرفة لبلده فهو فيما بداه "من تكوين لجيل من أجيال الشباب" العلماء بطبيعة الحال.

كما أن قيمته ظهرت في أن "مصر كلها امتحنت في علم من أعلامها بل ومن أعظم أعلامها ارتفاعا وبعد ذكر في الآفاق".

ثم يؤكد طه حسين حقيقة ندرة هذا الصنف من العلماء حين يقول "فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيئون منار الإنسانية بالعلم والمعرفة -- أمثاله قليلون، إذا خسرهم الوطن فلابد له من صبر طويل، وانتظار مستطل قبل أن يظفر بمن يخلفهم . وإذا فقدهم فلابد له كذلك من الانتظار حتى يجد من يتم ما بدأوه".

أما رسالة د. علي مصطفى مشرفة إلى د. طه حسين فعلى قصرها فسوف تكشف لنا عن الكثير.. تاريخ الرسالة "الاثنين ١٨ يوليو ١٩٣٨ ويقول نصها:

سيدى العزيز الدكتور طه بك

أشكرك على مساعدتك القيمة وعلى لطفك الذى لن أنساه.

لم أسمع بعد بنتيجة مسعاى بعد، وقد كتبت اليوم أسأل. على العموم إذا حصلت على الوظيفة فسوف أكتب لك بذلك.

هذا وأنا أتمنى لك أجازة سعيدة وأرجو أن تتقبل تحياتى واحترامى.

المخلص مصطفى مشرفة

أما محتوى الرسالة فيدل على شيئين هما من أخص صفات طه حسين:

مساعدته للنابغين ومساعدته للمحتاجين.

وكلا الأمرين شئ واحد تلخصه كلمة "العطاء" فهو فى الجامعة يلتقط النبهاء النابغين. ويأخذ بيدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، حتى يبرز نبوغهم، وفى خارج الجامعة يقدمهم إلى الناس ويشجعهم بكلماته ويدشن وجودهم، فمن يحتاج إلى بعثة يسهلها له. ومن يحتاج إلى تقديم يقدمه. ومن يحتاج إلى وظيفة يساعده إليها ويسرها له عند أولى الأمر.

وفى حالة د. مصطفى مشرفة فما هو يا ترى نوع المساعدة "القيمة" التى قدمها طه حسين لمشرفة. ليس لدينا ما يؤكد نوعية هذه المساعدة ولكن نرجح أنها إما كتاب نادر، أو مجموعة كتب علمية نادرة يبحث عنها مشرفة ، فنجح طه فى العثور عليها له، وإما تعريفه بمجموعة من العلماء الأجانب أفاد منهم مشرفة.

أما الوظيفة التى يتحدث عنها مشرفة فكما هو واضح من الرسالة أن طه حسين قد توسط لأحد ممن يتوسط لهم فى الحصول على وظيفة فى اتجاه قدرة مشرفة على توفيرها. وبين أيدينا رسالتان من الشيخ المراغى، والشيخ الباقورى يجيبان فيها طه حسين إلى وظيفة أرادها لاثنين من تلامذته قد تتوافر لهما مناسبة أخرى فى غير هذا المقام.

وتدل الرسالة الوحيدة النادرة التى أرسلها مشرفة لطه حسين على أن طريق الرسائل لم يكن هو وسيلة التلاقى بين رجل العلم ورجل الأدب. بل كانت الزيارات المتكررة هى الوسيلة الأوفر حظا ونصيبا فى الحوار بين طه حسين ومصطفى مشرفة كما يدل حديث العميد عن آخر عهده بمشرفة قبل رحيله فى النص المجهول المشار إليه سابقا حين يقول مخاطبا مشرفة:

"وإنى لأذكر ذلك الحديث الذى تحدثت به إلىّ فى التليفون ذات مساء حين أخذ النهار ينقضى مجرراً أذياله الشاحبة. وحين أخذ الليل يقبل مرسلا ظلماته القاتمة .. دعوتنى فأسرعت

إلى التليفون وتحدثت إليّ .. فكان صوتك بعيدا وكان صوتك ضعيفا . وكان أشبه الأصوات بصوت المتحدث حين يتحرك القطار، يتحدث من النافذة فيسمع إليه الواقفون، وإن حديثه ليتناثر شيئا فشيئا.

كنت ترسل إليّ تحياتك من بعيد، وكنت تنبئني بأنك مريض، وبأن المرض هو الذي أخر زيارتك لي، وبأنك ترجو أن تخرج غدا أو بعد غد، ثم تزورني، فما أكثر ما بيننا وبيني من حديث.

وكنت ألح عليك في ألا تعجل الخروج، فإن خروج المرضى قبل أن يتم لهم البرء خطر بغيض، ثم أصبح فاسمع نعيك يأتي من بعيد، فيصعقني ، كما جاءتي أمس تحياتك من بعيد فملأت قلبي حبا وحنانا وذكرى، ثم نسعى فنشيع جنازتك ذاهلين، لتسعى أقدامنا وتتحسرك أجسامنا ولا تصدق عقولنا، ثم تمضي الساعات وتمضي الأيام ونفتقدك فلا نراك".

ولكن طه حسين يفرق بين حياتين:

"فإن الأحياء حين يفارقون هذه الدنيا لا يقبرون في قبورهم وحدها إلا أن يكونوا من الأحياء الذين ليس بين حياتهم وموتهم فرق، فأما الأحياء الذين تنفع حياتهم والذين تعمر حياتهم بالجد والطموح في المثل الأعلى ، فهؤلاء لا يقبر في قبورهم إلا أضعف أشخاصهم وهو الجسم، أما قبورهم الخالدة المتجددة الحياة التي توعز وتثير العبرة وتشجع على الحياة وتشجع على احتمال المكاره – قبورهم هذه الخالدة – فهي في قلوب الذين عرفوهم واتصلوا بهم. وما أشك في أن لمشرفة في قلوبنا جميعا مكانا ممتازا من هذه الأمكنة".

محمد عوض محمد ..كن طه حسين!

تعتبر[1] مؤلفاته الجغرافية بمنزلة اللبنات الأولى في المكتبة العربية الراهنة، بل إنه اشتهر وهو في مدرسة المعلمين العليا بقصيدة وطنية استلهمها من ثورة ١٩، وحين نشرت في "الرسالة" علق عليها طه حسين بقوله "إن شعر هذا الجغرافي لا تنقصه الروعة".

وكان مترجما متمكنا أجاد قواعد اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والألمانية التي ترجم منها مباشرة "لفاوست" شعراً كالأصل قال عنه طه حسين أيضا في مقدمته "لقد بهرتني الترجمة العربية فما ينقضي إعجابي بها وما أجد إلى تحقيق الثناء عليها سبيلا" وكان د. محمد عوض محمد (مواليد ٣ مارس بالمنصورة ١٨٩٥) عالما باللغة العربية أيضا - كما يقول عنه د. محمد سليمان عضو المجمع اللغوى "وعوض عالم لغوى خبير بالنحو والصرف، متمكن من قواعد اللغة"، وقد انتدب لتدريس الأدب في معهد الدراسات العربية العالمية.

رشحته مكانته للمشاركة في وضع ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان حقوق الإنسان ، بل عهد إليه بوضع الوثيقة الخاصة بالرق، وتواصل عمله بهذه المنظمة الدولية بانتخابه عضوا بالمجلس التنفيذى لمنظمة اليونسكو، ثم باختياره عضوا بلجنة حقوق الإنسان التابعة لها ، ويجسد اهتمامه العلمي بإفريقيا وشعوبها، بتأسيس معهد الدراسات الأفريقية، بالقاهرة ، ويعين وزيراً للمعارف ١٩٥٤ لفترة قصيرة يعود بعدها للجامعة ، ثم ليقضي سنواته التالية عاكفا على مؤلفاته ومترجماته استكمالا لمشروعه المزدوج في الجغرافية والأدب، ومن كتبه المهمة في هذين المجالين : فن المقالة ، فن الترجمة، حديث الشرق والغرب، ملكات الجمال، سكان هذا الكوكب، التوجيه الأدبي (بالاشتراك مع طه حسين) ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، نهر النيل.

وقد قال عنه د. مهدى علام أنه "أول من كتب الجغرافية بلغة أدبية".

وفضلا عن هذه الثقافة الموسوعية التي يتمتع بها محمد عوض محمد، فقد كانت له مواقف وطنية وشخصية تعبر بصدق عن مقولة أن : الرجل هو الموقف، فقد اعتقل[2] وهو في السنة النهائية بمدرسة المعلمين العليا، حيث شارك في قيادة الطلبة في مظاهرات ضد الإنجليز قبل ثورة ١٩ بثلاث سنوات، ونفي إلى جزيرة مالطة قبل نفي سعد إليها، ثم عاد ليحصل على دبلوم

---

(١) د. عمر الفاروق - مجلة العربي أغسطس ٩٦، والأهرام ١٩٩٥/٣/٣.

(٢) إبراهيم الأسيوطي هلال إبريل ١٩٧٤

المعلمين العليا من منازلهم ، ثم ذهب في بعثة دراسية إلى إنجلترا ليتخصص في الجغرافيا التي اختارها بدلا من التاريخ، حيث كانت البعثة المطلوبة لهذين التخصصين فقط، وقد رأى أن تخصصه في التاريخ في هذه البعثة سيجعله يدرس تاريخ إنجلترا أكثر من أي تاريخ آخر. كما تقضي المناهج بذلك، فآثر أن يدرس الجغرافيا ، فحصل على البكالوريوس من جامعة "ليفر بول"، ثم حصل في عام واحد (١٩٢٦) على الماجستير ، ودكتوراه الفلسفة من جامعة لندن.

وحينما كان محمد عوض محمد في مؤتمر اليونسكو لتمثيل مصر في المجلس التنفيذي لليونسكو ، حدث العدوان الثلاثي، فوقف يهاجم هذا العدوان، واستطاع أن يجذب ممثلي الدول الأخرى للتصفيق له ويجعلهم يخطبون منددين بالعدوان ، ولأول مرة في تاريخ اليونسكو يفشل ممثلو فرنسا وإنجلترا في الانتخابات.

وقد اشترك د. محمد عوض محمد مع الدكتور طه حسين في الجهاد العلمي الأخلاقي بالجامعة وترسيخ تقاليدها، واشترك مع طه حسين في رفض منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين ، من كلية الآداب، كما كانت تريد حكومة صدقي، وذلك حفاظا على كرامة الجامعة وقدسيتها من استخدامها في السياسة والمجاملات، وكان العقاب لطه حسين عميد كلية الآداب بإحالته إلى التقاعد، والعقاب لمحمد عوض محمد الأستاذ بكلية الآداب، بنقله إلى مدرسة التجارة[1] "فآثر محمد عوض محمد الاستقالة ، ولكن طه حسين رفض وقال له: لا تقدم استقالتك يا عوض فسوف نقتسم مرتبك لنعيش منه نحن الاثنان.

وفعلا لم يقدم الدكتور محمد عوض محمد استقالته وظل في وظيفته يقتسم كل شهر مرتبه مع الدكتور طه حسين".

كن طه حسين [2]

وأول خطاب من خطابات الدكتور طه حسين كان خطابا أرسله لصديقه من روما وهو يمثل مصر في مؤتمر المستشرقين بروما في ٣١ أغسطس عام ١٩٣٥. والخطاب يعد وصفا فكاهيا لحال أهل بيت طه حسين وهم يتهيأون للسفر، ويطلب منه فيه أن يمثله في حفل تكريم الأستاذ "ليتمان" فكتب يقول :

---

(١) نعم الباز بآخر ساعة ١٩٧٩/٦/١٣.

(٢) المصدر السابق.

أخي العزيز

أدركني كتابك الطريف صباح اليوم قبل أن ترتحل عن "مسالنش" ولست أكتب هذا ردا على ما في كتابك من فن، فإن ذلك يحتاج إلى هدوء لا سبيل إليه في يوم تحزم الأمتعة وتتهيأ الأسرة فيه لسفر مهما يكن قصيرا فليس بينه وبين السفر الطويل فرق فيما يمس جمع المتفرق، وتفريق المجتمع، وحمل الأثقال وما يتصل بذلك من الأمر والنهي ومن الزجر والوعيد .

إنما أكتب إليك لأرجو منك مع الشكر الكثير أن تقوم عني بالرد السريع على الذين يريدون تكريم الأستاذ "ليتمان" ، فأنا حريص جدا على أن أشترك في هذا التكريم، ولست أدري كيف أكتب إلى هؤلاء الناس ولا كيف أرسل لهم ، فاكتب إليهم بالنيابة عني، وتقبل في سبيل ذلك شكرا كثيراً ، ولكن أحب أن تكتب باسمي أنا لا باسمك أنت، أي تفرض أنك طه حسين. وكم أحب أن يكون هذا الفرض صحيحا ، إذن لاحتملت أثقالا لا أدري كيف تحتملها ولا كيف تستقبلها، ولكن هذا يصلح موضوعا لقصة طريفة ما أظن أن أحدا يحسن كتابتها غير "أوسكار وايلد" ومهما يكن من شيء فكن طه حسين ساعة من نهار، واكتب إلى هؤلاء الناس فقل لهم: إن كتابهم لم يصل إليّ إلا بعد أن طوف في أقطار الشرق والغرب، وإني أشاركهم بكل قلبي في تكريم الأستاذ العظيم ، ثم ضع عنواني في مؤتمر المستشرقين بروما حتى لا تكتبوا إليّ في برلين حيث أنت .

أما بعد فإني استغفر الله فإنا جميعا آسفون لأنك لاتستطيع أن تلقانا في أنس.

ولست أدري لماذا أستقبل مؤتمر المستشرقين كارها له معرضا عنه في هذه المرة ، ويكفي أني أهيئ له شيئا، ولعلي لا أهيئ له شيئا، فقد مضى الوقت أوكاد.

وما رأيك في هذه الحرب المقبلة أتحبها أم تبغضها ؟ أتنتظر منها لمصر خيراً أم شراً؟ أتظن أنها ستضعف الإمبراطورية البريطانية؟ أما أنا فأذكر مقالك الخطير، والاحظ كل يوم أن جماعة من كبار الساسة الإنجليز يكتبون في الصحف الإنجليزية مقالات تذكر بهذا المقال التاريخي العظيم الذي يدل على أن نبوءتك لم تكن أدبية ولا فلسفية، وإنما كانت نبوءة عالم يتقن الجغرافية بعض الاتقان، على أني أكره الحرب وأشفق منها وأقتاها مع ذلك بقسوة لأني أنتظر منها ضعف أوربا. وتقدم الشرق نحو الحرية، فهل ترانى مخطئا؟

وبعد فقد أطلت، ويبقى أن يسافر هذا الكتاب الآن، فنقبل منا جميعا تحية فيها أسف كثير وحب لا حد له ، وسأكتب إليك متى استقر بنا المقام في آلسن.

طه حسين

شاهد على عصر هتلر

وبين أيدينا رسالة للدكتور محمد عوض محمد أرسل بها في ألمانيا سنة ١٩٣٩ والحرب على الأبواب، ومن هناك يصف أجواء الحرب التي تنبأ بها، وهي شهادة هامة جدا من قلب الأحداث المتسارعة. يقول:

في ٢٦ أغسطس

أخي العزيز

تحية صادقة ، وسلاما عطيما

لست أدري أيهما أكثر تجهما، وتلبدا بالغمام، أجو هذا البلد الأمين، المنعزل عن العالم، أم جد السياسة الحمقاء: الذي يزداد كل يوم تجهما واكفهراراً. ولست أنكر عليك أنني حينما كنت بألمانيا - ولم أبرحها سوى أمس - كان الاستعداد للحرب على قدم وساق. فقد عطلت جميع الأعمال تقريبا والصناعات، مكتفية بربع أو بثلث عمالها، بينما الآخرون يعملون فيما له صلة بالحرب من قريب وبعيد؟ ولقد رأيت أسوار المنازل الحديدية تنتزع ، ويقام مكانها أسوار من الزرع . لأن ألمانيا تريد ألا تترك قطعة من الحديد يمكن الانتفاع بها.

وكان الناس يعطون ربع كيلو - استغفر الله بل مائة وثمانين جراما - من الزبدة كل اسبوع، إذ لابد من التوفير للأيام العصيبة . ولقد رأيت بعيني الشبان حتى طلبة الحربية والبرية يؤتى بهم من أقاصي البلاد للإسراع في جمع المحصول، ولا تزال في ألمانيا جهات تحتاج إلى بضعة أيام أخرى لكي يتم فيها هذا العمل.

فأمامنا بضعة أيام للتفكير ، قبل أن تقوم الحرب التي لم يعد من قيامها بد.

وقد تركت ألمانيا منذ ثلاثة أيام حينما رأيت الأزمة قد تناولت البنزين الذي تتغذى به أوليفيا. فقد مرت ثلاثة أيام لم ير الناس فيها البنزين إلا شيئا يسيراً ، ثم انفرجت الأزمة يوما أو يومين، وكنت حينئذ على سواحل البحر البلطي، وبيني وبين سويسره ألف كيلو متر ، فقطعتها في ثلاثة أيام.

وقد ألقيت عصى التسيار هنا، في بلدة صغيرة، أردت أن استريح فيها أياما قلائل، ولأفكر فيما يجب علينا عمله. وكذلك لأستشفي من السعال الذي لا تزال في الحلق منه بقية ، وما ينبغي أن نواجه الأيام العصيبة بالسعال والزكام.

هنالك ناحية في الاتفاق الروسي الألماني، لست أدري هل خطرت لك ولم أرها في الصحف القليلة التي قرأتها.

ذلك أن الاتفاق قد تم بعد أن أخذت الحادثات الحربية تجري مجراها. ولابد من الفرض بأن المفاوضات الألمانية الروسية كانت جارية في الوقت نفسه؟ أليس من الممكن أن الروس قد أرادوا أن يعلموا شيئا عن خطط الحلفاء الحربية ، لكي تنتفع روسيا وحليفتها الجديدة بهذا العلم؟

وهذا يدخلنا في افتراض جديد ، وهو أن الصداقة الجديدة بين الروسيا وألمانيا ، ستبنى على خطة مشتركة جديدة، والصحف الألمانية تتحدث جهاراً في اقتسام بولونيا مرة أخرى.

فإن حدث هذا ، فليس من الضروري أن تعتدي ألمانيا على وارسو أو على بولونيا . ويكون الاعتداء من روسيا نفسها! فلا يستطيع الحلفاء أن يفعلوا شيئا.

وهكذا يجني العالم ثمرة شرطة الإنجليز! بقي التحدث فيما نحن في أمره : لست أدري هل أنت بعد في كنتال أم في باريس، وهأنذا أرسل هذا إلى كنتال لعلك تجده قبل أن تسافر إلى باريس.

من رأيي إذا دام هذا الاكفهرار في الجو السياسي ألا نظل جامدين، بل نعود إلى مصر فوراً.

اما أنت والأسرة الكريمة فمن الصواب أن تفكروا جديا في إمكان تعجيل العودة، وكذلك يجب التفكير -- إذا تلبد الجو تلبدا شديدا -- في تعديل برنامجكم الخاص بالأستاذ كلود. ورأيي أنا ألقيه بكل تحفظ واحترام: أن يبقى هو وتعود الست معكم.

يؤلمني أن تكونوا في باريس في هذا الوقت العصيب، فلا أقل من تطمينني بكلمة ترسلها إليّ بعنواني (.....) بزوريخ.

وأنا شخصيا سأذهب إلى زوريخ يوم الاثنين للسعي في تعجيل موعد السفر.

وتقبل تحياتي الصادقة وسلامي للأسرة جميعا وللصديق العزيز فريد.

عسوض

لم أقل كلمة عن حكومتنا الجديدة ، ومن رأيي الضعيف أنها أحسن من القديمة ألف مرة بالإغاظة في فريد.

لا كباب ولا عوض

وسندرك كثيرا قيمة د. محمد عوض محمد عند طه حسين حين نقرأ له هذه السطور من رسالة بعثها إلى صديقه الغائب في فترة إقامته بالسودان، حيث يخبره بحدث ثقافي هام هو ميلاد مجلة "الثقافة" ولكنه يعتبره ميلادا ناقصا فاترا لأن "عوض" لم يشارك فيه، [1] يقول طه حسين: وقد حدث حادث خطير ولكن غيبتك جعلته فاترا ، فقد ظهرت مجلة الثقافة . ولو كنت حاضراً لكان ظهورها حرياً أن يعجب ويطرب وأن يغيظ ويحنق، ولكنها من غيرك أشبه شيء بطعام الفرنسيين أو بطعام الإنجليز الذي يخلو من الفلفل وما يشبهه، وقد كدت أشبه الثقافة بالكاروت أو بحساء البوردج فاقوم، فلعلك تستطيع أن تشيع فيها شيئا من القوة والحدة وترد عنها بعض الفتور.

ومن الأحداث الخطيرة عندنا: أن أزمة الخدم مازالت حادة فقد ذهب الطباخ بعد أن ذهب السفرجي، ونحن نستقبل في كل يوم طارئا يرمينا من الطعام أشكالا وألوانا ، ولو قد شهدت مائدتنا لضحكت وأضحكت ، ولكنك بعيد عنها، فهي مظلمة قاتمة يسودها الغيظ والخصام" "ما أشك في أني لست الوحيد الذي يطالبك بهذه العودة ، وما أرى إلا أن أصدقاءك جميعا يكتبون إليك كما أكتب الآن".

"وعلى كل حال فأنا أكتب إليك في الساعة التي تعودت أن تأتي فيها قبيل عودتهم من السينما (يقصد أسرة طه حسين) وبعيد الفراغ من ترجمة مقالة الراديو.

وقد سئمت كل شيء حتى العشاء الذي لا سمك فيه ولا كباب ولا عوض"!

* * *

ومحمد عوض محمد مقال جميل مجهول يحلل فيه شخصية صديقه طه حسين رأيت أن أقدمه كاملا لأنه يقدم شهادة من رأى وسمع، وهي شهادة على عصر بقدر ما هي شهادة على شخص.

---

(١) المصدر السابق

جن.. طه حسين(*)

هذه الأعوام الطوال، التي تقف بيننا وبين الماضي، كأنها الحجب الكثيفة والأستار المسدلة، وكل عام يزيد فيها حجاباً جديداً وستراً قائماً. أريد اليوم أن اخرقها بضوء الذكرى ، وأعود بنفسي وبالقارئ ، إلى يوم قد مر عليه نيف وعشرون عاما، وأنا إذ ذاك تلميذ أختلف إلى دور العلم إذا أقبل النهار، وأغشى المحافل والمجامع إذا أقبل المساء.

لم أكن أسمع بحفل حافل إلا هرعت إليه، ولا بخطيب ذى خطر إلا احتلت فى الوصول إليه، وما دام الحفل شائقاً والخطيب ذا شأن، فهيهات أن يحول بينى وبينه حاجب سمج أو جندى شديد المراس، وفي إحدى هذه الحفلات ألفيت نفسي في دار الجامعة المصرية القديمة وسط جموع من الناس قد احتشدت ، وعلى المنبر وزير مصر ثروت باشا ومن حوله جماعة من خيرة رجال مصر، وقد جلسنا صامتين معجبين ، نصغي إلى الخطيب إلى الخطيب، وكل يتحدث إلينا عن فتى من أبناء الجامعة المصرية ، قد منحته الدكتوراه ، فكان أول أبنائها المبرزين.

ثم استطالت الأعناق ، وتحولت الانظار صوب المنبر، وساد الصمت العميق، لأن هذا الفتى، الذى كنت سمعت به ، ولم أكن رأيته من قبل ، قد وقف ليشكر الذين احتفلوا به وكرموه هذا التكريم. فإذا فتى ذو وجه طلق، تكسوه لحية سوداء ذات طول وعرض، وعلى رأسه عمامة أزهرية ، أو ما يشبه العمامة الأزهرية ، وعلى جسده جبة وقفطان أو ما يشبه الجبة والقفطان.. أخذ يتكلم فإذا صوت يجمع بين الشدة والعذوبة ، ولسان عربى قوى ، من ورائه جنان ثابت، وبديهة حاضرة لا تغيب ، هذا الصوت الذى استوعى انتباهي في ذلك اليوم، قد ألفته فيما بعد فلم أعد أنتبه إليه، ولكن كثيراً من أصدقائي أسروا إلىّ أن هذا الصوت ركن لا يستهان به من أركان هذه الشخصية التي كلفت أن أصفها هنا اليوم.

لقد أخذ الفتى طه يتحدث إلى الناس في ذلك اليوم ، فلم يحاول أن يستتر وراء غشاء من التواضع الكاذب، بل أخذ يشكر الذين كرموه واحتفلوا به. لا لأنه يستحق التكريم بل لأن فى هذا تكريماً للعلم ، ورفعاً لشأن العلم. وأذكر أني انطلقت إلى داري مساء ذلك اليوم، وأنا معجب بما وفق إليه ذلك الطالب في موقف ليس الكلام فيه بالشئ الهين اليسير.

لم أكن أدرى في ذلك اليوم – وأنى لآدمى جاهل أن يدرى؟ – أن سيدور الزمان دورته،

(*) هذا مقال مجهول لمحمد عوض محمد بمناسبة احتفال جامعة ليون بفرنسا بتكريم طه حسين ومنحه الدكتوراه الفخرية ، وقد نشر المقال في عدد افلال ديسمبر ١٩٣٨، واحتفظ به طه بين أوراقه الخاصة.

وتجمع بيني وبين هذا الفتى المكرم ظروف الحياة، فإذا أنا جرم صغير وسط هذه المجموعة الكوكبية العظيمة ، التي امتلأ بها ذلك الفلك الخطير ، الذي تدعوه كلية الآداب.

إن الذين لا يعلمون عن كلية الآداب سوى أنها إحدى كليات الجامعة ، لم يكلفوا أنفسهم عناء في تعرف الحياة العلمية والثقافية في مصر. فإن في جدران هذا المعهد صفاء وإخلاصاً وإنكاراً للذات يعز عليك أن تجد له نظيراً في أي معهد آخر. وليس من شك أن هذا البناء الراسخ القواعد، القوي العمد، الذي ضم بين جدرانه أفضل ما في مصر من جهود وتضحية ، لم يكن ليبلغ ما بلغ من قوة ومتانة ، لولا ما بذله طه حسين من خدمة صادقة، وجهود متصلة.

إن ما في طبع طه من دماثة ورقة ، ومن بعد عن الكبر والغرور، قد جعله قوة تجذب وتقرب، وتؤلف. فلم تكد تستقر قدمه في معهده هذا حتى أخذ ينضم إليه جماعة من خيرة أبناء مصر، وأنبلهم نفساً، وأكرمهم قلباً. وكان شأنه في هذا كالباحث عن الكنوز، التي لا يعلم سواه مقرها، ولا كلمة السحر التي يجتذبهم بها. وهكذا استطاع هذا الساحر الخلاب أن يضم إليه ما بين عشية وضحاها، أعلاما هائلة مثل أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق. فقل لي بحقك في أي ركن من أركان هذا القطر السعيد كنت تجد نجوما ثلاثة، باهرة النور ساطعة الضياء، مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين . ثم لم يمض وقت حتى تلاهم من صفوة أبناء مصر مثل إبراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام وأمين الخولي.

وقد قصرت الكلام على هؤلاء لأنهم جميعاً قد اتفقوا في صفة واحدة جليلة، لم يدركها ولم يقدرها إلا القليل، ذلك أنهم قد جمعوا إلى الثقافة الإسلامية الخالصة التي أحاطوا بها إحاطة نادرة، ثقافة عصرية غربية، قد تزودوا منها بأقدار متفاوتة، ولكنها أقدار صالحة على كل حال. وإني – وأنا من الذين حرموا هذه النعمة – أقرر في غير تردد أن هذه العصبة التي جمعت بين الثقافتين هي خير من يسهر على إرشاد مصر، وتوجيهها في هذا الوقت العصيب، الذي تتنازعها فيه المؤثرات المتباينة المتنافرة.

أجل، وإن شخصية طه حسين قد كبرت ، وتعددت نواحيها حين ضرب بسهم عظيم في كلا الثقافتين ، وبلغ في كل منهما منزلة ليس من السهل على المتخصص المنقطع لإحداهما أن يبلغها ، فإنك قد تجلس إلى الرجل المثقف – وليكن حظه من الذكاء وافراً – وتتحدث إليه، فتراه يدور في دائرة واحدة لا يستطيع أن يعدوها، فإذا كانت هنالك مواقف جدية، لم يستطع أن ينهض فيها إلا بمقدار محدود. أما طه الذي جمع إلى حدة الذكاء وحضور الذهن – ثقافة الشرقيين والغربيين، فقد أصبح نبوغه متعدد الأركان، مختلف الفنون، فهو الكاتب الذي أسلست له العربية قيادها. والخطيب الذي يجمع إلى البيان النادر، مقدرة مدهشة على اختيار الكلام الذي يلائم كل

موقف، وهو في النضال ذو الحجة القوية ، والموفق في إيجاد حل لكل مشكل. ويبحث الغربيون الذين يفدون إلى ديارنا، عن مصري يستطلعون من حديثه نواحي النهضة المصرية الحديثة فلا يجدون مثل طه في قوة بيانه إذا تحدث إليهم بلسانهم الأعجمي، فاطلعهم على ثقافة الشرق، وعلى نهضة مصر، وما يجيش بصدرها من آمال، وما تعانيه من صروف. لم يكن – بعد ذلك – بد من أن يسير ذكر طه في الآفاق وأن يسمع به أهل الصين في الصين، وأن تحتفل به معاهد العلم في فرنسا أو غير فرنسا من الأقطار.

ستقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، بالأمس البعيد وزير مصري جليل مثل ثروت ، وجامعة مصرية ناشئة ، تقيم حفلة رائعة لتكريم طه حسين الطالب، وبالأمس القريب وزير فرنسي خطير مثل هريو، وجامعة فرنسية عريقة كجامعة ليون تحتفل بطه حسين الأستاذ.

أجل، ولكن حياة طه حسين لم تكن كلها حفلات تكريم وتقدير. فإن هذه السفينة العجيبة لم تلق بها يد الدهر، في بحر كله هدوء وصفاء، بل كثيراً ما عصفت بها العواصف الهوجاء، وتقاذفها الموج الثائر الأحمق. حتى أشفق عليها محبوها أن ترتطم بصخر قاس، أو يلقى بها في ساحل موحش مقفر.

وفي استطاعتك أن تعجب – ما وسعك العجب – في أن القائمين بالأمر في مصر بدلا من أن يغتبطوا بطه، قد أخذوا يضطهدون طه، ثم يمعنون في اضطهاده إلى درجة يصعب أن يتصورها عقل عاقل. وأكبر مظهر لهذا الاضطهاد ما حدث في ربيع سنة ١٩٣٢ حين أخرج من الجامعة إخراجا، ثم أخرج من خدمة الحكومة إطلاقا، ثم أمعنوا في اضطهاده حتى طلبوا إلى شركة مصر الجديدة أن تخرجه من داره التي يسكنها. فأذعنت الشركة لأمر أولى الأمر، وأبدلت طه من داره داراً أخرى، لا تقل عنها رونقاً وجمالا، وإن زادت عليها في الأجر قليلا. ورأى الناس هذا الاضطهاد ، فأخذوا يقللون من الوفد على داره. وأخذ بعضهم – حتى من كان يظنهم أصدقاءه – يتحين ظروفا ويختلقها اختلاقا، لكي يتذرع بها إلى مخاصمته ومغاضبته. فلم يزل حتى قل زائروه وانقطعت تلك الجموع الحاشدة التي كانت تفد إلى داره كالسيل المتدفق.

وأذكر أني قلت لأحمد أمين في ذلك الوقت : إني لأشتهي اليوم الذي أرى فيه طه وقد عادت إليه الدنيا، وأرى هل تستطيع تلك الوجوه الكالحة أن تتهافت عليه ذلك التهافت القديم، فضحك أحمد أمين ضحكته الفلسفية العظيمة، وقال: يا صديقي ، ما أعظم سذاجتك ، إنك سترأهم يومئذ وقد ازداد تهافتهم عليه وتزاحمهم على داره.

ولقد زرت طه بعد ذلك حين رضي عنه السلطان، وكان اليوم عيداً من الأعياد، فألفيت في داره أكداسا من الهدايا، ورسائل التهنئة. ورأيت صاحبي مكتئباً، فسألته ما خطبك، قال إني

ذكرت مثل هذا اليوم من العام الماضي، وجعلت أقارن بين اليومين فأحزنتني المقارنة، ولكن لعل هذا شأن الحياة.

على أن زمن المحنة هذا – الذي دام أعواماً ثلاثة – قد أظهر من أخلاق طه نواحي كانت خافية؟ وبرزت فيه شخصيته القوية في مظهر لابد للمنصف – مهما كان شعوره نحو طه – من اكباره واجلاله . فلقد كان في ذلك العهد القاسي عظيما، عظمة لم يبد في مثلها من قبل ولا من بعد. في ذلك الزمن الذي انقطع فيه عن طه مورد رزقه الوحيد، وأمعنت دولة ذلك العهد في اضطهاده، وهجره كثير من أصحابه وأقرانه، لم يمتلئ صدر طه حقداً ولا موجدة على أحد. ولم يكتسب طبعه شيئاً من المرارة، وقد ظن الناس أن طه بعد أن ترك خدمة الحكومة وما تدره من رزق، سيعمد إلى حياة متواضعة، فيسكن في منزل متواضع، ويكتفي من المعيشة بأخفها وأهونها على الجيب ، وأنه سيأخذ نفسه وأسرته بشيء من الحرمان والاقتصاد، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، وظل طه هو طه، ذلك المكساب المتلاف، الذي لا يستقر الدينار في كفه إلا ريثما يطير عنها. ولم تتغير معيشة طه في شيء بل ظلت ماندته حافلة غنية، وداره فخمة واسعة، وموقده يبعث بالدفء والحرارة ، وسيارته تقطع الطرقات عدواً. وكأن المقادير شاءت أن تكون أشد عطفاً عليه في هذه الحال، فكانت لا تدعه في الضيق إلا ريثما تيسر له طريق السعة. وقد اشتدت الأزمة مرة ثم إذا هي تنفرج بتبوئه عرش الصحافة الوفدية، وبين الوفد والأحرار الدستوريين في ذلك الوقت صداقة أو ما يشبه الصداقة. ولعل عطف الوفديين على طه في عهد المحنة هذا، هو الذي أسس بينه وبينهم صداقة ومودة. وبهذا لم يعد طه تابعاً لحزب دون حزب، أو جماعة دون أخرى، والناس في أمر طه ينقسمون إلى قسمين ، هما كالقطبين بعداً – ولا وسط بينهما – فقسم شديد الحب له والإعجاب به، وفريق يدل مظهره على البغض الشديد له والنقمة عليه. وبعضهم لم يتورع حتى عن ارتكاب الجرائم لإيذائه والإيقاع به. وإذا استثنينا قليلا من الذين أكل قلبهم الحسد لطه على نجاحه وتفوقه ، فإن أكثر الناقمين عليه يصعب أن نجد سبباً لبغضهم ونقمتهم. فهل هذا التناقض الغريب يرجع أمره إلى طه نفسه، أم إلى أخلاق الناس عامة وفي مصر خاصة؟ يغلب على الظن أن الأمر يرجع إلى كلا السببين. فنحن في مصر – ويا للأسف – يغلب على خلقنا الإسراف، والبعد عن الاعتدال، فنحن نضحك فنسرف في الضحك ، ونحزن فنسرف في الحزن. ونحب فنغلو في الحب، ونبغض فنسرف في البغض. أليس من الجائز أن هذا هو شأن الناس في طه، وأن بعدهم عن الاعتدال هو سبب تعصبهم الشديد لطه أو عليه؟ هذا هو الراجح عندي، ولكن من الجائز أيضاً أن شيئاً من هذا يرجع إلى طه نفسه. فإن خلق الشجاعة قد يشرف أحياناً على التهور، وقد عشق طه الصراحة المرة في أول حياته، واندفع في سبيلها اندفاعا شديداً لم يقف فيه عند حد، ولم يكن

يعرف، ولم يرد أن يتعلم كيف يداري ولو قليلا، فإذا خطرت له فكرة، وأراد أن يدافع عنها، أو رأى في إنسان، أو في مؤلف، أو في موضوع، رأياً، لم يتردد في الجهر بما يراه دون أدنى تفكير في العواقب.

ذلك كان عهده في أول حياته، وقد دفع ثمن هذا حتى وهو طالب بالأزهر، يوم حرم شهادة العالمية. وقد استغلت الخصومة السياسية هذا الخلق في طه، وجعل بعض ذوى الأغراض ينفخون في تلك الجمرة ويعملون في إشعالها. وهذا الخلق الثائر كان لابد أن يهدأ على مدى الزمن، وتنكسر حدته، ولكن هذا التطور لم يتم إلا بعد أن أشعلت نيران، أبت أن تخمد حتى بعد أن أصبح طه بعيداً عن ميادين السياسة، وفي معزل تام عن تلك الخصومات.

من الأسف المؤلم أن السياسة التي أفسدت كل شئ في مصر، لم تتورع عن أن تقتحم الحرم الجامعي، وتعبث يدها الأثيمة بنظم الجامعة واستقلالها، ولم تزل ويا للأسف تثير الضغائن بين الأخ وأخيه، فتقيم من الطلاب جماعات تقتتل وتتشاجر. وطه يحاول جهده أن يقي الجامعة – أو على الأقل كليته – غوائل السياسة، فيفوز أحياناً ويخذل أحيانا، ولو أن طه في بلد هادئ آمن، والجامعة تؤدى رسالتها في أمن وطمأنينة، لجنت من جهوده وجهود أصحابه أضعاف ما تجنيه الآن. وبرغم هذا كله، فقد استطاع بإخلاصه الشديد للجامعة، وحرصه على خدمتها بكل ما أوتى من قوة ، أن يكون له فيها اليوم مكانة منقطعة النظير، فهو موضع الحب والتقدير من زملائه. وحب الطلبة له .. الذى يوشك أن يكون عبادة – ليس مجرد تحمس طائش ، بل مبعثه هذا الحنو الشديد الذى يحسه نحوهم ، وما يبديه لهم من العطف الذى لا يعرف حداً، والذى يكاد أن يكون ضعفاً . فبالرغم من مواقف الحزم التي قد يقفها معهم في كل ما له صلة بالدرس والتحصيل والسلوك، فإنه لا يستطيع أن يملك نفسه إذا سمع بقصة طالب فقير أو عاطل، أو في حاجة إلى المعونة . وقد أصبحت كلية الآداب في عهد طه وليس فيها من الطلبة من يدفع رسوم الدراسة سوى عدد قليل لا يكاد يبلغ الثلث. ومهما رسب الطالب في الامتحان، فإن طه لا يستطيع أن يفرض الرسوم على طالب فقير. ولن ترى في العالم كله معهداً يرسب فيه الطالب عامين متتاليين ثم يتمتع بالمجانية.

وهكذا ترى طه مزيجاً من القوة، التي تشرف أحيانا على العنف، والحنان المشرف على الضعف، ولقد يسئ إليه المسئ ويمعن في الإساءة ، ثم يقصده بعد ذلك في حاجة، فإذا طه يسيل رقة وعذوبة، وإذا هو ينهض إلى قضاء حاجة المجرم نهوضاً عجيباً، كأنما يسعى لتأدية فرض، أو لمقابلة الجميل بمثله.

وبعد فإنك ستسألني وأسألك – ويسأل بعضنا بعضاً –: كيف استطاع طه، هذا الذى يتهافت عليه أصحاب الحاجات، والذى تراكمت عليه الواجبات، وكيف يتاح له الوقت لكي يعد الدرس،

ويؤلف المقالات، ويصنف الكتب؟.. إن الجواب عن هذا السؤال ينطوى على سر كبير من أسرار نجاح طه. فإن الذى قضى عليه بهذا العمل الكثير المرهق، فى الجامعة وغير الجامعة، قد رزقه قوة على العمل المتصل ليس من السهل أن تجد لها مثيلا. وليس بالشئ النادر أن تراه يبدأ أعماله إذا اقبل النهار، فلا ينقطع عنه العمل بعد ذلك إلى منتصف الليل، اللهم إلا لحظات قلائل يصيب فيها حظا يسيراً من الطعام والشراب.

ولكن بعد هذا كله لابد من الاعتراف بأن إنتاج طه العقلى، كبير جداً إذا قيس إلى وقت فراغه القليل، والسر فى هذا قد يكون راجعاً إلى توقد ذهنه، وسعة إطلاعه، وامتلاكه ناصية اللغة العربية، بحيث تراه فى تأليفه كمن يغرف من بحر لا كمن ينحت فى صخر. وإلى جانب هذا كله، وفوق هذا كله، تراه يستند فى عمله إلى حظ من الإلهام الغريزى، الذى يسوق إليه الآراء الجديدة سوقا، ويمكنه من أن يولد من الحبة الصغيرة دوحة باسقة، ممتدة الفروع والأغصان .

تقول العامة ان الحديث عن العفاريت إذا ابتدأ فهيهات أن ينتهى، وأصدقاء طه وخلصاؤه مجمعون على أن فى طه عنصراً جنياً لاشك فى وجوده، ولهذا فإن الحديث عنه لا يمكن أن ينتهى إلا إذا قطعناه بالقوة.

وبعد ، فهذه صورة مقتضبة قاصرة ناقصة لهذا الإنسان العجيب، الذى مدحه الناس بإسراف ، وشتموه بإسراف، وأحبوه بإسراف، وأبغضوه بإسراف، وقل أن تجد شخصاً كرم كما كرم طه ، واضطهد كما اضطهد.

فلنتم إذن حديثنا عن طه الممدوح المشتوم، المحبوب المكروه، المكرم المضطهد . طه القوى إلى درجة العنف حين يريد أن يدفع شراً، أو يدافع عن رأى يراه. طه الضعيف الرقيق، إذا قصده المسئ ليعتذر، أو صاحب الحاجة يشكوها له . طه الجليس الممتع، والصديق الوفى، والابن البر، والأب المشفق. طه اللين الجانب الرقيق الحاشية، الخشن الملمس الصعب المراس. طه ذى الكف الناعمة الطرية. والمخالب الحادة القاطعة.

وبعد . فلقد كان برنارد شو غير محبوب كثيراً بين الإنكليز، بعد أن علا نجمه فى كل بلد إلا فى بلده. ثم لم يلبث الإنكليز أن رضوا هم أيضاً عن برنارد شو، فهل ينتهى الأمر بالمصريين أيضاً إلى أن يجمعوا على تقدير طه والاعتراف بفضله، دون أن يكون هنالك ذلك الشذوذ السخيف الذى نسمع به من آن لآن؟.. ذلك ما أعتقده فإن الساخطين على طه قد أخذ عددهم منذ زمن بعيد يقل شيئاً فشيئاً. ولابد أن تذهب ريحهم تماما بعد وقت غير طويل.

محمد عوض محمد

أزمات طه حسين في الجامعة

واجه طه حسين الكثير من الأزمات، في الجامعة أهمها وأخطرها ثلاث: أولها أثناء أزمة الشعر الجاهلي التي أثارت عليه عاصفة من الهجوم لأنه حسب من اتهموه يفسد طلابه بأفكاره الهدامة بتجرئه على الشوابت في الدين والأدب، وكلنا يعلم أن هذه الأزمة قد انتهت لصالح طه حسين بحفظ التحقيق ضده، غير أننا سوف نكشف الآن فقط من خلال أوراق طه حسين التي ننشرها للمرة الأولى أن طه حسين كان قد قدم استقالته من الجامعة ولكنه يتدخل لطفي السيد تم إقناعه بالعدول عنها، أما الأزمة الثانية فمعروفة ومشهورة وهي التي اصطدم فيها مع إسماعيل صدقي وأحيل بعدها إلى التقاعد، ثم كانت الأزمة الثالثة خلال عمادة طه حسين حول كتابين يتم تدريسهما بكلية الآداب واعتبرهما الذين أثاروا الأزمة كتابين يمسان الدين، وقبل الأزمة الأولى وبين الأزمات الثلاث وبعدها حدثت أزمات أخرى كان سببها دائما طه حسين.

يحدثنا طه حسين الفتى الأزهري بصدى سماعه لأول مرة عن الجامعة حين يقول: "لم يكد هذا القرن يبلغ السابعة من عمره حتى سمعنا دعوة تقترب في مصر وتدعو إليها الصحف ويتحدث بها الناس، وهي الدعوة إلى إنشاء جامعة مصرية كالجامعات المعروفة في أوربا.. وأشهد أنني حينما سمعت هذه الدعوة أول مرة لم استقبلها إلا بالضحك فقد كنا - طلاب الأزهر - لا نعرف إلا الجامع ، أما هذه الجامعة التي كانت تركب لنا مؤنثة ، فكنا نضحك منها ونسأل عما يمكن أن تكون، ثم فهمنا هذه الدعوة إلى الجامعة فاستحال ضحكنا منها إلى رضا عنها وطموح إليها..

جامعة فؤاد في عهدها الأول

أما كيف نشأت فكرة الجامعة؟

[1]"ففي سبتمبر ١٩٠٦ نشر المرحوم مصطفى كامل الغمراوي بك نداء في "المؤيد" دعا المصريين فيه إلى إنشاء "جامعة مصرية" وبعد ذلك بأيام كتب سيد أحمد المنشاوي بك يقرر أن والده أحمد المنشاوي باشا تحدث في الموضوع إلى نفر من أصدقائه منهم سعد زغلول وقاسم أمين، وعرض أن يوقف أربعين فدانا في جهة "باسوس"، و"أبو الغيط" لتنشأ الجامعة عليها.

---

(١) الهلال - عدد خاص عن الاحتفال بالعيد الفضي للجامعة - يناير ١٩٥٠.

هكذا برزت الفكرة إلى حيز الوجود، وتحمست لها الصحف تحمسا شديداً ، وعرض الشيخ علي يوسف على أصحابها الاجتماع في دار المؤيد، واتخاذها مقرا مؤقتا، ففضلوا الاجتماع في دار سعد زغلول بشارع الإنشا.

وفي ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٦ عقدت الجمعية التأسيسية للجامعة المصرية أول اجتماع لها في بيت سعد في شارع الإنشا بالقاهرة . وقررت إذاعة بيان على الجمهور وفتح باب الاكتتاب".

ومن بين أوراق طه حسين التي احتفظ بها عثرنا على صفحة مطبوعة من القطع الكبير بعنوان "الجامعة الأهلية" يحتوى على قائمة للتبرعات وأهمها تبرعات الأميرة فاطمة إسماعيل، وصدى ذلك عند الشعراء والزعماء والأدباء ومنهم طه حسين نفسه، حيث تقول هذه الورقة :

الجامعة الأهلية

من التبرعات التي قدمت للجامعة خمسة آلاف جنيه من وزارة الأوقاف ولكن أكثر التبرعات كانت أهلية (بالجنيه) منها:-

حسن جمجوم	١٠٠٠
أحمد حيدر باشا	٥٠٠
مصطفى كامل الغمراوى	٥٠٠ + ٦ أفدنه
الأمير يوسف كمال	١٥٠ فدانا
حسن زايد بك	٥٠ فدانا
سعد زغلول	١٠٠ جنيه
عوض عريان	٧٣ فدانا
حسين عبد	٥٠٠ جنيه

وكان أهم التبرعات تبرع الأميرة فاطمة إسماعيل التي قدمت ستة أفدنة بجوار قصرها في الدقي ، وستمائة فدان للتصرف من ريعها على الجامعة ، وجواهر تساوى ١٨ الف جنيه. وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في مدحه للأميرة لهذا الكرم:

كسوتها ، وهي أهل للذي كسيت كما كسا جنبات الكعبة الكساسي

فلا صنيع كصنعك في محاسنه ولا لفضلك في الأجيال من ناسي

أما طه حسين فقال مخاطبا الأميرة في قصيدة نشرتها (الجريدة) بتاريخ ١٩١٣/١١/٩:

عشت للشرق فان الشرق محتاج إليك رفع الله منار العلم فيه ... بيديك

وهبت الجامعة السعد، فنالت نعمتيك فهي في أمن من الدهر بما فازت لديك

يا مثال الجسود والبر هنا فسي يديك إنما الحمد وحسن الذكر موقوف عليك

وأرسل الزعيم مصطفى كامل من باريس خطابا إلى محمد فريد أمين اللجنة التي ألفت لتكريمه عند عودته يشير فيه إلى مشروع إنشاء الجامعة المصرية قائلا: هذه هي (الهدية) الوحيدة التي يليق بالوطنيين إهداؤها لمصر والمصريين، فلتنسى الأحزاب انقساماتها ولينس الصحفيون خصوماتهم ولتلق الأحقاد في هوة لا يسمع فيها لعذر ولا دوى، وتجتمع الأمة لإتمام هذا العمل الضخم وتحقيق ذلك المشروع الذي كله خير ونفع عميم.

الأزهريين أكثر استفادة

ويؤكد طه حسين أن الأزهريين الذين دخلوا الجامعة كانوا أكثر استفادة من هؤلاء الذين لم يتعلموا بالأزهر، "وأستطيع أن أقول إن هذا التعليم كان له أثر سريع في نفوسنا -- نحن الأزهريين -- عن إخواننا الذين درسوا بالمدارس المدنية. وهو قد أتاح لنا أن نلتقي مرات مختلفة في الأسبوع الواحد، بعد أن كنا في عزلة تامة ، وأتاح لنا أن نتحدث بعضنا إلى بعض وأن نتعاون وأن ندرس معاً، وأذكر أني كنت قد اتفقت مع بعض هؤلاء على أن أعلمه المنطق الذي كنا ندرسه في الأزهر ويعلمني هو لغة من اللغات الأجنبية".

ويتذكر طه حسين كيف أنه اضطر إلى الاستدانة ليدخل الجامعة المصرية القديمة في عهدها الأول "وحين تقدمت للجامعة الأهلية كان عليّ أن أدفع جنيها واحداً رسم تسجيل، ولم يكن معي ما أدفع، فطلبت من الزيات صاحب "الرسالة" أن يدفع هذا الجنيه ولم أرده له ولن أرده".

وتأتي الفرصة لطه حسين ليعبر البحر إلى السوربون في بعثة على حساب الجامعة إلى فرنسا، بعد أن استوفى شروطها المطلوبة وحصل على أول دكتوراه عن أول رسالة جامعية تمنح لطالب في تاريخها، وكانت عن "ذكرى أبو العلاء المعرى" والتي أثارت ضجة وصلت إلى الجمعية التشريعية التي يرأسها سعد زغلول، بعد أن اتهم أحد أعضائها، طه حسين بأنه تجنى على أبي العلاء وأخرجه من دين الإسلام، مما يستوجب حرمانه من حقوقه الجامعية ، وعدم سفره في البعثة التي رشح لها للسفر إلى فرنسا، وذهب هذا النائب إلى حد المغالاة فطالب بإغلاق الجامعة التي منحت طه حسين إجازة الدكتوراه ، واستطاع سعد زغلول أن يقنع هذا النائب بسحب سؤاله الذي يعتزم تقديمه للجنة التشريعية لأن من شأنه ألا يثير فتنة في الجامعة فقط بل سيمتد فيها إلى الأزهر نفسه الذي

يقتضي الأمر إغلاقه أيضاً لأن طه حسين كان يدرس فيه قبل الجامعة.

وحدثت الفتنة إلى حين، ليسافر طه حسين إلى فرنسا، ليمكث هناك أكثر من سنة ، ثم يعود مضطراً بعد إفلاس الجامعة التي أعادت مبعوثيها إلى حين تيسر الأمور، ومر طه حسين بفترة من أقسى فترات حياته التي تحطمت فيها آماله أو كادت، ليقدم هو بنفسه السبب الذي كان سيلغي بعثته نهائياً عندما قارن بين دروس أحد مشايخ الأزهر، ودروس أساتذته بفرنسا، ونشر ذلك على الملأ في جريدة "السفور" مما جعل هذا الشيخ يشكوه إلى مجلس الجامعة مطالبا بإلغاء بعثته لتطاوله، ولولا أن الذي قام بالتحقيق مع طه حسين بناء على قرار مجلس الجامعة، هو أستاذه أحمد لطفي السيد الذي أنهى المشكلة، لحرم طه حسين من العودة مرة أخرى إلى باريس لاستكمال دراسته، وقد عاد بعدها مظفراً تقيم له الجامعة احتفالا يحضره وجهاء القوم فرحاً بأنجب أبنائها الذي حصل على أول دكتوراه من الخارج .

وقائع الاحتفال بطه حسين

نقرأ من بين أوراق طه حسين خبرا مكتوبا بخط اليد يسبق هذا الاحتفال تقول سطوره:

الخروسة : ٧ ديسمبر ١٩١٩

في الساعة السادسة بعد ظهر اليوم تحتفل الجامعة المصرية ، ويحتفل معها الشباب المصري الناهض بافتتاح محاضرات الأستاذ الدكتور طه حسين في التاريخ القديم، وسيحضر الاحتفال أعضاء مجلس إدارة الجامعة وكثيرون من رجال العلم والأدب في مصر.

والأستاذ الدكتور طه من خير ما أنجبت مصر علما وخلقا، ومن خير من تنتظر مصر منهم عملا في سبيل ترقية مستواها العقلي بالطرق العلمية الصحيحة الحديثة التي استقاها من موارد الغرب وأضافها على صفات الثبات والاستمرار والتعمق التي اكتسبها من المدة التي قضاها في الأزهر بمصر.

ولا يشك عندنا في أن حفلة اليوم العلمية ستكون فاتحة نهضة علمية مباركة يستفيد منها طلاب العلم: شبابهم وشيوخهم، وتدفع بهم إلى الأمام في سبيل الرقي والتقدم.

وفي ورقة اخرى نقرأ عن وقائع الحفل بتاريخ اليوم التالي في ٨ ديسمبر ١٩١٩ الخروسة ، تحت عنوان: الدكتور طه حسين يلقي درسه الافتتاحي بالجامعة المصرية، تقول السطور التي احتفظ بها طه حسين بين أوراقه:

كان أمس موعد إلقاء الدكتور طه حسين أستاذ التاريخ القديم بالجامعة المصرية، أول درس له بعد عودته من أوربا متزودا بالطرائق العلمية وأساليب البحث الحديث. فبدأ شباب مصر يفد على دار الجامعة من الساعة الخامسة بعد الظهر، وكان من مختلف الطبقات ، يضم الأستاذ، والمدرس، والمحامي، والطبيب، والصحفي ، والأديب. وعند الساعة السادسة أقبل أعضاء مجلس الإدارة يتقدمهم حضرة صاحب المعالي ثروت باشا، الوزير السابق، يتبعه سعادة إسماعيل حسنين باشا وكيل المعارف ، ومرقص حنا بك المحامي، وعلي بك بهجت مدير دار الآثار العربية ، وشكري باشا وكيل الحقانية ، وحسن سعيد باشا، فتقدم الأستاذ إسماعيل رافت بك وأخذ بيد الأستاذ طه وقدمه إلى ثروت باشا، ثم ارتقى إلى مقعد المدرس، فقابل الحاضرون الأستاذ الجديد بالتصفيق الطويل، ثم وقف بعد ذلك ثروت باشا وقال:

أيها السادة: في العام الماضي وفي هذه القاعة افتتح صاحب المعالي زغلول باشا الوكيل الثاني للجامعة المصرية درس آداب اللغة العربية الذي ألقاه الأستاذ الشيخ "أحمد ضيف" ، وإنني لسعيد اليوم أن أقدم لحضراتكم الدكتور طه حسين (تصفيق) ابن الجامعة ، وأحد متخرجي إرساليتها بفرنسا ، وإنني لفي غنى عن تعريفكم بمقام الرجل، ومكانته من العلم والأدب، فالدكتور طه حسين معروف بيننا من قديم بما اشتهر به من النبوغ والذكاء النادر.

حياة الدكتور طه حسين العلمية بدأها طالباً في الجامعة الأزهرية ، ثم انتسب بالجامعة المصرية، وواظب على الحضور فيها سنة ١٩١٤، فتقدم لنيل شهادة الدكتوراة فيها ، وذكرى أبي العلاء لا تزال في أذهاننا جميعا، تلك الرسالة الفلسفية الخطيرة التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه ، تلك الرسالة التي نالت المنزلة الكبرى والشهرة الفائقة .

كان الأستاذ طه حسين أول عالم شرقي نسج هذا المنوال في أبحاثه الفلسفية ، عندما بحث أطوار فيلسوف الشرق أبا العلاء المعري. نجح الشيخ طه حسين نجاحا باهرا، فكان أول دكتور أخرجته الجامعة المصرية ، وتبينت فيه مجلس إدارة الجامعة تلك الكفاءات العلمية ، وظهرت تلك المقدرة الاستثنائية ، فلم ترد أن يقف الشيخ طه حسين إلى هذا الحد، فانتخبته لأن يكون عضوا في إرسالية الجامعة بفرنسا ليدرس التاريخ فيعود إلى الإفادة في دار الجامعة. ذهب واشتغل في كلية الآداب في السوربون، وحصل على إجازة الليسانس فيها، ثم نال الشهادة العالية في العلوم التاريخية.

وإني لأذكر بمزيد من الفخر والإعجاب أن المدة التي قضاها كانت أقصر مدة يمضيها الطالب في تحصيل ما حصل".

استقالة لم تتم

وأراد طه حسين أن يرتقي بالجامعة المصرية لتكون كمثيلاتها الأوربيات، فأدخل دراسة التاريخ اليوناني إلى الجامعة لأول مرة ، فرضي القليل وسخط الكثيرون الذين رأوا في هذه الدراسة مضيعة للوقت والجهد فيما لا يفيد، ثم بدأ طه حسين ينحو في دراسة الأدب منحى جديدا قوامه الشك في كل الثوابت والمسلمات الموروثة، وليضع بذلك اللبنات الأولى للدراسة العلمية المنهجية للأدب العربي، ولينقل طه حسين منهجه من داخل أسوار الجامعة إلى خارجها بمقالات في الصحف، والتي توجها بكتابه القنبلة "في الشعر الجاهلي" والذي تضمن محاضراته التي ألقاها في الجامعة، لتصبح دراسة الأدب بعد صدور هذا الكتاب ليست كدراسته قبله، وأصبحت قصة هذا الكتاب معروفة ومشهورة تناولتها الكثير من الكتب، ولا نرى داعيا لتكرارها هنا، أما الجديد الذي سوف نكتشفه هنا لأول مرة فهو قرار طه حسين بالاستقالة من الجامعة بعد الضجة التي أثيرت ضده والاتهامات التي علقت برقبته، ولكن أحمد لطفي السيد بالاتفاق مع وزير المعارف نجح في حفظ هذه الاستقالة كأنها لم تكن ولذلك لم نسمع عنها، وسنجدها في هذه الوثيقة التي ننشر نصها الذي كتبه مدير الجامعة لطفي السيد:

الجامعة المصرية.

قلم المستخدمين.

المرجو عند الرد ذكر هذا الرقم م١-١/١٦.

القاهرة في ١١ مايو سنة ١٩٢٧

جناب المحترم ناظر كلية الآداب

جوابا على كتاب الكلية رقم ٥٨ في ٥ مايو سنة ١٩٢٧ أتشرف بإخبار جنابكم أننا بعد أن قابلنا حضرة صاحب المعالي وزير المعارف استطعنا إقناع حضرة الدكتور طه حسين بأنه لا داعي لاستقالته ، وأن الجامعة تحرص على إبقائه في كرسيه، ولذلك حفظنا الاستقالة المذكورة ونرجوكم إبلاغ حضرته ذلك.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مدير الجامعة المصرية

الإمضاء "أحمد لطفي السيد"

ولكن العاصفة تعود مرة أخرى للظهور بعد اصطدام طه حسين برئيس الوزراء إسماعيل صدقي وحكومته ، على إثر رفض طه حسين منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين، وتظاهر طلبة الجامعة أثناء زيارة الملك فؤاد للجامعة برفقة رئيس وزرائه صدقي باشا احتجاجا على حكومته الديكتاتورية، ثم رفض طه حسين محاولات صدقي لاستمالته لرئاسة تحرير صحيفة حزبه، ولم يكن هناك بد من عقاب طه حسين وإخراجه من الجامعة ونقله إلى ديوان وزارة المعارف وإحالته إلى المعاش بعد ذلك وتجديد فتح ملف قضية الشعر الجاهلي مرة أخرى، ويقوم طلبة كلية الآداب بالإضراب عن الدروس احتجاجا على إخراج أستاذهم وعميدهم، وكان من المشاركين في هذا الإضراب الطالب نجيب محفوظ بقسم الفلسفة بكلية الآداب. ويرفع طلبة الكلية التماسا إلى الملك فؤاد لإعادة عميدهم إليهم، وأعرب مجلس كلية الآداب عن أسفه ودهشته لهذا القرار الذي لم يعلم به إلا من الصحف، وتتسع دائرة الإضراب لتشمل طلبة كليات العلوم، والحقوق، والطب، كما أضرب طلبة مستشفى قصر العيني.

ووقعت مصادمات خفيفة بين الطلبة والبوليس، أما مدير الجامعة أحمد لطفي السيد فقد كان الجميع يرقبون موقفه، وبدأوا ينحون عليه باللوم لتأخره في اتخاذ موقف حاسم من إقالة طه حسين من الجامعة.

وتذكر صحف تلك الفترة أن طلبة كلية الآداب "قابلوا مدير الجامعة وأبلغوه احتجاجهم فنصح لهم بالتزام الهدوء واعداً إياهم ببذل قصارى طاقته لحل الإشكال بما يصون كرامة الجامعة ويكفل لها استقلالها.

وللحال شرع حضرته في مخاطبة ولاة الأمور بالموضوع، فاستنكر الطريقة التي جرت عليها وزارة المعارف في معاملة الدكتور طه واعتبرها ماسة بكرامته وكرامة الجامعة كلها، وطلب إعادة العميد المنقول إلى كليته في خلال ٤٨ ساعة.

وطلب أحمد لطفي السيد من ولاة الأمور أن يعتبروه بحكم المستقيل من منصبه إلى أن يسوى الإشكال بما يصون كرامته وكرامة الجامعة، فإذا لم يسو على هذا المنوال استقال من منصبه نهائيا، فرغب إليه ولاة الأمور في التريث ريثما ينجلي الموقف فأمسك عن إعلان استقالته ولكنه انقطع عن الذهاب إلى مكتبه.

وظن بعضهم يومئذ أن مدير الجامعة تساهل في حقوقه وفي الدفاع عن كرامة الجامعة، فبدأوا ينحون عليه باللوم، فتحمل لومهم صابراً آملاً أن يوفق إلى حل الإشكال حلا مرضياً.

فاقترح لتقريب شقة الخلاف أن يعود الدكتور طه إلى كلية الآداب أستاذا فلم يقبل اقتراحه وعندئذ صمم حضرته على الاستقالة فأرسلها إلى وزير المعارف مكتوبة قبل ظهر الخميس "١١ مارس ٣٢" ولكي يضع ولاة الأمور أمام الأمر الواقع أرسل صورة منها إلى بعض الصحف فنشرت فيها بعد تسليمها للوزير بساعات. فأثارت استقالته ثائرة طلبة سائر كليات الجامعة، فاجتمعوا يوم الجمعة.. وقرروا الإضراب يوم السبت احتجاجا. وكانوا قد أضربوا قبل ذلك عقب إذاعة خبر نقل الدكتور طه مشاطرة لزملائهم طلبة كلية الآداب في إظهار عواطفهم إزاء هذا الحدث".

ولم يتوقف صدى هذا الحدث الذي وصفته الصحف بالمشكلة الخطيرة، داخل الجامعة وخارجها فقط، بل امتد إلى باريس بين الطلبة المصريين المبعوثين هناك، كما سنقرأ ذلك في وثيقة تكشف عن ردود الفعل هناك لأول مرة، وهي عبارة عن رسالة بعث بها الطالب محمد منصور عضو البعثة المصرية في باريس.

انقسام المبعوثين

يقول: أستاذنا العزيز

تحية واحتراما وبعد فقد بلغنا منذ زمن بعيد خبر ما نزل بكم من ظلم صارخ استنزل لعنات الوطن من أدناه إلى أقصاه أرضا، وما كان من صمودكم بالحق وقيامكم على الكرامة، وها نحن نأتيكم بدورنا معاهدين نمد إليكم أيد لن تضطرب في الذود عن رجل طالما أحسن لذويها وغمرهم بفضله، ويا عجبا كيف ننساك وقد حملتنا من محبتك ما تجيش به قلوبنا وتنطق عنه حواسنا وهل من سبيل إلى الفرار عن واجبنا المقدس في الاحتجاج على ما نزل بمعهدنا الكريم – وطننا الثاني – من اعتداء صارخ كان لسوء حظنا أن نفذ في شخصكم المحبوب مما ضاعف الجرم وبالغ في وقع الجريمة، وهل أقل من أن نقول للظالم أنك قد ظلمت، أما والله أن الذل عار وقبيح بمن يرض به.

منذ أن وصلنا الخبر المشئوم اجتمعت بزميلي شعيرة أفندي وتحدثنا فيما يجب علينا عمله، وبسرعة اتفقنا على إرسال تلغراف للوزير نحتج فيه على الاعتداء على استقلال

الجامعة الذاتي في شخصكم ، ونطلب إعادتكم إلى العمادة وبالفعل وضعنا الصيغة كالآتي حرفيا من "مبعوثو كلية الآداب يحتجون من الضرر الواقع على استقلال بيتهم في شخص عميدهم المحبوب ويرجون إعادة النظر في هذا القرار".

وتركنا لفظة "نرجو" لنستبدلها بلفظة "نطلب". حسب رأى الأغلبية ، ولما كان من الصعب التقاؤنا جميعا في مكان واحد كتب شعيرة أفندى الصيغة مع استبدال لفظة "نرجو" بلفظة "نطلب" ليكون لنا الخيار عند الإرسال باعتبار أن من يقبل الأكثر شدة يقبل الأقل بالأولوية. ومر شعيرة على إخواننا أعضاء البعثة لأخذ امضاءاتهم ، وبالفعل أمضى عزت والخضيرى ونجم والشحات أيوب وعثمان أمين وعلى حافظ وشعيرة وأنا طبعا، ألا انسه كما لا يخفى عليكم أخذ إخواننا الأفاضل في التفكير في سطوة الحكومة، وما الجبن كما تعلمون إلا نتيجة التفكير الطويل، وبالفعل جاء عزت بعد أن أمضى بنحو ساعتين أو ثلاثة وجاء ومعه عثمان أمين حيث كنا مجتمعين: شعيرة والشحات وأنا وأخبرونا بعدولهم عن رأيهم هم والخضيرى ، وبأنهم لا يريدون الاستهداف للخطر، فرأيت حسما للنزاع ورغبة فى عدم انشقاق الكلمة أن نستبدل كلمة يحتجون ، بكلمة "يأسفون".

وبهذا لا يكون التلغراف إلا عبارة عن أسف ورجاء ، وبعد أخذ ورد لاحت منهم الموافقة، وانفض المجلس على ذلك ، وبالفعل أرسل شعيرة التلغراف بعد أن دفعوا جميعا الاشتراك فى أجرته، وأرسله بالصيغة الخفيفة، مع أنهم أمضوا على أشد صيغة ، ومرت الأيام حتى كان أول إبريل، وذهبنا إلى مكتب البعثة لأخذ الشيك ، فإذا بالديوانى بك يدعونى إليه ثم يسألنى عن التلغراف ولماذا أرسلناه، وتناقشت معه طويلا فى: هل يجب أن يكون للجامعة استقلال ذاتى أم لا ؟ وهل للجامعات فى أوربا هذا الاستقلال أم لا؟

وفى هذه الأثناء جاء "عزت" فسأله الديوانى بك عن نفس التلغراف فإذا بعزت يصيح بأنه غير موافق على إرسال تلغرافات وأنسه لم يرسل شيئا، وإنما أنا وشعيرة اللذان أرسلا التلغراف، فسألته أمام الديوانى بك : هل أمضى على التلغراف أم لا ؟ فأجاب بالإثبات ولكنه عاد فقال: ولكن عدت فعدلت، ثم قال: وهـا هو الدليل على استنكارنا للتلغراف وعدم موافقتنا عليه . وفعلا قدم للديوانى بك ورقة بهذا المعنى وفى أوضح الألفاظ وعليها إمضاؤه كزعيم للجبن والانحطاط - وأستسمحكم عذراً فى استعمال هذه الألفاظ فهى جديرة بهم - ومعه إمضاء الخضيرى طبعا وعثمان أمين وحسين نجم، فغلا الدم فى رأسى ووصفته بما هو جدير به من ضعف الأخلاق ونحافة التربية، وقلت للديوانى بك : إن قطع رأسى عن بدنى أهون إلىّ من الإمضاء على هذه الورقة. فأخ فى أن أرجع عن رأيي فأبيت ، وما كنت

أستطيع غير ذلك، والفرقنا على هذا.

هذا ولا يغيب عنكم أن الديواني بك لم يتلق أي خبر من مصر عن هذا التلغراف، وإنما هم إخواننا الأفاضل هم الذين وشوا إليه بالتلغراف، وبصيغة التلغراف، ويرى الديواني بك أن في قولنا "نأسف على الاعتداء على استقلال الجامعة" جرحا للوزير ، وهو تفكير غريب، وبفرض صحته فنحن نتحمل مسئوليته، وها هو ينتظر ما سوف يكون من الوزارة.

والغريب أن عزت وإخوانه يتحدوننا بالثبات على مبدئنا، لأنهم يظنون أن في ذلك هلاكنا الأكيد ، حيث ننفرد بالمسئولية، وعندئذ لا تجبن الوزارة عن رفتنا، وهو ظن خاطئ منهم، لأننا لا نعبأ بالوزارة ولا برفتها ما دمنا على حق، وما دامت أخلاقنا سليمة من هذا الجبن الشائن، ولقد ذكرتني هذه الحادثة بعبد الظاهر السملوطي وغيره ممن يسمونهم في مصر بشاهد المائة ، حيث يتسلل أحد ضعاف النفوس ويتبرى جريا وراء منفعة فانية ليتنزل الشر بزملائه، وهو انحطاط أخلاقي لو كنت قاضيا وكان القانون طوع أمري لأنزلت بهم عقوبة الإعدام في غير رحمة ولا أسف.

ولكم كان عزيزا على نفسي أن أذكرهم أن الدكتور طه الذي ينفرون من حوله الآن ويخشون من الانضمام إلى صفه كان صاحب الفضل في إيصالهم إلى ما يحرصون عليه الآن حرص الكلاب على الجيف، والعياذ بالله، وأنه لولاك لظلوا بمصر صياحا يتضورون جوعا، وهب أننا لا نحكم على الأمر إلا من الناحية الأخلاقية البحتة، أينتظر من ناس كهؤلاء عملا كهذا.

لقد قلت لعزت أمام الديواني بك أنه لا يجوز له أن يطمئن أن الديواني بك يبتسم له باخلاص ، بل على العكس الديواني بك كوزير المعارف، وكأي إنسان عدو أو حبيب لاشك يحتقر أمثال هذه الحشرات ، وإن ابتسم لها في الظاهر بحكم الوظيفة أو المنفعة، وقلت أكثر من ذلك وهو صحيح ومنطبق على هؤلاء الكلاب.

أما والله إنني على أتم استعداد للعودة إلى مصر إذا كانت الوزارة تأبى عليّ أن أقول كلمة الحق في سبيل رجل أنا مدين له بما لا قبل لي بوفائه، وأكبر دليل على ذلك هو أنسى لم أكتف بالتلغراف بل أرسلت مقالة لجريدة السياسة منذ زمن بعيد ولعلها نشرتها، وعنوانها (من هي كلية الآداب ومن عميدها)، ومنذ يومين أرسلت لنفس الجريدة مقالة أخرى عن (استقلال الجامعات) ولو كنت في مصر لملأت بقاع الأرض بصيحات الحق تدوي في آذان الظلمة وتهز من عروشهم.

وهكذا يا سيدي الأستاذ ترى الغدر وانحطاط الأخلاق حتى بين الشباب الذي كنا

للأسف نرجو منه الخير لهذا الوطن المكين ، ولكن لا تأسوا ولا تحزنوا فسوف تكون الكلمة لنا لأننا على حق، ولأننا نسعى وراء نفع هذا الوطن ونفع ذويه ، فلنصبر على ضيمهم قليلا حتى يأتي العدل والحرية ، وعندئذ نضع على الظلم قيودا متينة لا انفكاك لها، كما أتوسل إليكم في الاعتماد على إخلاصنا إلى النهاية ، فإننا وإن كنا لا نزال في مقتبل العمر ولا يزال صوتنا غير مسموع ، فسوف يأتي يوم نصيح فيه بالحق، وإذ ذاك تنشر مالكم من فضل، ونتم ما بدأ تم من عمل صالح لنؤدي بعض ما هو واجب علينا لكم وجوباً أبديا لا أداء له بغير الصبر على محبتكم والإخلاص لشخصكم المحبوب مهما نزلت بنا من صروف ، وعليكم من تلميذكم المحب المخلص سلام الله وتحيته.

مندور

فلاح مغفل

ويعتبر الدكتور مندور من أبرز تلامذة طه حسين ، ويروى هو بنفسه قصة تعرفه على طه حسين فيقول[1]

"فتحت الجامعة الجديدة أبوابها سنة ١٩٢٥.. وتقدمت ضمن أول دفعة التحقت بكلية الحقوق، وكانت هناك سنة إعدادية تعد الطلبة للالتحاق بكليتي الحقوق والآداب.. وأول يوم في السنة ألقى علينا د. طه حسين محاضرة عن "الشعوبية وانتحال الشعر" ثم طلب منا أن نلخصها في خمس دقائق، وعندما قرأ الدكتور تلخيصي للمحاضرة قال لي :

أنت يا ولد باين عليك ممتاز ، رايح تخش كلية إيه؟

قلت: كلية الحقوق .. أصلي عاوز أبقى وكيل نيابة. فشخط فيّ وقال : أصلك فلاح مغفل.. أدخل كلية الآداب يا غبي وانت تبقى طالب ممتاز وتسافر أوربا.

وسمعت كلام الدكتور طه.. كنت أدرس الحقوق الصبح وأدرس الآداب بعد الظهر.. وحصلت على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية واللغات السامية سنة ٢٩، وفي العام التالي نجحت في ليسانس الحقوق.

---

(١) "عصير حياتي" لعبد التواب عبد الحي – ١٩٦٦.

كتبوا اسمي ضمن بعثة مسافرة إلى فرنسا ، ولكني رسبت في الكشف الطبي ، وكنت قد كتبت بحثا عن الشعر الجاهلي وأعجب به طه حسين فأخذه إلى حلمي عيسى باشا ، ناظر المعارف، وقال له: "اقرأ هذا البحث"، وأصدر ناظر المعارف قرارا بإعفائي من الكشف الطبي، وسافرت لأدرس في السوربون.

وفي السوربون حصلت على ليسانس في الأدب الفرنسي واليوناني وفقه اللغة وعلم الأصوات اللغوية ، وهو علم يبحث في أصوات اللغة وموسيقاها ويحلل الموجات الصوتية وكمها ودرجة الارتكاز اللغوي فيها، ودرست أيضا التشريع المالي والمذاهب الاقتصادية السياسية ، وحصلت على دبلوم فيها. وقامت الحرب، فرجعت من فرنسا لأعمل مدرسا مساعداً في كلية الآداب، أدرس للطلبة "الترجمة الإنجليزي"، وقدمت رسالة عن "تاريخ النقد المنهجي عند العرب" وحصلت على الدكتوراة في الأدب العربي.. وعندما افتتحت جامعة فاروق في الإسكندرية نقلوني إليها مدرسا للأدب العربي، وهناك قابلت إحدى طالباتي – اسمها "ملك عبد العزيز"، كانت تقول الشعر وتنجح بامتياز فتزوجتها".

هذا نموذج لتلاميذ طه حسين الذي تسلح بالثقافة والعلم على أعلى مستوى قبل أن يتصدى للنقد الذي صار أحد المبرزين فيه، فقد تخرج من مدرسة طه حسين الجامعية، وياها من مدرسة.

تهنئة "مي"

نعود إلى طه حسين في الجامعة ، وعودته بعد زوال عصر صدقي ، ليهنئه الكثيرون بالعودة، ومنهم الآنسة "مي" أديبة أديبات عصرها (التي دق لها قلب طه حسين حين سمع صوتها لأول مرة) التي تلمح سعادتها في هذه الرسالة القصيرة الطريفة المعبرة ، فتقول: ناديتُ بالتليفون ثلاث مرات لأطلب موعدا للزيارة لعلمي أن الدار مزدحمة دائما بالزائرين ، وأنا أبتعد عن الازدحام ، ولكن التليفون طبعا مشغول لأن تليفون العميد عميد التليفونات، كم أنا سعيدة بزيارة وبدون زيارة، أرجو أن يعود لطفي بك قريبا إلى الجامعة "ليستقر الحق في نصابه"، على نحو تعبير كاهن أوزوريس. مع التهنئة بعيد الفطر المبارك.

"مي"

أزمة جديدة

وتأتي سنة ١٩٣٩ لتشهد أزمة جديدة بخصوص كتابين يدرسان في كلية الآداب . ولنترك طه حسين بنفسه يروى قصة الأزمة في نص تقريره الذى رفعه إلى مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، وما انتهى إليه مجلس الكلية بشأن ما أثارته الصحف حول الكتابين ، فيما تضمناه من مساس بالدين والرسول.

يقول نص تقرير طه حسين.

كلية الآداب

١٤ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب المعالى مدير جامعة فؤاد الأول

تفضلتم فتحدثتم إلىّ في شأن ما أثير من لغط في الصحف حول كتابين يقرؤهما طلاب السنة الثالثة بقسم اللغة الإنكليزية.

فأتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أن مجلس الكلية اجتمع في يوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٩ وعنى بدرس هذا الموضوع. وسمع فيه البيان الذى أدلى به رئيس قسم اللغة الإنكليزية. وراجع الكتابين المذكورين. فتبين ما يأتي:—

١—أن الكتابين اللذين أثير حولهما اللغط هما كتاب محادثات خيالية تأليف و. س. لاندر، والرواية التمثيلية "جان دارك" من تأليف برنارد شو. ولابد هنا من الإشارة إلى أن الكلية لا تصرف للطلبة كتبا، وإنما يشير الأساتذة بمطالعة فصول خاصة أو مؤلف خاص ، فيستطيع الطالب أن يستعير الكتاب من مكتبة الجامعة، أو يقتنيه لنفسه إذا شاء.

٢—فأما الكتاب الأول فهو عبارة عن محادثات خيالية كل محادثة منها تتناول موضوعا خاصا، وكل منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال. هذه المحادثات تبلغ نيفا وماثة محادثة. وقد كلف الطلبة أن يطالعوا المحادثات الآتية:—

١) محادثة بين أيسوب وردوبى

٢) محادثة أخرى بين أيسوب وردوبى

وموضوع هاتين المحادثين (الحياة الأغريقية، وخرافات اليونان).

٣) محادثة بين إسكندر المقدوني وكاهن آمون.

وموضوع الحديث – القرابة ، والفضيلة، وحياة الإسكندر.

٤)محادثة بين اللورد بيرون ووريشاود هوكر

موضوعها مسلك المرء في وقت الشدة، وقيمة العلم والحكمة.

٥) محادثة بين أوليفر كرمويل ووالترنويل .

تدور حول موقف كرمويل من الملك شارل الأول.

٦)محادثة بين لويس الرابع عشر والأب لاشيز .

وموضوعها عقلية الفاتحين.

٧)محادثة بين الجنرال كليبر وأحد الضباط الفرنسيين

وموضوعها نهضة مصر

هذه المحادثات التي كلف الطلبة دراستها ليس فيها أدنى إشارة للإسلام ولا للنبي عليه السلام، ولا تمس الدين من قريب أو بعيد.

فالشكوى من هذه الفصول باطلة لا أساس لها.

٣– الكتاب الثاني مسرحية جان دارك لبرنارد شو من الكتب التي يطالعها الطلاب في الكلية منذ ستة أعوام. وقد ترجمت إلى اللغة العربية ، وتداولها الناس ، دون أن تحدث ضجة أو تثير احتجاجا.

والقطعة المعترض عليها عبارة وردت في حديث الأسقف كوشون ، في الفصل الرابع وهو يخاطب الإيرل ورك ، أراد المؤلف أن يصور هذا الرجل بالتعصب الأعمى والغباوة فأجرى على لسانه عبارة يقارن فيها بين أعمال جان دارك وأعمال محمد (عليه السلام) الذي وصفه بالمروق ، وبأنه عدو المسيح.

وقد رد عليه محاوره بأنه عرف المسلمين فرآهم قوما كراما، بل إنهم يفضلون قومه من نواح كثيرة.

من هذا يبدو أن المؤلف لم يرد أن يطعن في الإسلام أو أن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أراد تصوير أسقف متعصب جاهل من أساقفة العصور الوسطى ، ثم رد عليه بعد ذلك.

ولسنا نرى بأسا في شيء من هذا فقد حكى القرآن الكريم أقوال المشركين الذين كانوا يصفون النبي بالسحر والكهانة والجنون والكذب ثم رد عليهم

بهذا لا تجد الكلية بأسا في قراءة هذه القصة ولو رأت الكلية فيها أو في غيرها أدنى مساس بالدين لمنعت دراستها منعا باتا. فهي حريصة كل الحرص على ألا يساء أحد في شعوره الديني لأنها إنما أنشئت للعناية بالعلم وبالعلم وحده وهي ترى أنها قادرة على التفريق بين ما ينفع الطلاب وما يضرهم وأنها خليقة أن تكون موضع الثقة التامة في هذا كله وأنها في غير حاجة إلى أن تدخل هيئات غير جامعية في شئونها التعليمية

وتفضلوا يا معالي المدير بقبول وافر احترامي ...

عميد كلية الآداب

(طه حسين)

ورغم اقتناع لطفي السيد بما جاء في التقرير الذي رفعه إلى وزير المعارف وافق عليه . إلا أن الجميع يتباحث بأن رئيس الوزراء قد أبلغ شيخ الأزهر بأن امر "بمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدي الطلاب. ومع رغبة رئيس الوزراء في إرضاء الأزهر تراجع لطفي السيد عن تضامنه مع مجلس الكلية. وعدل وزير المعارف د. محمد حسين هيكل عن موقفه المؤيد أيضا. وينضاعد الأمر باعتداء طلبة من كليات أخرى على كلية الآداب مصدر الأزمة. بل ويعتدون على مكتب العميد نفسه.

اقتحام كلية الآداب

التفاصيل نقرؤها في رسالة طه حسين إلى لطفي السيد:

حضرة صاحب المعالي مدير الجامعة المصرية

أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم ما يأتي : عندما تحدثتم إلي بشأن شكوى بعض الناس من قراءة كتابي "جان دارك لبرناردشو. وأحاديث خيالية لـ (لندر). وعدت معاليكم بأني سأنظر في الأمر. وبأني لن أتردد في أن أطلب إلى مجلس الكلية منع قراءة هذين الكتابين إن كان فيهما شيء يجرح الشعور الديني أو يهين الإسلام. ثم تحدثت إلى معالي الوزير فحددت له هذا الوعد. ولم تنقض ساعات حتى علمت منكم ثم من الصحف أن سلطة غير جامعية (الأزهر)

تدخلت في الأمر واحتجت عند حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء .

فلما كان الغد عرضت الأمر على مجلس الكلية فسمع بيان الأستاذ المختص، ونظر بنفسه في الكتابين، ورأى أن ليس على الكلية بأس من قراءة قصة جان دارك لأن كاتبها لم يرد إيذاء الإسلام، وإنما صور رأى أسقف، متعصب جاهل من أساقفة القرون الوسطى ، ثم رد عليه . ورأى المجلس كذلك أن الفصول التي تقرأ من كتاب أحاديث خيالية لا تمس الإسلام من قريب ولا من بعيد، واعتبر الأمر منتهيا، ورفعت إلى معاليكم تقرير المجلس ، فوافقتم عليه كتابة وأرسلتموه مع موافقتكم إلى حضرة صاحب المعالى الوزير ، وقد صرحتم لى ولغيرى من الزملاء بأنكم ترون رأى الكلية، وتتضامنون مع المجلس فيما اتخذ من قرار. ولا تسمحون بالتدخل فى الشئون التعليمية للجامعة بحال من الأحوال، وقد صرح معالى الوزير لى ولغيرى من الزملاء بأنه لا يرى غبارا على تصرف الكلية.

واعتقدنا أن الأمر قد انتهى، ولكنى علمت أمس من معاليكم ، ومن معالى الوزير أن حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء قد كتب إلى الأزهر ينبئه بأنه آمر بمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدى الطلاب.

ولم يكن مقامه الرفيع قد تحدث إليكم أو إلىّ فى شئ من ذلك أيضا. وقد رغبتم فى مقابلة مقامه الرفيع مع معالى الوزير لإقناعه بوجهة نظر الكلية ، فلم تتيسر هذه المقابلة. ثم أصبحنا، فإذا طلاب من كليات غير كلية الآداب يقتحمون الكلية وينتهكون فيها حرمات الدرس، ويخرجون الطلاب من دروسهم، يصطنعون فى ذلك العنف والقسوة، ويعتدون على الطالبات بما يجب أن تعف عنه الألسنة النزيهة، ثم يهينون العميد ، ويهجمون على غرفته ثم يتفرقون دون أن يعنى أحد بحماية الكلية أوردهم عنها.

ثم دعيت إلى مكتب معالى الوزير فعلمت من معاليكم ومن الوزير نفسه أن حضرة صاحب المقام الرفيع مصمم على تنفيذ ما كتب به إلى الأزهر، وطلبتما إلىّ أن أعرض الأمر على مجلس الكلية لعله يغير رأيه ، فاعتذرت من ذلك. وقد بينتما لى أن الظروف الحاضرة لا تسمح بالإغضاء عن هذه الفتنة التى تثار. فقلت: إن كلية الآداب لم تثرها، وإن من حق الحكومة أن تصنع ما تراه خيراً لحماية النظام واتقاء الفتنة.

وقد رأيت من معاليكم رجوعا عما سجلتم من التضامن مع مجلس الكلية ، ورأيت من معالى الوزير عدولا عن موقفه الأول أيضا، وكنت أنتظر أن ما كان من اعتداء على الكلية يجب أن يقمع قبل كل شئ، لا أن يبدأ بالتسليم للمعتدين.

من أجل هـذا كله أتشرف بأن أرجو من معاليكم أن تفضلوا فترفعوا إلى حضرة صاحب المعالى الوزير استقالتى من منصب العميد، كما أتشرف بأن أبلغ معاليكم أنى مستعد لأداء ما يجب على الأستاذ من إلقاء الدرس يوم تستطيع الجامعة أن تحمى الأساتذة والطلاب فى كلية الآداب من مثل هذا الاعتداء الذى حصل اليوم.

وتفضلوا بقبول تحيتى وإجلالى

استقالتى

وهذا هو نص استقالة طه حسين احتجاجا على الموقف السلبى لوزير المعارف ومدير الجامعة من الاعتداء على كلية الآداب وعميدها.

يقول طه حسين:

حضرة صاحب المعالى مدير الجامعة المصرية أتشرف بان أرفع إلى معاليكم أن طلابا من غير كلية الآداب قد أغاروا صباح اليوم على الكلية ، جماعات ، فانتهكوا حرمات الدرس، وأهانوا الأساتذة واعتدوا بالضرب على الطلاب، وآذوا الطالبات بسب يجب أن ترتفع عنه الألسنة النزيهة. ونادوا بسقوط العميد وهجموا على غرفته. وتفرقوا بعد ذلك دون أن تعنى الجامعة بحماية الكلية أو ردهم عنها.

وكان مصدر هذا العدوان ما أثير من لغط حول كتابين يقرآن فى قسم اللغة الإنجليزية ومعاليكم تعلمون أن مجلس الكلية قد نظر فى هذا الأمر ورأى أن ليس فيما يدرس فى الكلية ما يجرح الشعور الدينى أو يؤذى الإسلام أو ينال من شخص النبى صلى الله عليه وسلم.

وقد رفعت الكلية فى ذلك إليكم تقريرا فبلغتموه وسجلتم موافقتكم عليه وتضامنكم مع أساتذة الكلية.

على أنى رأيت اليوم حين التقيا عند معالى الوزير أنكم قد غيرتم رأيكم وقبلتم أن تسمح قراءة الكتابين نظرا للظروف.

وكنت أظن أن أول شئ كانت تجب العناية به هو حماية الكلية من العدوان. ومعاقبة المعتدين عليها، وتمكين الأساتذة والطلاب من أداء واجبهم العلمى.

هذا كله أرجو أن تتفضلوا فترفعوا إلى معالي الوزير استقالتي من منصب العميد، وأنا بالطبع مستعد لأداء واجبات الأستاذ كلها يوم يحمي الأساتذة والطلاب في كلية الآداب من مثل العدوان الذي حصل اليوم.

وتفضلوا بقبول تحيتي وإجلالي.

٢١ مارس ١٩٣٩ طه حسين

رد الاستقالة

ولكن لطفي السيد مدير الجامعة يرد الاستقالة إلى طه حسين قائلاً له في الرسالة التالية:

جامعة فؤاد الأول

الجيزة في ٢٦ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

تحية وسلاما

اطلعت على استقالتكم التي حررتموها بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٩ وقد أسفت أشد الأسف للحوادث التي دعتكم إلى تقديمها.

ويسرني كل السرور أن أعيد إليكم هذه الاستقالة راجيا أن تعودوا إلى عملكم في الكلية بما أعرفه لكم من كفاية وإخلاص.

وتفضلوا عزتكم بقبول احترامي

مدير الجامعة

أحمد لطفي السيد

لن أرشح نفسي

ويبدو أن لطفي السيد قد نجح كعادته في إقناع طه حسين بالعدول عن استقالته، ولكنه بعد شهرين من استقالته التي لم تتم، سوف تجره حكومة محمد محمود باشا على الاستقالة بعد أن أعيد انتخابه عميدا في مايو من نفس السنة ١٩٣٩، التي جرت فيها أحداث الأزمة السابقة التي لم

تكن الحكومة فيها راضية عن أدائه لمواجهة ما رأت أنه فتنة ، فاستقالت الأزهر، وتخلى وزير المعارف ومدير الجامعة عن طه حسين وكلية الآداب، مما كان ينذر بأن طه حسين لن تعرض عنه الحكومة عميدا، رغم إعادة انتخابه بالإجماع، فاضطر للاستقالة من العمادة ليبقى أستاذا بالجامعة، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يجبر فيها طه حسين على الاستقالة، فقد سبق أن عين عميدا لكلية الآداب ١٩٢٨ خلفا لعميدها الفرنسي ، ولكن وزير المعارف الوفدي يتدخل لكي لا يتم هذا التعيين ، باعتبار أن طه حسين محسوب على الأحرار الدستوريين وهم على طرفي النقيض مع الوفد الذي يبغضهم ويبغضونه ، ولم يجد طه حسين مفرا من الخضوع للعاصفة التي كادت أن تهب مثيرة أزمة سياسية، وحفظا لإراقة ماء الوجه طلب طه حسين أن يعين أولا ثم يستقيل. فوقع بعض الأوراق ، ثم قدم استقالته ليعود العميد الفرنسي إلى كلية الآداب مرة أخرى.

وحين يختار طه حسين عميدا بعد انتهاء مدة العميد الفرنسي ، ولم يكد يمر يومان على تعيينه، حتى يطلب إليه وزير المعارف في حكومة صدقي ، أن يستقيل ليتفرغ لرئاسة تحرير صحيفة حزب رئيس الوزراء إسماعيل صدقي ، ويعتذر طه حسين، ثم يخرج الحكومة حين يرفض منح الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين، وتم نقله إلى وزارة المعارف، ثم إحالته إلى المعاش بعد ذلك . إلى نهاية القصة المعروفة حتى عودته ١٩٣٤. ومنذ أن أجبر طه حسين على استقالته الأخيرة ١٩٣٩، اعتذر بعد ذلك عن أي ترشيح لمنصب العميد، كما سنلاحظ في رسالته إلى عميد كلية الآداب ١٩٤٠ والذي دعاه مع بقية الأساتذة للتشاور في مسألة الترشيح للعميد ، فيقول في رسالته:

صديقي الأستاذ العميد

كنت أود أن أحضر الاجتماع الذي دعوتنا إليه، ولكني مضطر إلى أن أذهب إلى الوزارة لموعد ضرب بيني وبين الوكيل للقاء رئيس مجلس الشيوخ، وربما كان التحرير في بعض المسائل خير من التقرير.

فأرجو أن تقرأ على الزملاء تحيتي وأن تبلغهم أني لن أرشح نفسي لمنصب العميد ولن أقبله إذا عرض عليّ مهما تكن الظروف. فالخير ألا يفكروا في ذلك. وسأحضر الجلسة المقبلة للمشاركة في الانتخاب إن شاء الله.

ولك أصدق التحيات

٢٧ مارس ١٩٤٠

ويظل طه حسين أستاذا يلقي المحاضرات بالجامعة ثم يعينه نجيب الهلالي مستشارا فنيا لوزارة المعارف التي يرأسها، وينتدبه مديرا لجامعة الإسكندرية التي ساهم بنصيب وافر في إنشائها، ثم يصل طه حسين بعد ذلك إلى أرفع مناصب التعليم كوزير للمعارف في حكومة الوفد الأخيرة.

ليظل أستاذ الجامعة الذى لا ينسى، والعميد الذى لا يغيب عن الذاكرة ، ووزير المعارف الذى لا نتذكر من وزراء المعارف، ثم التعليم ، سواه. كأن وزارة التعليم لم يشغلها عبر تاريخها سوى وزير واحد هو طه حسين.

نضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة

لا حيث تريد لنا المنفعة

ولا ينسى طه حسين أن يخص بالشكر والتحية كل الذين وقفوا إلى جانبه فى أزماته سواء داخل الجامعة من أساتذة او طلبة، أو خارجها من الطلبة المبعوثين فى الخارج . كما لا ينسى دور الصحافة التى وقفت بجواره مشجعة مؤيدة. وبين أيدينا صفحة وبعض صفحة من أوراق طه حسين. غير مؤرخة . ولكن مضمونها يدل على أن سطورها قد تحدث بها طه حسين إلى طلبته داخل قاعة المحاضرات وربما كانت فى منزله تحية للذين أتوا لمؤازرته من طلبته أثناء أزمة أو محنة - كما أسماها - إخراجه من الجامعة كما تدل عليها تحيته إلى لطفى السيد، الذى قدم استقالته احتجاجا على ما حدث . ورغم أن طه حسين كان لا يحب التحدث فى السياسة داخل قاعات الدرس — إذا كانت كلمته قد ألقاها بالجامعة — إلا أن الحدث الذى شهد فيه طه حسين مساندة كبرى جعلته يخرج عن تقاليده بشأن إبعاد السياسة عن الجامعة. وألقى هذه الكلمة المعبرة عن سعادته بمن ساندوه حفاظا على كرامة الجامعة:

يقول طه حسين مستفتحا بأبيات من الشعر:

لقد زادنى حبا لنفسى أننى ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

وإنى شقى بالئام ولا أرى ... شقيابهم إلا كريم الشمائل

إذا ما رآنى قطع الطرف بينه ... وبينى فعل العارف المتجاهل

عند هذه الأبيات من شعر الطرماح ابن حكيم، انتهى بنا الدرس صباح الخميس الثالث من هذا الشهر[1]، وقد استعدناها واستجدناها ، وكأننا كنا نحس أن صباح ذلك اليوم كان

(١) ربما كانت هذه الكلمات فى ذكرى الأزمة التى عاد فيها منتصرا مواكبة لنفس الشهر الذى وقعت فيه، أو كان هو يستحدث إلى من استقبلهم فى بيته من طلبته فى نفس الشهر الذى وقعت فيه المحنة

ينذرنا بما سيحمل إلينا مساءه من تلك المحنة الجامعية التي ذقناها فبلونا منها الحلو والمر، ووجدنا منها الخير والشر. وعرفنا منها أن فينا والحمد لله نفوسا أبية، وأنوفا حمية ، وقلوبا تعرف كيف تستقبل الخير وتحتمل المكروه.

نعم وكأنما كنا ونحن نستعيد هذه الأبيات ونستجيدها نتواصى بالخير والصبر، ويعاهد بعضنا بعض على الوفاء والبر، ويقسم بعضنا لبعض لنكونن رجالا نعرف الكرامة ونقدرها، ونضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة لا حيث تريد لنا المنفعة.

لقد افترقنا بعد الدرس هادئين باسمين نفكر في الدرس الذي يليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك في درس ولا بحث . وإنما التقينا في حب ومودة ، وفي نصح وتعزية وفي عواطف كلها تميز الكرام من اللئام.

أفيؤذن لي بأن أهدي أصدق التحية وأجمل الشكر إلى أولئك الذين تفضلوا بالغضب للجامعة ولنا، والعطف على الجامعة وعلينا، من أعلام هذا البلد وقادة الرأي فيه.

أفيؤذن لي أن أشرك معهم هذه الصحف الكريمة التي آثرتنا وناصرتنا ولم تبخل علينا بتشجيع ولا تأييد. ثم أفيؤذن لي أن أخص الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد بك بتحية الابن البار والتلميذ المخلص والصديق الحميم.

أما أنتم أيها الأصدقاء الأعزاء من طلاب الجامعة عامة، وكلية الآداب خاصة فأذنوا لي في أن أقول لكم ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار في حديث جرى : "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع". فحيا الله هذا الثمر الكريم لهذا الغرس الكريم، ولكم عليّ العهد أن أبذل ما أملك من قوة، وما أستطيع من جهد لأكون عند ظنكم بي ورأيكم فيّ.

أقبلوا على دروسكم كراما أعزاء ، وابسموا لحياتكم الجامعية ، فقد أنشأتموها كريمة عزيزة، وليكن بيننا موثق من الله ألا نؤمن إلا بالحق ولا نخلص إلا للعلم ولا نرضى إلا بالكرامة. وإلى اللقاء.

من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية إلى طه وزير الفلاحين

الاسم الثاني "محمد فريد" واللقب "أبو حديد" والمولد في أول يوليو ١٨٩٢ في إحدى قرى دمنهور بمحافظة البحيرة. وقيمته الأدبية مجهولة وإن كانت كبيرة ، حيث يعتبره النقاد "رائد الرواية التاريخية في مصر" وبذلك أصبحت "القصة التاريخية" على يد فريد أبو حديد "منهجا بين حقيقة التاريخ وقدرة الإبداع الفني" وذلك حسب تعبير لجنة فحص إبداعات أبو حديد لترشيحه لجائزة الدولة التي حصل عليها في الآداب".

ومن إبداعاته : إبنة المملوك ، زنوبيا ملكة تدمر. أبو الفوارس عنترة بن شداد. المهلهل بن أبي ربيعة . أنا الشعب، وغيرها. ولأبو حديد دراسات تاريخية مهمة عن: عمر مكرم ، صلاح الدين الأيوبي، علي مبارك.

وله في الشعر المرسل إنتاج وافر مثل: مقتل سيدنا عثمان، ميسون الفجرية، خسرو وشيرين. فضلا عن بعض الترجمات.

وهو صاحب فكرة سلسلة "أولادنا" للأطفال.

وهو من مؤسسي مجلتي "الرسالة، والثقافة" في عهدهما الأول.

وعمل سكرتيرا عاما لجامعة الإسكندرية عند إنشائها، وشغل منصب وكيل وزارة التعليم، ومستشارا فنيا للوزارة ، كما عمل بالرقابة على الصحف واستبعد بسبب مقال لتوفيق الحكيم قام بتمريره رغم ما به من تعريض بالحكومة وإن صيغ في شكل أدبي. وأسهم أبو حديد في الحركة التعليمية بالمغرب، وليبيا مساهما في إنشاء جامعة طرابلس. ومن العجيب أن مشاركة محمد فريد أبو حديد في مجال التعليم بمصر والعالم العربي كانت تقوم على الحب والإخلاص في كافة المواقع التي تولاها رغم أنه دخل كلية المعلمين على غير رغبته وتخرج منها ١٩١٤ واشتغل بعدها بتدريس المواد الاجتماعية ومنها التاريخ الذي لم يكن يخرج في مادته قبل سنوات قليلة عن التاريخ الإسلامي.

وقد أراد محمد فريد أبو حديد أن يرضي حبه للقانون الذي حرم من دراسته بدخول كلية المعلمين ، فقام باشباع رغبته في دراسة القانون وتخرج من مدرسة الحقوق ١٩٢٤.

ولأبو حديد خبرة في التعليم أراد أن يستفيد بها المعلمون ، ومن خلاصة تجاربه[1] التي ركز

---

(١) الهلال عدد فبراير ١٩٥٦.

فيها على أهمية دور المعلم. قال:

- السر الأعظم الذى يجعل للتربية أثرها هو مقدار ما تبلغ به من النجاح فى تحريك عقول الأبناء ومشاعرهم.
- إن المعلم هو العنصر الفعال والعنصر الجوهرى فى التربية
- إن من واجب المعلم أن يؤدى حق كل فرد من تلاميذه بمعرفته معرفة تامة والعناية به كأنه ولده.
- المعلم للتلميذ الصغير رجل عظيم، ولذلك كان على المعلم أن يكون عظيما وأن يكون له قلب كبير.
- المعلم الصالح هو الذى يعد تلاميذه أصدقاء له.

ويتذكر أبو حديد أنه حين أساء إلى أحد تلاميذه فى لحظة غضب، عاد فاعتذر لتلميذه فصار صديقا له.

وفى المقابل قام تلميذ آخر بعد ذلك موجها لأستاذه أبو حديد عبارات قاسية فتعجب لأنه لم يتعمد الإساءة إليه فقال له : أنا آسف لسلوكك وغاضب عليك . فصمت تلاميذ الفصل جميعا. ثم قدموا له جميعا الاعتذار عن زميلهم الذى صار لأستاذه صديقا.

وعندما تولى طه حسين وزارة المعارف بدا اهتمام أبو حديد كبيرا واتسعت آماله فى تطوير التعليم. وإن أبدى بعض المخاوف مما نشرته بعض الصحف عن بعض التراجعات الخاصة بالتعليم. ولكن أبو حديد طمأن نفسه بوجود طه حسين والذى لن يسمح بمرور شئ ضد مكاسب التعليم. وأبدى بعض الملاحظات على نظم التعليم السائدة آنذاك ورغبته فى تطويرها.. فيقول فى رسالته.

هؤلاء الفلاحين

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين بك

وزير المعارف العمومية

تحية مباركة خالصة وبعد.

فإنى أكتب هذا إلى الصديق الكريم والأديب الألمعى لا إلى الوزير وحده. وهذا كان كتابا خاصا آثرت أن أبعث به نجوى. بعد تردد طويل بين أن يكون حديثى خاصا وبين أن يكون على صفحة الثقافة. وتحاشيت آخر الأمر أن أكتب فى الصحيفة حتى لا يتطرق إلى أحد شك فى نيتى .

فما أردت إلا أن أبلغ كلمتي إليك خاصة لأطلعك على أمر إن كان فيه خير فقد بلغت القصد وإن كان بعد أن ننظر فيه لايبدو لك صوابا، فقد أديت واجبي نحوك ونحو التعليم الذي خدمته حياتي ولا استطيع إلا أن أؤدي فيه واجبي ما حييت وإن لم أسأل عن رأيي.

أحب أيها الصديق الكريم – وأنت رجل فكر وقلب كبير أن أبين لك أن نظام التعليم القائم إن كان ينطوي على مواضع تستوجب الإصلاح ، لم يكن وليد نزوات طائشة ولا بدوات طارئة. بل احب أن أبين لك أنه لم يكن وليد رأى القائمين على أمر وزارة المعارف في الديوان العام كما يظن البعض.

لقد كان رأى أولى السلطة في الوزارة منذ سنوات – في أول الأمر – أن يقصروا تعليم الكافة على مرحلة قصيرة وهي مرحلة ذات أربع سنوات وكان يراد بها أن تكون المرحلة الأولى – بين السادسة والعاشرة – وكانوا يرون أن يختار من بين من يتعلمون في هذه المرحلة قدر محدود يمضي إلى التعليم المتوسط فالثانوى فالعالى إذا أهلتهم لذلك طبيعتهم.

ورأينا نحن المعلمين – وكنت إذ ذاك رئيساً لجمعية المعلمين – أن في هذا رجوعا إلى الوراء في تعليم الكافة . فناقشنا الرأى، واحتدم بيننا الخلاف في المجالس الخاصة والمجالس الرسمية حتى انتهى الأمر بأن تحدينا هذا الرأى في مؤتمر عام أقيم في سنة ١٩٤٥ . وقد درس ذلك المؤتمر كل مسائل التعليم ، وأعد القائمون عليه تقريرا وافيا بما استقر عليه الرأى في شتى المسائل المتصلة بالتعليم العام.

ولم يجد الوزير إذ ذاك بدا من النظر في الأمر على ضوء ما أبدى من الآراء، وعقد لجانا استشارية عدة، وكانت النتيجة هذا النظام القائم .

والذى يمكن أن يعد أساسيا في هذا النظام القائم هو ما يأتي:

أولا- وهذه أكبر مسألة نعدها نصرا كبيرا أن التعليم الأولى ، أى تعليم المرحلة الأولى قطع شوطا كبيراً نحو التوحيد. ذلك بأن اعترف النظام للمدارس الأولية بحق التقدم لتلاميذها إلى الامتحان الذى يؤهل للمضي في الدراسة إلى التعليم الثانوى وما بعده إذا كان التلاميذ أهلا في الاستعداد للمضي في الدراسة النظرية . وأعطى بذلك لتلاميذ المدارس الأولية الحق في أن يسووا بسائر أبناء البلاد من حيث الاستطاعة ، وكسبوا حق التعليم في المدارس الثانوية أو الفنية المتوسطة، وحق مواصلة الدرس إلى الجامعة إذا كانوا لتلك الدراسة أهلا بطبيعتهم . وكانت اللغة الأجنبية أكبر مشكلة في هذا الأمر، فأعطى تلاميذ المدارس الأولية حق التقدم لامتحان الشهادة الابتدائية بغير الإلمام باللغة الأجنبية على أن يستأنفوا دراستها في المرحلة الثانوية.

وقد اعتبرنا هذه الخطوة نصرا عظيما للديمقراطية ولتكافؤ الفرص، ورأينا أنها قد أتاحت الفرصة للعمل على توحيد التعليم في المرحلة الأولى توحيدا تاما في المستقبل القريب. وكانت هزة الفرح فينا عظيمة أننا حققنا بهذا الانتصار أمثلا كنا نتعلق به منذ ١٩٢٤ عندما عقدنا مؤتمر التعليم الأولى الكبير أيام أن كان المغفور له الشيخ جاويش مرافقا للتعليم الأولى. فقد كنا نطمع منذ ذلك التاريخ في توحيد المرحلة الأولى، ولكن الظروف لم تواتنا فلم نستطع الاقتراب من الأمل المرجو حتى ظفرنا بهذه الخطوة عام ١٩٤٥.

فهل هناك تفكير في النكوص عن هذه الخطوة؟

إنني كصديق . وكمصري وكأديب ممن يخلصون لك ويحبون لك التوفيق والخير كله. وكرجل يقدر تفكيرك حق قدره ، ويهتز عندما يقرأ أدبك الناطق بالعاطفة الإنسانية الخالصة ـ أسأل الله أن يكون خوفي من هذه الناحية وهما بعيدا عن الحقيقة.

والذي يدعوني إلى الخشية أنني قرأت في الصحف كثيرا من التلميح إلى فكرة العودة إلى ما يطلق عليه اسم التعليم الريفي في القرى. وقد فُهم هذا التعليم الريفي على غير وجهه من الكثيرين، بل لقد سمعت ممن هم أعضاء في لجان إعادة النظر في النظم القائمة ما يدل على أنهم يحسبون الخير في العودة إلى تعليم ريفي يقر الفلاحين في بيئتهم الريفية ، ويجعلهم طائفة ليس لها من الأمل في الحياة إلا أن يفلحوا الأرض في قراهم ولا يخرجون منها إلى مرحلة أخرى من مراحل التعليم بحال من الأحوال. بل إني قرأت هذا في بعض التقارير الرسمية وناقشت فيها أصحابها ، ويؤسفني أن أقول أن هؤلاء الذين يفهمون من التعليم الريفي أنه وسيلة لقصر الفلاحين على أعمال الحقول والصناعات الريفية، لا يعرفون معنى التعليم الريفي كما هو مفهوم في البلاد الأوربية أو الأمريكية، وهي البلاد التي بدأت إصلاح التعليم على أساس المدارس الريفية .

فالمدارس الريفية عند هؤلاء ما هي سوى مدارس من صميم التعليم العام وإن كانت تتوسل في تعليمها وتربية أبنائها بالبيئة الريفية المحيطة بالمدارس. فهي تستخدم الحقل والمصنع الريفي للسمو بمدارك التلاميذ، ولتفتيح أذهان التلاميذ على الحقائق الطبيعية والإنسانية التي حولهم بصفتها وسائل تعليمية. ولكن تلاميذ المدارس الريفية في تلك البلاد لا يقصرون على مرحلة دون أخرى ولا يُمَيَّزون عن سائر زملائهم في المدن الكبرى. ولا يحجبون عن مواصلة الدرس كما يواصله زملاؤهم وبنو أوطانهم في غير البيئة الريفية. ولهذا أعود فأقول إني أسأل الله أيها الصديق النبيل القلب ألا تعود البلاد إلى الوراء في عهد توليك الوزارة بل أسأله تعالى إلى أن يوفقك إلى أن تأخذ بيد أبناء الريف وهم صلب الأمة المصرية لتجذبهم إلى التيار التعليمي الأقوى وتمد بهم الذكاء المصري والمقدرة المصرية والخلق المصري عامة.

ثانيا: عمد النظام القائم إلى إطالة مدة التوجه إلى الدراسة الجامعية فجعلها سنتين بعد ان كانت سنة واحدة كما أنه جعل السنة الثالثة من التعليم الثانوى إرهاصا لهذا التوجيه.

ثالثا: جمع بين الذكور والإناث فى مدة التعليم الثانوى وجعلها خمس سنوات للجميع.

رابعا: جعل السنتين الأولى والثانية من التعليم الثانوى مرحلة اختبار لمواهب التلاميذ واستعدادهم.

خامسا: جعل أساسه أن السنتين الأوليين من التعليم الثانوى مرحلة وسطى تتشعب بعدها الدراسة بحسب استعداد التلاميذ، فكل يتجه إلى ما يحسنه فى مستقبله.

سادسا: جعل التعليم الثانوى خاصا بمن تهيئهم طبيعتهم للدراسات النظرية التى هى الدراسات الرئيسية فى المرحلة العليا من التعليم.

سابعا: حاول النظام الجديد أن يحدد الفروق فى الأسنان بين تلاميذ المرحلة الثانوية. فإن لكل سن من الأسنان طبيعة تستوجب طبيعة خاصة فى المعاملة. وما ينبغى أن تعامل بطريقة واحدة مجموعة مكونة من طبقات متباعدة فى السن.

وقد كان فى ذهن واضعى هذا النظام أنه قد آن الأوان للعدول عن الطريقة القديمة التى تجعل مراحل التعليم محددة بعدد من سنوات الدراسة كأن تجعل التعليم الابتدائى مكونا من أربع سنوات دراسية ، والتعليم الثانوى مكون من خمس سنوات يقضيها الطلاب بحسب ما يستطيعون فى أعوام قد تبلغ ضعف السنوات الدراسية فيرسبون عاما بعد عام فى الفرقة الواحدة حتى يستطيعوا آخر الأمر النجاح فى الامتحان.

كانوا يعسرون الرغبة فى العدول عن هذا النظام إلى ما هو متبع فى البلاد الأخرى، وذلك بأن تحدد المراحل بأسنان التلاميذ فيكون التعليم فى المرحلة الأولى بين السابعة مثلا والحادية عشرة، والمرحلة الثانية بين الثانية عشرة والسابعة عشرة بغير أن يعطل التلاميذ وبغير أن يسمح لهم بالرسوب عاما بعد عام.

وقد كان هذا الأمل يتطلب لتحقيقه قلبا للنظام كله وتغييراً جوهريا فى الأساس القائم على الامتحان السنوى، فرؤى فى هذه الخطوة أن يكتفى بالتقريب بين طلاب المرحلة الثانوية الأميرية فى السن على أن يرجأ تحقيق الأمل الأكبر إلى أن تهيأ له ظروفه.

فالنظام القائم أيضا أيها الصديق الكريم لم يكن إملاء من أصحاب السلطة فى الوزارة بل كان وليد تفكير شارك فيه جمهور رجال التعليم . وكان منهم من وهب قلبه وحياته لخدمة التعليم مخلصا. فإذا كان فى هذا النظام مواضع للنقد – وهذا أمر لا يخلو منه نظام – فإنى أظن أن الخير فى أن التغيير ينبغى أن يكون بعد تحديد مواطن النقص فى إخلاص وأناة، وأن يقوم بذلك قوم قد

أشربت قلوبهم محبة المصلحة والإخلاص للتعليم وسعة الأفق والعلم بما هو بسبيله من البحث.

وإني واثق بأن الأمور سوف تؤول إليك آخر الأمر لترى فيها رأيك . ولهذا فانا مطمئن إلى أنها ستجد فيك صاحب الرأى الحر الثاقب، وستجد فيك الرجل الأديب المتزن الذى لا يقيم وزنا إلا لما يحقق مصلحة أبناء الأمة. والذى لا ينظر إلى عامة الشعب إلا أنهم عصب الأمة. والذى يحمل لفلاحى القرى ما يحمله من الحب لسائر أبناء مصر. بل لعله أكثر إيمانا بهؤلاء الفلاحين والعامة، ممن حملوا أمانة التعليم إلى اليوم.

ولقد كنت أيها الصديق الكريم أوثرلو استطعت أن أشافهك بهذا الحديث لولا علمى بأن وقتك يضيق عن مجالس المشافهة. فلعلك إذا خلوت ساعة قرأت هذا الكتاب وهو إلمام ببعض ما فى النفس. وإذا رأيت متفضلا أن تخصص لى ساعة أخلو فيها بك لنتحدث فى مثل هذا الأمر كان ذلك فضلا كبيراً. والسلام عليك ورحمة الله من المخلص.

محمد فريد أبو حديد

١٩٥٠/٣/٢٩

محمد كامل حسين

صاحب الكتاب الذى لم يرح صاحبه وقارئه !

قال عنه "حاك بيرك" المستشرق الفرنسي "إنه أحصى عشرة مفكرين فى العالم فكان د. محمد كامل حسين من بينهم" .

إن عالمنا وأديبنا من مواليد ٢٠ مارس ١٩٠١ بالمنوفية فى قرية "سبك الضحاك". وقد وضع اخيه الأكبر محمد الصادق حسين فى الأربعينات كتابا يؤرخ لعلماء "أسرة السبكي" بشره طه حسين فى مطبوعات مجلة "الكاتب المصرى" التى كان يتولى رئاسة تحريرها.

يصف بداياته ومواقف صديقه فى الطب والأدب والحياة، السندباد . د. حسين فوزى[1] "لم اعرفه عاصبا إلا فى ليلة من ليالينا فى صحن الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩. وقد ذهبت جاعصا لمقاومة خطيب من خطباء الحفل يرمع إثارة الخلاف بين الوفد المصرى والأحزاب المساندة" وفاد كامل من فرقصانه عاصبا يحرك خيرزانة ليست له . ويعلن بأن الخطيب لا يفهم شيئا مما ينحرص به. وهاج القوم وأراحوا الخطيب عن منبره.

ويضيف السندباد: نعم أذكر أول يوم لكامل بمدرسة الطب المصرية وقد خرجنا من محاضرة للكيمياء للمرحوم الدكتور محمد شمس الدين. ركب كامل دراجته بعد أن رتب كتبه على حاملها الخلفي وتم شطر منزلهم بالخلمية القديمة قبل أن ينتقلوا فيما بعد إلى حلمية الزيتون" وكان محمد كامل حسين هو أول مدير لجامعة عين شمس باختيار طه حسين، وهو عضو المجمع اللغوى، والمجمع العلمي، ومجمع الجراحة بباريس . والجمعية البريطانية لجراحة العظام. وحائز على جائزة الدولة التقديرية مرتين لانشائه قسم جراحة العظام فى مصر. والثانية عن كتابه الأشهر :"قرية ظالمة" الذى ترجم لأكثر من سبع لغات . ومن الطريف أن نجيب محفوظ قد فاز بجائزة الدولة فى الآداب "عن قصر الشوق" فى نفس السنة (١٩٥٧) التى حصل فيها محمد كامل حسين على الجائزة التى كان من المقرر تقسيمها بينهما . ولكن تقرر منحها كاملة لكل منهما بصفة استثنائية. أما الذى يريده محمد كامل حسين من قرية ظالمة، فهو كما يقول "قدمت المسيح الإنسان الذى يعمل من اجل الانسانية . كان يريد أن يضع الضمير فوق التدين . ولكن أهل التدين قضوا عليه قبل أن

(١) الجمهورية ١٢ ٣ ١٩٧٧

ينقذه أهل الضمير. كان يريد أن يرفع الإنسانية فوق الوطنية والقومية، ولكن الوطنية قضت عليه قبل أن تنقذه الإنسانية . إنه لم يؤذ أى فرد من بنى إسرائيل، ولم يكن أى فرد منهم ليؤذيه، ولكنه يؤذى إسرائيل مجتمعة. وجماعتهم هى التى انتقمت منه.

لقد كان يريد أن يرتفع الإنسان درجة عن حب الوطن كما ارتفع الإنسان من قبله درجة عن حب القبيلة ، وكما ارتفع من قبل ذلك درجة عن حب الأسرة، وكما ارتفع أيام البدائية الأولى عن حب الذات .. عن الأنانية".

ويقول عنه طه حسين إنه "كتاب لم يبرح كاتبه" قد أهدى لنا فيه خلاصة حياته وصفو تجاربه، ونتيجة جهوده المتصلة التى أنفقها دارساً للطب والجراحة، معالجا للمرضى، مبتليا أخبار الناس وأسرارهم، ممتحنا ما يكون من سيرتهم أفرادا وجماعات حين يعرف بعضهم بعضا ، وحين ينكر بعضهم بعضا، وحين يمكر بعضهم ببعض، وحين يسعى بعضهم إلى بعض بالخير والمودة" .

وفى عام ١٩٦٢ نشأت بين د. محمد كامل حسين ، والعقاد معركة حول كتاب الأول "وحدة المعرفة" حين اتهمه الثانى بنقله عن كتاب آخر باسم "المكان والزمان والربوبية" للفيلسوف الإنجليزى "صمويل الكسندر"، لقد أراد محمد كامل حسين أن يقول لنا فى كتابه : إن المذهب العلمى يمكن أن يهدينا إلى الحق إذا امتد إلى ميدان الفلسفة والدين ، كما أنه يحاول أن يقدم تفسيراً علميا للقضاء والقدر، ويبحث عن الفجوات بين القوانين ، وغيرها.

وقد رد د. كامل حسين على اتهام العقاد له قائلا:

إن الأستاذ العقاد صادق الحس فى الشعر والأدب ولكنه ليس صادق الحس فى البحوث العلمية وما يقوم عليها. فرد عليه العقاد ساخراً: إن هناك تشابها تاما بين مبتكراتك ومنتحلات الصمويل قبلك، ثم تقول أنت أنه جهل بالتميز بين المذاهب والآراء، لأن هذا التميز يحتاج إلى زمن طويل ويشترط فيه البدء بالقدرة على تجبير العظام، ثم لا يكفى فيه أكثر من قراءة خمسين سنة، وأكثر من عشرين بحثا وكتابا فى مذاهب الفلاسفة والمفكرين، ثم لاغنى فيه عن طريقة واحدة من البحث هى طريقتك فى بحث دوائر المعارف ومراجع العلوم.. يا دكتور إن كنت بعدها لا تحس حاجتك إلى التميز الذى جردتنا منه فأنت أسعد خلق الله".

ويصف طه حسين قراءات د. محمد كامل حسين بانها "متنوعة أشد التنوع، فهو يقرأ فى الطب والجراحة، كما تفرض عليه صناعته، ويقرأ فى العلم والفلسفة كما يفرض عليه عقله بطبيعته، ويقرأ فى الأدب القديم والحديث، العربى والأجنبى، كما يفرض عليه مزاجه، وهو لا يقرأ بعقله وحده، ولا يقرأ بقلبه وحده، وإنما يقرأ بهما جميعا".

قصة إلى مؤنس طه حسين

وفي رسالة د. محمد كامل إلى طه حسين يهدى قصة طريفة إلى إبنه مؤنس ، يقول فيها:

٣٢ شارع جامع شركس

١٦ أغسطس ٥٤

عزيزى الدكتور

يقضى عليّ واجب الإخلاص أن أكتب إليك، ويقضى واجب الفن أن أكتب إلى مدام طه، ولما كنت لا أعلم أن الإخلاص يتقدم على الفن في أى وقت من الأوقات فقد رأيت أن أكتب إليها أولا، ثم غلبت عليّ الرغبة أن أُغلب الإخلاص على الفن فلم أستطع، ثم خطر لى أن هذا التغليب سيعطيني فرصة كبرى للتفوق الفني حين يحين وقت الاعتذار إليها، وعند ذلك يظهر نبوغى، وعلى ذلك سأبدأ بالكتابة إليك.

وأنا أفهم تماما فرح الأجداد بأحفادهم ، ولم أكن أعلم أن أمينة ستلقاكم فى أوربا ، وأنا أخشى عليها "التأمرك" وأرحب بعودتها إلى الدنيا القديمة لتبرأ من أدواء المدينة الأمريكية التى لم أستطع لها فهما حتى الآن، وأكون سعيدا لو أبلغتها وزوجها خالص تحياتى.

قضيت هذا الصيف أو أنا أقضيه في القاهرة بين الحر والرطوبة ، ولم أعد أشعر بكثير من الضيق من هذا الذى أعانيه من الجو. وقد خلت القاهرة من كل من أحب وليس لى عمل إلا أن أقضى الصباح فى المنزل وأذهب إلى عملى مساء، وأصبحت لا أجد فى ذلك بأسا.

وأدهشني صدق حدسك – وإن كان ذلك غير غريب منك – فإنى أقرأ فى تاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ ، وبدا لى أن هناك عهودا يكون خير شئ فيها أن ينصرف الإنسان عن ما يشغل الناس جميعا ويتفرغ إلى ما لا يعنى به أحد ومالا فائدة فيه، على ما قد يتعرض له الإنسان من نقد الناقدين الذين يرون جبنا وخور عزيمة أن لايبذل الإنسان بذله وأن لا يحس بالحياة حوله إحساسا يجعله يتعرض لأخطارها ولذة الكفاح فيها. على أنى قد أكون كافحت كفاحا يفوق وما فى نفسى من قوة أو ضعف، وأرانى كالذى يصعد فى الجبل يجد نفسه وقد خف الهواء حوله حتى أصبح أقل جهد يرهقه ويقطع أنفاسه . ولعل ذلك لا يدعوك إلى سوء الظن بى حين ترى عظم كفاحك وقلة جهدى.

وأرجو أن تكون مدام طه فى أحسن صحة وعافية وأن تظل بعيدة عن جونا هذا إلى

أقصى وقت ممكن، ولعل المطر لم يغمر إيطاليا كما غمر غيرها من البلاد، ولعلك تخبرهـا عن مقالة قرأتها عن فيضان الدانوب جاء فيها أن الأميركان أرسلوا هليكوبترات وأكياس ورمل وجرارات لمساعدة الأهالى وتم ذلك كله، ولكن الطائرات كانت تعمل فى مكان، والأكياس توجد فى مكان آخر، والرمل فى مكان ثالث، والجرارات فى مكان رابـع، وكـان الطيـارون يلقون أكياسا فارغة ، وأصحاب الرمل ينتظرونها فى مكان آخر، والجرارات تنتظر أن تنقل شيئا إلى المطارات ، أما الإنجليز فأرسلوا خبيراً لمقاومة المد وفيضانه، وصل بعد انتهاء الفيضان بيومين . والفرنسيون أرسلوا اثنى عشر مهندسا، أبلغهم أهل المدن المصابة أنهم فى حاجة إلى كل شئ إلا المهندسين !

وأنا أعلم أن هذا الوصف يلذ لمؤنس لأنه يعطيه فرصة للتشنيع لا شك أنه يرحب بهـا ولعله يوافينى بأمثال هذه الوقائع.

أما فريد فأبلغه سلامى ورجائى أن يختار للخطابات ورقا أقل شفوفا فإن قراءة الخطـاب احتاجت إلى حيلة خاصة.

وأتمنى لكم جميعا وقتا سعيدا ولك خاصة راحة البال وإنتاجا كالذى عهدناه.

المخلص

محمد كامل حسين

إحسان عبد القدوس.. أمام النيابة

إحسان محمد عبد القدوس(*) هو ابن الشيخ أحمد رضوان من علماء الأزهر، وجده الذى يعمل بالمحاكم الشرعية هو الذى أشرف على تربيته حتى دخوله الجامعة، حيث أنه عندما وعى الدنيا كان أباه قد انفصل عن أمه، وفى ظل رجل الدين عاش إحسان إلى أن مات جده، فانتقل إلى الإقامة مع عمته حتى بلغ الثامنة عشرة، وعندما دخل الجامعة عاش مع أمه روز اليوسف، التى كانت تدربه للإشراف على المجلة التى اشتهرت باسمها، وبرزت موهبته ككاتب قصة واستطاع أن يكون لنفسه اسما منفصلا عن والدته الشهيرة، ووالده محمد عبد القدوس الكاتب والممثل المسرحي، وقد لعبت المرأة دورا هاما فى حياته وفي قصصه، منذ طفولته حيث أن اسمه المؤنث (إحسان) قد سبب له أول عقدة فى حياته حيث يطارده الأطفال ويعايرونه بالبنوته، يقول "كنت أعود إلى المنزل باكيا وألقى اللوم على أمى وأبى لأنهما سمياني إحسان.. ولكن هذا فجر بداخلى قوة دافعة جعلتنى أثبت دائما أننى رجل".

بل إن إحسان على الجانب الآخر راح يثبت فى قصصه أن المرأة كالرجل لا حدود ولا تقاليد فيقول "أطلقت المرأة كما أطلق أى رجل فى الحياة، وهذا أعطانى القدرة على أن أعبر عن حقيقة مشاعرها، ولم يغب عن بالى ، وأنا أخوض هذه التجربة أننى سأواجه بكثير من الصياح والضجيج وقذف الطوب.

رأى الحكومة فيه

وفى رسالته إلى طه حسين يحكى إحدى أزماته الكبرى مع إحدى قصصه والتى أثارت ضجة وصلت إلى مجلس الأمة، وكاد إحسان أن يحقق معه فى نيابة الآداب بسببها. فيقول:

أستاذى الكبير الدكتور طه حسين

تحية حب كبير واقتناع بك

قرأت فى روز اليوسف كلمة عتاب وجهتها لى لأنى لا أرسل لك كتبى.. وهو عتاب

(*) مواليد ٣١ ديسمبر ١٩١٩ بكفر مأمونة مركز شبرا البمن زفتى محافظة الغربية.

شرفني وأفرحني.. والواقع أنه لم يصدر لي كتاب جديد منذ أكثر من عامين .. وقصتي الأخيرة التي تحمل اسم "ألف وثلاث عيون" رفضت الدولة التصريح بنشرها في كتاب إلا بعد أن أحذف منها وأعدل فيها، ورفضت أنا الحذف والتعديل، وبالتالي لم ينشر الكتاب.. ولكن ليست هذه هي المشكلة.. مشكلتي الحقيقية أنني منذ عامين وقد فقدت ثقتي في نفسي إلى حد أني لم أعد مقتنعا بأن لي إنتاجا أدبيا يستحق أن يقرأه أستاذي الكبير طه حسين.. ووجدت نفسي صريع أزمة نفسية قاسية أبعدتني عن كل الناس ، وكل مراكز الحركة، وكل من أحبهم.. واكتشفت في نفسي أني إنسان ضعيف.. غاية الضعف، بل اقتنعت أني كنت دائما ومنذ أن ولدت، هذا الإنسان الضعيف.. أحمل ضعفي في داخلي، وأحاول أن أخفيه تحت ستار من العناد الكاذب ، والغرور المفتعل.. ولم أكن طول عمري أستطيع أن أهرب من هذا الإحساس بالضعف، إلا عندما أمسك بقلمي وأكتب.. وقد كنت دائما أتحمل معاناة هائلة حتى أستطيع أن أهرب من ضعفي وأكتب.. ولكن في السنتين الأخيرتين أصبحت هذه المعاناة أكبر من أن تحتمل .. وأكبر من أن أتغلب عليها.. فاستسلمت لضعفي، ولم أكتب خلال هذه الفترة سوى عدد قليل من القصص القصيرة.

لماذا؟

ماذا حدث لي؟

ربما كانت هذه الحملة المجهولة الظالمة التي وجهت ضدي وأنا أنشر قصة "ألف وثلاث عيون" مسلسلة في مجلة روز اليوسف.. ولم تكن حملة أدبية، ولم يقم بها أدباء ، ولا حتى أنصاف أدباء ، إنما قام بها بعض كتاب الصحف المشوهين، في وقت كانت حالة الصحافة تبيح فيه لمثل هذه الأقلام أن تكتب فيه ما تشاء.. وكانت الحملة - كما هي العادة - تقوم على إتهامي بالإثارة الجنسية.. واحترت ماذا أفعل إزاءها فالذين يكتبون ليسوا من الشخصيات المحترمة الذين يستحقون الرد عليهم.. وما يكتبونه ليس مناقشة موضوعية تستحق أن أشترك فيها. إنما هي حملة موجهة إلى شخصي.. فلم أجد إلا أن اسكت .. ولكن هذا السكوت أطمع فيّ صغار الكتاب ، فاشتدت الحملة.. ثم أحاطتها ظروف كثيرة انتهت بأن قدم أحد أعضاء مجلس الأمة سؤالا عن القصة إلى الوزير المختص.. ولم يكن حضرة النائب أديبا بل إنه اعترف لي بأنه لم يقرأ القصة أصلا، ولكن قدمت له بعض فقرات منها.. إنه نائب كان يسعى لنشر اسمه في الصحف.. فقط.

وفي هذا الوقت ذهبت إلى الأستاذ توفيق الحكيم وهو مجتمعا بأعضاء لجنة القصة التابعة للمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وعرضت عليه الموضوع كله.. وقلت له : إن

القضية قضية أدبية، وأن لجنة القصة هي صاحبة الحق في أن تبدى رأيها في هذا الاتجاه الأدبي، فإذا وجدت أنه اتجاه ليس من الأدب في شيء، أو أن نشره يعارض المصلحة العامة، توقفت عن النشر فيه ، رغم إيماني به.. لأن الرأي هنا سيكون رأي لجنة من المختصين .. ثم إني لا أكتب في هذا الاتجاه فحسب، ولكن معظم قصصي بعيدة كل البعد عن هذا الاتجاه، ورغم هذا فلو كان هذا الاتجاه صالحا للنشر فإن من حقي أن أسير فيه.. و.. و..

تكلمت كثيراً.. وتفضل أعضاء اللجنة والأستاذ توفيق الحكيم ، وأيدوا هذا الاتجاه، بل وهنأوني عليه في حماس كبير.. فطلبت منهم أن يسجلوا رأيهم هذا في محضر الجلسة، لا للنشر في الصحف ، ولكن فقط لأجأ إليه في حالة تقديمي للمحاكمة إذا حدث وقدمت. وهنا تراجع الأستاذ توفيق الحكيم، وفهمت منه أنه لا يستطيع أن يسجل هذا الرأي الأدبي الخاص، إلا بعد استشارة الأستاذ يوسف السباعي.. وكان يقصد استشارة الحكومة وخرجت من اجتماع اللجنة.. لست غاضبا، ولكن يائسا.. وأرسلت خطابا إلى الأستاذ توفيق الحكيم أعتذر له عن التجائي للجنة.

ولعل سيادتك تذكر أن مثل هذه الضجة أثيرت عندما كتبت قصة "لا أنام"، والتجأت يومها إليك عندما كنت مجتمعا بأعضاء نادي القصة ، وتفضلت أيامها وأيدت موقفي وشجعتني عليه.. وكان التأييد الأدبي أيامها يكفي، ولكن في هذه الحملة الأخيرة لم يكن التأييد الأدبي يكفي، لأن الحملة خرجت عن النشر في الصحف إلى العرض في ساحة مجلس الأمة.

ثم..

حدثت في وسط هذه الأزمة، أن أعفيت من منصب رئيس مجلس إدارة مؤسسة روز اليوسف ، ورغم أن السيد الرئيس أرسل إليّ متفضلا ، من يقول لي إن إعفائي ليس متعلقا بشخصي ولا يمس ثقته بي ، إنما هو متعلق بظروف بعيدة عنه كل البعد، إلا أنني ظللت مقتنعا بأن موقفي من الاتجاهات الأدبية كان له دخل في إعفائي .. ولم يكن إعفائي في حد ذاته يهمني، فقد كنت أسعى منذ وقت طويل لإعفاء نفسي من كل المسئوليات الإدارية، ولكن كان كل ما يهمني هو ألا يكون لإنتاجي الأدبي دخل في هذا الإعفاء.

ثم..

تطوع بعض الناس اندفاعا وراء شهوة الظهور على صفحات الصحف ، إلى تقديم بلاغ ضدي في النيابة للتحقيق في القصة التي كتبتها.. وحققت معي النيابة فعلا.

ثم..

أحيل التحقيق إلى نيابة الآداب.. وهنا لم أعقل.. لم أعقل أن يحاسب أديب في عصرنا هذا أمام نيابة الآداب، كالعاهرات، وكالقوادين.. واتصلت بالأستاذ يوسف السباعي، وقلت له: أني لو ذهبت إلى نيابة الآداب، فسيذهب بعدى كل الأدباء.. وتفضل يوسف واتصل برئاسة الجمهورية التي أمرت في الحال بوقف تحويل القضية إلى نيابة الآداب، ثم حفظتها النيابة العامة.

كل هذا دون أن تناقش القضية مناقشة موضوعية من أساسها. لم تناقش الاتجاهات الأدبية.

ولا حرية الأديب.

ولا حق الأديب في التعبير عن الإنسان داخل مجتمعه

لا مناقشة إطلاقا .

وأحسست بنفسي وحيدا.. وحيدا.. بعيدا.. بعيد عن الحياة كلها.. وشعرت ببرودة شديدة تسرى في عروقي.. برودة كأنها وخز الإبر.. وأرتعش وأنكمش على نفسي أبحث عن الدفء في داخلي .. ولكن البرودة في نفسي كانت أشد.

ولعلك يا أستاذى الكبير تذكر أني في آخر مرة زرتك فيها بصحبة أعضاء جمعية الأدباء، أني ملت على أذنك ، وقلت لك إنى في حاجة إليك، فإني أجتاز حالة نفسية تدفعني إلى الاستجارة بك.. وتفضلت سيادتك بأن وعدتني بأن تحدد لى موعدا عندما أتصل بك تليفونيا.

ولم أتصل بك .. عدت إلى نفسي فأحسست أني تافه.. تافه إلى حد لا أستحق أن آخذ من وقتك شيئا.

أســـــتاذى

أخشى أن تظن أني أحضر العود. أشكو كل هذه الشكوى من حملة أثيرت عليّ، في الوقت الذى تعرضت فيه أنت إلى حملات ربما كانت أشد وأقسى . لا يا أستاذى. لقد تعرضت أنا من قبل لحملات أشد، منذ بدأت أكتب في الصحف، وأنا أتحمل أكبر نصيب من الحملات الضارة.. حملات سياسية، وحملات أدبية.. ولكن كل هذه الحملات لم تكن تؤثر فيّ مثلما أثرت الحملة الأخيرة.. ذلك لأني لم أشعر أبداً - خصوصا قبل الثورة - بأني أقف وحدى، كان الناس ينقسمون إزاء كل حملة.. ناس يقفون معي، وناس يقفون ضدى..

وكان الناس الذين يقفون معى يكفوننى لشد أزرى على الناس الذين يقفون ضدى.. ولكن.. الدنيا تغيرت .. الناس الآن.. أقصد الذين يتكلمون بصوت عال، لا يقولون رأيهم، ولكنهم يسألون عن رأى الحكومة ، ولا يحددون موقفهم من القضايا العامة أو الخاصة، ولكنهم يبحثون عن موقف الحكومة، فإذا لم يكن للحكومة رأى ولا موقف، أصبح لا رأى لهم ولا موقف.

وهذا هو ما أشاع اليأس فى نفسى. هذا هو ما جعلنى أشعر بالوحدة، والبرودة، والإنطواء.. ولا أريد أن أقول القرف. وبعد يا أستاذى.

إنى اليوم أحس بقوتك وفضلك ، أكثر مما أحسست بهما فى أى يوم مضى، فقد احتملت أنت.. أما أنا..

وتسألنى ماذا أريد؟

لاشئ..

لاشئ إطلاقا..

إنى فقط أعتذر لك عن عدم إرسال كتبى إليك.

واشكرك لأنك أتحت لى فرصة للتفريج عن نفسى ، وأشكرك مرة ثانية لأنى بالأمس فقط قرأت – ربما للمرة العاشرة – أحلام شهر زاد.. وربما كانت قراءتى لها هى التى دفعتنى إلى الإطالة عليك، عشت لنا طويلا.

مع كل حبى واقتناعى ، وأطيب تمنياتى،

المخلص

إحسان عبد القدوس

١٩٦٦/٣/٤

من أمين يوسف غراب موباسان الشرق
إلى أبي طه حسين

حين قررت الدولة اول جائزة للقصة، فاز بها أمين يوسف غراب عن قصته "أشياء لا تشترى" وكان أول من نشر له، محمد التابعي بآخر ساعة، وأول من بشر به طه حسين حين قال عنه:

إن أمين يوسف غراب لا يقل براعة ومقدرة في ميدان القصة العربية الحديثة عن زميله الأديب الفرنسي جي دي موباسان*. رغم أنه ليست له ثقافته ولا تعليمه. وحين يقدم طه حسين بعض مجموعاته القصصية يقول عنه[1] "لم يتخرج في الجامعة ولا في الأزهر، ولم يختلف إلى المدارس ولم يجلس إلى الأساتذة والمؤدبين، وإنما علم نفسه فأحسن تعليمها، وأخذها بفنون من العنف حتى انقادت له ، فأحسنت الانقياد، وقرأت على ما أرادها على أن تقرأه فعرفت كيف تقرأ وكيف تفهم وكيف تسيغ ما تقرؤه وما تفهمه ، وكيف تتمثله ثم ترده بعد ذلك أدباً طريفا، فيه كثير من روعة، وفيه كثير من جمال، لأنها أضافت إليه من خلاصة طبعها ما أسبغ عليه سذاجة حلوة، وأجرى فيه روحا مصرياً عذبا".

لقد استطاع أمين يوسف غراب* ابن عمدة شرنوب بمحافظة البحيرة أن يحول محنته إلى استفادة عظمى، لقد اعتمد أمين على ثراء والده فلم يتعلم حتى ذهب الثراء ولم يعد لأسرته حول ولا قوة، فعمل أمين بأرشيف مكتبة البلدية، ولم يستطع أن يتعلم القراءة والكتابة إلا في الخامسة عشرة من عمره، ولما غضب عليه رئيسه نقله للعمل بمكتبة البلدية بدمنهور ، وهنا تلعب الأقدار دورها ، يكب أمين على الكتب يقرأ ويلتهم ما يقرؤه ويفرزه على الورق، لا شئ يوقفه، إنه يحول النقمة إلى نعمة ، ويكتشف في نفسه موهبة الكتابة ليكون في مقدمة الصفوف بين الأدباء من كاتبي القصة ، ومن أشهر قصصه : شباب امرأة، ومن رواياته: الأبواب المغلقة، ومن مسرحياته: ست البنات، وهو متهم كزميله إحسان عبد القدوس بسيطرة الجنس على أدبه.

يعتبر طه حسين أباه الروحي ، وإذا صافحه انحنى يقبل يده.

---

(١) أهرام ١٩٥٢/١١/٢٩.

(*) مواليد ٣١ مارس ١٩١٢.

إنه يقول عنه "أنا أدين لطه حسين بكل كلمة أكتبها" وفي رسائله المفعمة بالحب والاعتراف بالفضل تجد أمين يوسف غراب يعتبر نفسه ابنا لطه حسين، ويعتبر طه حسين أباه ، ومعلمه الأول.

في رسالته التالية يحكي قصة ولادة هذه الأبوة التي شعر بها، كما يحكي كيف استطاع طه حسين أن يغير نظرته المنكرة للإمام علي رضي الله عنه.

قصتي مع الأبوة

أبي العزيز

بإخلاص أقول لك لم يدر بخلدي يوما، أنني سأتشرف بالكتابة إليك، لأنني ما تعودت أبدا أن أكتب إلى رجل لا أعرفه حتى ولو كان هذا الرجل هو "طه حسين" وهذه عادة لا أدري أصالحة هي أم غير صالحة، ولكن الذي أدريه هو أنني فلاح نشأت في بيت أضاع كل ما كانت تتحلى به حجراته العديدة من متاع، في سبيل ما يسمونه العزة والكرامة والأنفة، وما إلى ذلك من مسميات ومشتقات ، حتى ضاع كل شيء. ضاع البيت وضاعت حجراته أيضا، ولم يبق إلا هذه السلعة التي كلما ذكرتها سألت نفسي أيهما الذي ربح: المتاع الذي أضعناه ، أم الوهم الذي اشتريناه.

هذا أيها الوالد العزيز لم أتشرف بالكتابة إليك من قبل ، رغم ما كان بيننا على البعد، ورغم ما أسديته إليّ من حسنات وأي حسنات.

أما الآن وقد أسعدني الحظ وتشرفت بالمثول بين يديك . فها أنذا أتشرف أيضا بالكتابة إلى شخصكم الكريم . وكل الذي أرجوه أن تصدقني إذا قلت لك أنني أحبك. وأنا لم أحبك لأنك طه حسين وحسب ، ولم أحبك لأنك المعلم الأول الذي علمتني ما لم أكن أعلم ، والذي لولاه كما قلت لك يوما، لظللت كما نشأت لا أعرف كيف أرسم اسمي على الورق. وأنا أيضا لم أحبك يوم أن أطلق عطفك الذي استشعره قلبي وكان في حاجة إليه.. لا ولم أحبك كذلك لأنك تفضلت وكتبت عني ما كتبت فخلقتني بما كتبت خلقاً جديدا – كما قلت لك يومها – وأسديت إليّ بهذا الذي كتبت الكثير والكثير جدا من الأفضال ، منها ما هو أدبي ومنها ما هو مادي، ومنها ما حدثتك عنه بعضه ، ومنها ما سوف أحدثك عن بعضه الآخر إن شاء الله، وكذلك أنا لم أحبك لأن إحساسك المرهف وعطفك الجميل وكرمك الزائد ، كل ذلك أحس بما كان يعتمل في قلبي من أماني هي عند الأديب غاية ما

يصبوا إليه ، فحققتها لى وحققتها عن طيب خاطر يوم أن تنازلت ورضيت أن تتوج أدبى بمقدمة تتفضل بها على كتاب من كتبى .. لا . لا لم أحبك لشئ من هذا كله . وإنما أحببتك لما هو أثمن عندى من هذا كله ، وأسمى من هذا كله ، وأعز على الإنسان من هذا كله .. أحببتك للأبوة الصادقة التى وجدتها فيك ، وكنت أبحث عنها من يوم أن افتقدتها. أجل أحببتك لأنك أبى ، وبإخلاص أقول لك – أبى – وبإخلاص أيضا أقص عليك قصة هذه الأبوة الكريمة.

فقد أحسستها أول الأمر فلم أصدقها وأنكرتها، ثم أحسست بها ثانية فأنكرتها أيضا، ومعذرة فى ذلك ، فما كنت أعرف أن السماء تعود فتعطى الذى أخذته ، ثم عدت مرة أخرى وأحسست بها، ففكرت فيها وتدبرتها ، ثم إذا بى ذات ليلة أستشعرها كما كنت استشعرها من قبل صادقة نقية طاهرة فياضة بالعطف زاخرة بالحنان مليئة بالحب، فلم أنكرها ولم أتدبرها ، وإنما خررت لها ساجدا سجدة الإيمان.

الإيمان العذب الحلو الذى لا يتذوق حلاوته ولا عذوبته إلا كل من آمن بما آمن. ويعلم الله كيف أسعدنى هذا الإيمان وكيف أراح قلبى ليلتئذ .. ليلة لم أنم فيها من ثقل الفرحة . ومعذرة إذا قلت ثقل الفرحة فكم تحمل الفرحة صاحبها أحيانا ما لم يحتمل أو يكن يظن أنه يحتمل.

وهل يحتمل الإنسان أن يعيش ليلة فى السماء، بينما جسمه فى الأرض. كان ذلك أيها الوالد العزيز ليلة أن شرفت دار الأوبرا لمشاهدة "ست البنات" أحسست هذا وأنا أجلس إلى جوارك، وأنا أتطلع إلى جمهور النظارة ، وكلما أراد أن يستمع استمتع بمشاهدتك أنت. أما أنا فكنت أجلس معك بجسمى فقط، أما ما أودعه الله هذا الجسم من عواطف وأحاسيس وعقل وقلب. أما كل ذلك فكان عند الله يشكر له هذا الصنيع الذى لا يقدره إلا هو. فهو وحده الذى علم كم تضرعت إلى السماء ذات ليلة لكى لا تحرمنى أبى. فقد كنت أتصور كل شئ إلا أن أحرم من ذلك الأب. ولذلك لما لم تستجب السماء إلى دعائى ثرت عليها ثورة عنيفة واتهمتها بالعقوق والجور والقسوة والظلم الذى تنهانا عنه فى الأرض.

وما كنت أدرى وأنا كذلك أنها إنما تنفذ مشيئتها فقط وأنها تدخر لى نفس الأب، ليعطف علىّ نفس العطف، ويحنى نفس الحب، ويرعانى نفس الرعاية.

وعندما أيقنت ذلك كان لزاما علىّ أن أشكر الله من قلبى . فلم أجد غير يدك الكريمة أقبلها وأمسح عليها بشفتى، ولعلك تذكر أنها كانت أول مرة قبلت فيها يدك الكريمة، ولعلنى أذكر ويذكر الله معى أنها كانت أول يد أقبلها بعد عشر سنين وستة أشهر ، وهو

تاريخ ما كان لى أن أنساه، ولن أنساه.

لست أدرى أيها الوالد العزيز لماذا أقص عليك هذا كله؟ إنك ولاشك تعرفه أكثر منى لأنك أنت الذى أعطيتنيه. بل ولست أدرى لماذا أكتب هذه الرسالة وليس هناك ما يدعو إليها؟

أغلب الظن أننى أكتبها بسبب الوحشة التى استشعرتها بعد سفرك. بل التى أحسستها عندما علمت بأن سفرك المفاجئ وكنت لا أعلم به ، والتى تحققت منها عندما تشرفت بالذهاب إليك لأقبل يدك مودعا ليلة السفر.

لقد ظللت طيلة الجلسة أفكر كيف ستغيب عنا ثلاثة أشهر كاملة؟

وكنت كلما طال بى الوقت أو امتلأت الحجرة بالزائرين وأحاول أن أنصرف ، إما أن يستبد بى هذا الفكر فأجلس ، وإما أن يستبقينى الأخ الكريم فريد، فأشعر بالغبطة والسرور لأنه بذلك يحقق لى ما أريد وهو أن أجلس فى حضرتك أكبر وقت ممكن ، وصدقنى لولا أنك صرفتنا لبقيت فى حضرتك إلى ما شاء الله.

وعندما ذهبت إلى دارى بعد منتصف الليل أحسست برغبة صادقة فى أن أجلس إليك بقية الليل فجلست إليك مع "على" وصدقنى إذا قلت إننى جلست إلى "على" متأدبا جداً فى آخر الليل ، كما كنت أجلس إليك متأدبا جدا فى أول الليل. وأخذت أقرأ، ولعل ما قرأته كان من الأسباب التى دفعتنى للكتابة إليك، وقبل أن أحدثك عن بعض تلك الأسباب أعترف لك أننى لم أقرأ كثيرا فى تاريخنا الإسلامى، فأنا أضيق بالكتب القديمة وما تمتلئ به من حوقلة وبسملة وعنعنة أيضا، وما كتبه المحدثون فلم يقع فى يدى منه شئ يذكر اللهم إلا ما كتبه العقاد وأحمد أمين، وبينى وبين الاثنين من الاستلطاف ما لا يشجعنى على أن أقرأ لأحدهما.

فالعقاد قد أبى الله تعالت قدرته إلا أن يجعل أدبه كاسمه عقد وتعقيد ، فأنا لا أفهمه مهما حاولت أن أفهمه ، ويعلم الله كم حاولت أن أفهمه وحملت نفسى ما لا تطيق لكى تفهمه ، ولكنها والله لم تفهمه . لذلك أشفقت على نفسى منه، فلم أقرأ له شيئا ، وأرجو الله تعالى أن لا أقرأ له شيئا.

أما أحمد أمين فمثله فى كتبه كمثل ضارب الطوب – كما قلت له يوما عندما أنشأ الثقافة – يصنع الآلاف ولكن كلها طين. لهذا أنا لم أقرأ فى السيرة غير بعض الكتب اليسيرة جداً ، ثم عثمان ، ثم قرأت "على" . ومعذرة إذا قلت إننى عندما أقبلت على "على" أقبلت

عليه إقبال المكره لا البطل، لأن فكرتي عن "علي" كانت تختلف الاختلاف كله عن الحقيقة التي جلوتها لنا.

فقد عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالقسوة والظلم والأنانية وحب الذات، فلولا ولاية "علي"، وتشبث "علي" بهذه الولاية لما وقع للمسلمين ما وقع عندما ولي "علي"، ولما حدثت الفرقة بينهم بسبب هذه الولاية، ولما لاقت أم المؤمنين وهي زوجة رسول الله ما لاقت، بسبب هذه الولاية، ولولا ولاية "علي" ما قتل ما قتل من المسلمين ما قتل وكانوا أعوان رسول الله، ولولا ولاية "علي" ما قتل من المؤمنين ما قتل وكانوا يدعون إلى كتاب الله، ولولا ولايته لما كان ذلك اليوم الذي رآه المسلمون، فلم يروا مثله - شناعة ولا بشاعة ولا نكرا - أجل عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالظلم والقسوة وغلظة القلب، وبانه أذاق عائشة من القسوة ما لم تذق امرأة غيرها من قبل، وعائشة قبل أن تكون زوج رسول الله وقبل أن تكون أم المؤمنين فهي امرأة، ومع ذلك - قالوا لي - إن عليا عقر جملها وراش عضدها، ثم ذهب هو بنفسه وضرب هو وجهها برمحه. ثم لم يكفه ذلك فينتهك عليها حرمتها، ثم لم يشف غليله ذلك فيذهب إليها في دار عبد الله بن خلف التي امتلأت حجراتها بجثث قتلاه، لا ليعتذر لها عما فعل، وإنما ليتندر بما فعل..

لهذا كنت أكره هذا الرجل وكنت أقول عنه كما قالت صفية بنت الحارث: يا قاتل الأحبة ويا مفرق الجماعة، أيتم الله بنيك منك، كما أيتمت بني عبد الله"

هذا ما كنت أعرفه عن "علي" قبل أن أقرأ "علي" أما الآن وقد قرأته، أما الآن وقد فهمته، فإني أشعر بكثير من الألم على ما تورطت فيه حينا من ظن آثم، فلقد أقنعتني حقيقة بأني كنت على خطأين، وبأني كنت على جهل كبير. وهذه ميزة ميزك الله بها دون أهل الأرض جميعا وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما أخرجتني من الظلام الذي كنت أعيش فيه إلى هذا النور الذي أصبحت أعيش فيه. إنك بهذا الكتاب قد أنصفت عليا، وهذه حقيقة لاشك فيها، وما كان لغيرك أن ينصفه، صدقني إذا قلت لك ذلك، وصدقني أيضا إذا قلت: إن الله تعالى له اليد الطولى على هذا الكتاب، وأنت تمليه لأنه هو الآخر أراد أن ينصف عليا فلم يجد غيرك يعطيه هذا الحق الذي كان التاريخ نفسه أوشك أن يحرمه منه، كما حرمه بعض الجهلاء الذين كتبوا عنه من قبل، وكما حرمه أيضا بعض الجهلاء الذين قرأوا عنه من قبل فتورطوا في الجهل الذي تورطت فيه يوما..

لذلك أقول إن الله كانت له اليد الطولى على هذا الكتاب الذي جاء في حقيقته أكبر من أن يمليه إنسان، وأكبر أيضا من أن يقدر عليه إنسان، لهذا فأنا أشكر الله وأضرع إليه

أن يحفظ ذاتك الكريمة ، وأن يعيدك إلينا على خير ما ترجوه الأبناء للآباء . كما أضرع إليه أيضا أن يظلني رضاك دائما، وأن تكلأني رعايتك دائما، وأن يتيح لي من عطفك ورضاك ما أنا في حاجة إليه.

ابنك البار

أمين يوسف غراب

٥٣/٧/٢٨

أسرار في قلب إحسان عبد القدوس

وفي رسالة أخرى يتحدث أمين يوسف غراب عن أمنياته التي لا تتحقق، وانفراد عقد الأدباء بغير وجود طه حسين وركود سوق التوزيع لبعض الأدباء الكبار، فيقول :

ابي العزيز

تلقيت بفرحة كبيرة كتابكم الكريم ، وكم تمنيت أن أكون من الذين وهبهم الله القدرة على تصوير ما يعتمل في النفس والقلب من أحاسيس ونزعات ، إذن لحدثتكم عن أشياء كثيرة تسركم. فإني لا أعرف شيئا يسر النفس الكريمة ، ويرضي القلب الكبير ، مثلما يسرها ويرضيه العمل على ما فيه الخير والأمن والاطمئنان للناس ، ولذلك لا يسعني إلا أن أضرع إلى الله أن يجزيكم عن هذه الحسنة حسنات، وعن هذه المكرمة الخير والمثوبة.

غير أن الذي اريد أن أؤكده، هو أنني لم أخطئ في الحكم، ولم أخطئ أيضا في التقدير، لأنني لم أحكم ولم أقدر . وإنما أنا رجل كانت حياته أشبه ما تكون بالساعة المعطلة دائما - فمرت عليها لحظة كانت فيها أضبط ساعات العالم، وهذه رحمة من الله يتصدق بها أحيانا على الذين لا حول لهم ولا قوة.

تمنيت لي أيها الوالد العزيز أن يتاح لي في يوم من الأيام أن أعبر البحر، وأطوف بتلك البلاد الأوربية، وأن أعيش حينا بين السهل والجبل، وحينا بين البحر والبحيرة، وأن أرى من ألوان الحضارة ما يشوق ويروق، وهذه أمنية طيبة لا تصدر إلا عن قلب كبير، ومع ذلك وقفت عندها طويلا. فأنا أسرف في كل شئ إلا في الأماني. ولذلك ما تمنيت يوما أكثر من أن أقطع الصحراء إلى مرسى مطروح صيفا، أو أقطع الطريق إلى أسوان شتاء. ومع ذلك مر صيف وصيف ، وأعقبه شتاء وشتاء ، وسيمر صيف وصيف، وسيعقبه شتاء وشتاء، ولن يحقق هذه الأمنية العزيزة، أقصد واحدة منها، وكيف تتحقق أمنية صغرت أو كبرت، وقد

قدر لنا أن لا نظفر حتى بالخبز إلا عن طريق ذلك العرق الأسود – الذى نسود به الصفحات، فيسود علينا حياتنا أحيانا.

أقول ذلك بمناسبة قصة نشرت لى من أيام فى "آخر ساعة" فرأيت – وكان هذا سوء حظ – أن أقرأها بعد نشرها ، وإذا بى من شدة ما لاقيت من خيبة أضحك دون ما سبب، ولعل هذا هو البكاء ، أو هو شر أنواع البكاء . فقد قرأت شيئا تافها. تافها إلى أقصى ما تنطوى عليه كلمة تفاهة من تفاهة. وكذلك ظللت يومها أضحك وأضحك ، إلى أن زال الضحك ورجع إلىّ صوابى ، إن صح أن الصواب يرجع ثانية. وكان ذلك عندما تذكرت الظروف التى كتبتها فيها، ثم تلك القوة الخفية التى دفعتنى إلى نشرها. تذكرت ذلك كله وتذكرت معه قولكم الكريم عنى فى "الأهرام"، وكأنكم كنتم معى وفى حياتى.

"وهو قاص مقصر إلى الآن، لم يحاول أن يطيل القصص فيما أعلم ، وأكبر الظن أن الوقت لم يتح له كما لم يتح له فراغ البال، وأنه إنما يكتب هذا القصص القصير مستجيبا لفنه من ناحية ولضرورات الإنتاج السريع المنتظم من جهة أخرى".

ومع ذلك أصدقكم القول وما كان لى إلا أن أصدقكم القول دائما، أنه لو لم تنشر لى تلك القصة فى الوقت الذى نشرت فيه لكان حزنى على عدم نشرها لا يقل عن ذلك الحزن الذى لاقيته بعد النشر.

وهكذا نعيش، وهكذا نكتب، وهكذا أيضا تكون الضراء التى نحمد الله عليها، ألم يطالبنا بأن نحمده فى الضراء كما نحمده السراء. ولذلك فأنا أحمده كثيرا، وأحمده كثيرا جداً، هذا ما أقطع به وأؤكده، ولكن الذى أستطيع أن لا أقطع به ولا أستطيع أيضا أن أؤكده، هو هل سأحمده فى السراء بنفس الإخلاص الذى أحمده به فى الضراء؟ هذا مالا أعرفه، لأننى لم أجربه ، وأغلب الظن أننى لن أجربه ، ومع ذلك فأنا أسأل نفسى، ترى هل يصدر هذا الشكر من الأعماق؟

علماء الدين يقولون ذلك وأنا أيضا أقول ذلك . كان بودى أن لا أقول ما قلت ، ولكن إن لم يقل الابن لأبيه كل شئ فلمن يقول؟

الأبناء جميعا فى نادى القصة وفى غيره يقبلون أياديكم الكريمة، ويتمنون لعائليكم وللأسرة الكريمة وافر الصحة وموفور الرضاء، وإننى ألتقى كثيرا بالأستاذين حسن عزت وإبراهيم الإبيارى، وهما فى صحة جيدة والحمد لله، ويقبلون أياديكم .

أما نحن فى نادى القصة فقد تفرق الشمل أو كاد بعد سفركم ، فأصبحنا لا نلتقى إلا نادرا. وإذا اجتمعنا فعلى غير موعد . فقد اتضح أن الذى كان يجمعنا هو تشريفكم والحرص

على المثول بين أيديكم. هذا وقد سافر إلى الإسكندرية الأستاذ توفيق الحكيم من شهر تقريبا. والأستاذ تيمور يقيم هناك بصفة دائمة. وسيسافر في نهاية هذا الأسبوع إلى سويسرا للاستشفاء مع السيدة حرمه. وسافر إلى لندن من أسبوع صلاح ذهني، وسافر في حالة سيئة للغاية وهو من شدة المرض الذى حار فيه الأطباء في مصر يكاد يكون بين الحياة والموت. والله يوفق الطبيب الذى سافر إليه في لندن.

هذا وقد نال جائزة الدولة للأدب هذا العام وهي المعروفة بجائزة فؤاد سابقا. الأستاذ الزيات عن كتابه الجزء الرابع "من وحي الرسالة" رحمها الله. والأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله عن قصته الأخيرة "شمس الخريف". وقسمت الجنيهات الألف بين الاثنين بالتساوى، قسمها عليهما حضرة وزير المعارف الذى استشف أدبا رفيعا في الكتابين ، أو في الأديبين ، أو كما قال .

قابلت إحسان أول من أمس وحدثنى بلسان الناشر حديثا طويلا عن سوء تقديره للأمور وكيف أنه لم يطبع من "شجرة البؤس" غير ١٨ ألف نسخة نفدت عن آخرها عند صدورها، حتى الـ ١٥٠ نسخة التى ترسل بالجان إلى المعلنين اضطر إلى بيعها، هذا خلاف الطلبات الكثيرة التى ترد إليه من بعض المكتبات في الأقطار العربية والتى مازالت تلح في طلب الكتاب . ولما أفهمته أنه كان يجب أن يطبع من شجرة البؤس أضعاف ما يطبع من كتب السلسلة قال لى أشياء غريبة جدا عززها بالأرقام، وهى أن كتب الأساتذة توفيق الحكيم وتيمور وفريد أبو حديد وهم - الثلاثة الكبار - كما تطلق عليهم السيدة روز اليوسف مفيظة حانقة ، قد فشلت فشلا ذريعا لا يتصوره عقل؟ فازهار الشوك للأستاذ فريد أبو حديد طبع منه ١٦ وزع ٥,٤٠٠ وكذلك تقريبا كتاب الأستاذ توفيق الحكيم ، ولست أدرى سر هذه الظاهرة الغريبة في كتب الأستاذ توفيق الحكيم هذا العام، فقد أصدر ثلاثة كتب لاقت جميعها نفس المصير، فدار أخبار اليوم تشكو مر الشكوى من كتابه "المرأة الجديدة" ، وكذلك كتابه "عصا الحكيم" الذى أصدرته دار الهلال، وهذا هو كتابه "شجرة الحكم". وهذه ظاهرة في الحقيقة تبعث على الدهشة كما قلت لإحسان الذى اتضح أنه يحمل هذه الأسرار في قلبه على مضض ولا يبوح بها لأحد.

مرة أخرى أقبل أياديكم الكريمة ، ومرة أخرى أعتذر عن هذه الإطالة التى سوف لا أحيد عنها طالما هى تسعدنى كل هذه السعادة.

ابنكم البار

أمين يوسف غراب

الجمهورية المصرية في ٥٣/٧/٢٨

لا أستحق الشتم فقط

وفى رسالته الأخيرة يستعرض أمين يوسف غراب بعض الأخبار العامة والخاصة فيقول:

أبى العزيز الدكتور طه حسين

أقبل أياديكم الكريمة، وأرجو الله أن يمتع سيادتكم والأسرة الكريمة جميعا بالهناء الدائم، وإنى أنتهز هذه المناسبة. مناسبة عيد الأضحى المبارك ، وأكرر الرجاء لله عز وجل أن يعيده عليكم جميعا بالخير والهناء، وأن يحفظ لنا حياتكم الغالية وأن تعودوا إن شاء الله فى يمن وصحة وهناء بال.

تسلمت بطاقة سيادتكم الكريمة. وبهذه المناسبة أقول أنه من نعمة الله على بعض الناس أحيانا أن يتيح لهم من أسباب شقائهم ما يسعدهم ويرضيهم . فأنا دائما فى شهور الصيف أكثر شقاء وذلك لعدة أسباب أهمها بل يكاد يكون كلها بسبب سفر سيادتكم هذا الطويل الذى يشعرنى دائما بالألم لا لشئ ولا لسبب ، وإنما هكذا أنا دائما أثناء غياب سيادتكم فى الخارج.

فقد كان يمضى الأسبوع بل وأكثر بكثير ولم أتشرف برؤية سيادتكم أثناء وجودكم فى القاهرة ، ولكن هناك إيمان، وهناك اطمئنان ، بأنى فى كنفكم دائما، ومعكم دائما وأراكم فى أى لحظة أشاء.

أما إذا جاء الصيف وجاء معه السفر، فإنما يصير كل ذلك إلى العكس، ويصبح الاطمئنان قلقا، والإيمان شكا، وأحس دائما بالوحدة وأشعر بحقيقة بؤس الإنسان الذى لا حد له.

وهذا شقاء ما فى ذلك شك، أما السعادة التى تشتق من هذا الشقاء كما قلت، فهى مثلا عندما وصلتنى بطاقتكم الكريمة، وعندما عرفت العنوان، وعندما فكرت فى الكتابة إلى سيادتكم، وعندما أكتب الآن، و.. أرانى سأطيل وسأتفلسف وسينتهى الأمر بأن أشتم من سيادتكم كالعادة ، ولهذا سأسكت ، ثم أقول:

أولا: كل ما فى الوطن العزيز بخير، وقد مرت فترة الانتخابات بسلام، ولم يحدث ما يستحق الذكر.

ثانيا: عقد مجلس الفنون والآداب جلسته الأخيرة هذا العام مساء السبت الماضى ، وقد

اعتذر عن الحضور السيد وزير التربية والتعليم، وأناب عنه وزير الإرشاد الذى رأس الجلسة ولم ينظر فى شئ ذى بال ، وقد أجلت أكثر المواضيع الهامة إلى الدورة المقبلة بعد الصيف إن شاء الله.

ثالثا: أنا والأسرة جميعا بخير والحمد لله، وإبراهيم نجح فى النقل من أولى إعدادى وكان ترتيبه الأول، وكان أول ما أراد أن يفعل أن يذهب إلى سيادتكم ليبلغ سيادتكم النبأ بنفسه، ولكنه أسف عندما علم أن سيادتكم فى الخارج، وطلب منى العنوان ليكتب لسيادتكم ، ولكن أنكرته منه لماذا لا أدرى.

رابعا: كما سبق وقلت لمعاليكم أنا أكتب الآن قصة طويلة وقد اوشكت على نهايتها. وأقول من الآن مقدما أنها سوف لا تكون عند حسن ظن سيادتكم لسبب بسيط وهى أن كل صفحة كنت أكتبها أتمثل شخصكم الكريم وكانى فى حضرتكم الكريمة. فأخاف وأضطرب وأرجع إلى ما كتبت أزيد وأنقص وأنقص وأزيد، وإلى الآن مازلت أزيد وأنقص وأزيد.

خامسا: أعرف جيدا أننى أطلت جدا وأننى لا استحق الشتم فقط ولكنى أستحق الضرب، وأنا أعترف بذلك واعتذر عنه.

مرة أخرى أقبل أياديكم الكريمة وأرجو للجميع ولسيادتكم الصحة والهناء والسعادة. والتفضل بالكتابة إلىّ لأظفر أنا الآخر بشئ من هذه السعادة .

ابنكم البار

أمين يوسف غراب

من العقاد لطه :

أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن الشجاعة!

يصف طه حسين العقاد بأنه "كان لى صديقا حميما وأخا كريما"[1]. ويقول "إن أثر العقاد فى الأدب الحديث ضخم جدا لا يمارى فى ذلك أحد"[2].

وقد كان بين الأديبين الكبيرين علاقة أدبية ، وعلاقة إنسانية أيضا على عكس ما قد يبدو للناس مما يستنتجونه أحيانا من عنف المعارك الأدبية بينهما ، مما دعا طه حسين إلى أن يقول "قد يظن بعض الناس أنه كانت بينى وبين العقاد قطيعة ، وهذا غير صحيح ، فلا أعرف أن خلافا كان بينى وبين العقاد، وإنما كان العقاد لى صديقاً حميما وأخا كريماً[3]. والرسائل المتبادلة بين الصديقين هى أكبر شاهد وأعظم دليل.

والرسالة التى أرسلها العقاد ١٩٢٥ إلى طه حسين يناقشه فيها رأى كلاهما فى "أدب المعرى" وحظ هذا الأدب من الخيال، ويبدو أن أبو العلاء ، سيكون موضع مناقشة فيما بينهما، فيما بعد حين يجمعهما مجمع اللغة العربية ، حيث حدث (يقول طه حسين): "مرة والمجمع يستعد لمؤتمره السنوى اقترح الدكتور منصور فهمى أن أعد محاضرة عن أبى العلاء للمؤتمر ، وقد قال فى مجلس المجمع وهو يقدم اقتراحه : إن الدكتور طه أعرف الناس بأبى العلاء، وما كاد الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اندفع قائلا: بأنه يعرف عن أبى العلاء ما لا يعرفه طه حسين وغيره، وهو أقدر الناس على الحديث فى هذا الموضوع. ويقول الدكتور طه : حاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبديت له رغبتى فى عدم الحديث فى هذا الموضوع"[4].

وفى العشرينات كتب كلاهما مقالا عن أبو العلاء وإن تجاهل طه حسين ما كتبه العقاد، فرد عليه رداً ساخرا فى نهاية خطابه الذى اتفق فيه مع الكثير مما نشره طه فى مقاله وأشار اهتمامه فكتب له هذا الخطاب:

---

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره – د. محمد الدسوقى.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

السخرية العالية

حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين

أشكرلك ثناءك واهتمامك وأبادلك التحية مدحا وقدحاً بالصاع صاعين وبالباع باعين! وأعجب بشجاعتك في تقريظ كتابي ونقده في صحيفة "السياسة" وإن كنت أسأل نفسي : هل هي شجاعة حقا!!

فإن الشجاعة هي معالجة المكروه والإقدام على المحذور ، ولا أظنك إلا ملتذا بما في شجاعتك الأدبية من إيذاء عقائد الناس وإحراج صدورهم ، ولو كانوا من أنصارك وأصحابك ! فهي شجاعة حبيبة إلى نفسك تقدم بك على ما تهوى لا على ما تكره ، وتجنح بك إلى ما ينيلك لذة وسرورا لا إلى ما يكلفك جهداً وصبراً، وكأنك تحتاج أحيانا إلى شجاعة للكف عن هذه الشجاعة.. ولا أزيد على ذلك فنخوض في غموض الفلسفة التي قلت إنك لا تسيغها (وربما ذلك لأنك تقرأها قراءة متفرج لا قراءة من يهتم بموضوعاتها ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها).

أما كلامك عن الخيال في "رسالة الغفران" ، فأنا أوافقك أولا على تعريف الخيال وأرى معك أنه ملكة "تستمد الصور والنتائج من الأشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفا غريبا يبهر النفس ويفتنها" وعلى هذا التعريف لا أرى للمعري في رسالة الغفران حظا من ذلك التأليف الغريب الذي يبهر النفس ويفتنها، أكبر من حظ الراوية الذي يسرد الأخبار المسموعة ، والقاص الذي يعيد النوادر المحفوظة.

وقد سألت "ماذا يلذنا في رسالة الغفران؟" فأقول: إنما أكبر ما يلذنا في هذه القصة معدنها لا صورها الفنية . وأزيد ذلك إيضاحا فأقول: إن قطعة الذهب مثلا لها قيمتها التجارية، ولكن قطعة الذهب المصوغة في شكل تمثال جميل أنيق لها هذه القيمة التجارية ، وقيمة أخرى هي القيمة الفنية الجمالية ! فهذه القيمة الفنية قليلة رخيصة في رسالة الغفران لا تضيف شيئا كثيرا إلى ما فيها من متعة القصص والفكاهة والصور التي تبادر الذهن عفوا عند ذكر الجنة والنار وما فيهما من أسباب النعيم والعذاب.

فإذا كان في الرسالة متعة فوق متعة القصص والفكاهة المنقولة ، فالفضل فيها للسخر السخي الذي تفيض به الرسالة لا للخيال الضعيف الذي يظهر فيها حينا بعد حين، كما

يظهر الوشل المنقطع بين الرمال. ولا أدرى كيف يخطر لك أن تقرن قصيدة دانتي إلى رسالة المعرى، وبينهما فرق بعيد يكاد يكون كالفرق بين الشعر والتاريخ حيث يتساولان الموضوع الواحد؟ وأحسب رأيك هذا فى خيال المعرى جديداً لم تكن تراه حين كتبت "ذكرى أبى العلاء" فإنى أذكر أنك جردته – إلا قليلا – من الخيال فى شعره . ولو كانت "الرسالة" بين يدى الساعة لنقلت لك كلامك فى هذا الصدد ، ولكنك فى غنى عن نقله . فإن لم تخنى الذاكرة فأنت تقول معى : إن الخيال لم يكن من الملكات التى امتاز بها المعرى وإلا لما تركه فى الشعر وهو أحجى بأن تتبع فيه منادح التخيل والتصوير والشعور.

وقد وددت لو ذهبت فى تحليل السخرية العلائية إلى أقصى ما تنتهى إليه حرية البحث، لأن أبا العلاء لم يكن يسخر من لذات الناس وشهواتهم وإنما كان يسخر بهذه وبعقائدهم وأديانهم كذلك، وأخالنى قد فعلت ما وددته – وإن لم أتوسع فى هذا البحث – فقلت إن المعرى "كان يبتسم من آمال الناس فى الدنيا والآخرة ثم يعود فيبتسم من ابتسامه، ويعبث بالكافرين ويعرض بهم فى ظاهر القول وهو بالمؤمنين أشد عبثا وأبلغ تعريضا" ولم أبعد فى هذا المنزع لأننى أرى بعض الخماقات كبعض الدماميات أقل من أن يُضحك منها أو تنال بأذى السخرية.

وبعد فلست أعتقد أنك من ضعف الذاكرة بحيث أردت أن تظهر لنا فى مقالك . فأنت تزعم أنك لم تقرأ "البلاغ" وقد رددتَ عليه مراراً فكيف اتفق هذا؟ أفعلك ترد على ما لم تقرأ أو لعلك قد نسيت بإرادتك ؟ وقد ينسى الإنسان بإرادته فى بعض الأحايين!

وأقول لك أخيراً "حسبك فقد عرفت صوت نفسك" وإنه لصوت يُسمع على ما فيه من النشوز. وتقبل منى التحية والسلام .

عباس محمود العقاد

٢١ يناير ١٩٢٥

الإسرائيلى المعجل

وفى خطاب آخر دال على تبادل الصديقين للرسائل والكتب فيما بينهما كهدايا، يتفلسف العقاد بأن كتابه القادم عن "ابن الرومى" لن يهديه لطه بل سيعطيه له قرضا ، وهى مداعبة تدلنا على الوجه الآخر السمح الطلق للعقاد غير وجهه الذى عرف واشتهر به.

يقول فى رسالته لطه:

سيدى الدكتور الأجل

تلقيت رسالتك وشكرت تهنئتك وإن قدرى هذه التهنئة لكبير واغتباطى بما حوته من دلائل العطف النبيل لعميق. وقد تفضلت فذكرت كتبى الأدبية فيسرنى أن يوافق ذلك قرب الفراغ من كتاب "ابن الرومى" الذى شرعت في طبعه قبل سنة وأرجو أن يتم طبعه بعد أسبوعين . وسأرسله إليك ولكن لا هدية.. بل قرضا أسمح لنفسى أن أصفه بالإسرائيلى المعجل.. لأننى أنتظر سداده من آثارك الأدبية في وقت قريب. والتحيات لك والإجلال.

المخلص

عباس محمود العقاد

٨ أغسطس ١٩٣١

مطلوب عمل

ومما يدل على عمق الصداقة بين الرجلين أن كبرياء العقاد لم تمنعه من أن يتوسط لدى طه حسين ليعمل معه أحد الأدباء في جريدة "الوادى" التى اشترى طه حسين امتيازها ليديرها ويرأس تحريرها في الفترة التى طرده فيها إسماعيل صدقى رئيس الوزراء من الجامعة وأمعن في إيذائه والتضييق عليه، فعمل في جريدة "كوكب الشرق" أولا بطلب من النحاس باشا لمساعدته في الخروج من أزمته كما ذكرنا سابقا . يقول العقاد:

تحريرا في ٢٢ مايو ١٩٣٤.

حضرة الأستاذ العالم الجليل

أهنئكم بما صحت عليه عزيمتكم في إصدار "الوادى" وأرجو له النجاح الذى يحقق رجاءنا ورجاءكم .

وبعد فلا أحسبنى أزيدكم علما بالأديب مصطفى كامل الشناوى بعد ما خبرتموه في رئاسة تصحيح الكوكب وفي تحريره ولكنى اكتفى بأن أذكركم به وأود لو يكون له نصيب في العمل معكم إذا كان مجاله خاليا في الوادى، ولكم الشكر والتحية والاحترام.

المخلص

عباس محمود العقاد

مع طه في محنته

وقد كانَ العقاد نفسه أشد الذين وقفوا بجانب طه حسين في محنته التي كانت تمثل اعتداء على الجامعة واستقلالها حين طلبت حكومة صدقي باشا من طه حسين أن تمنح كلية الآداب التي هو عميدها ، الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين ، فلما رفض ، قام وزير المعارف آنذاك – حلمي عيسى باشا – بإقالة طه حسين ، فاستقال مدير الجامعة أحمد لطفي السيد احتجاجا وتظاهر الطلبة من أجل عميدهم ، وكتب العقاد منددا بهذا التصرف قائلاً: حتى مع الفرض بأن "الدكتور طه حسين مخطئ كل الخطأ في الأسباب التي عزيت إليه فإن ذلك لا يغير وصف المسألة ولا يفهمنا ما هي الضرورة التي أرغمت الوزارة إرغاما على أن تسلك هذا المسلك دون غيره، وأن تتعجل هذا التعجل ، وتتظاهر هذا التظاهر وتعالج المسألة هذا العلاج العسكري المبرم كأنها في ميدان قتال تخشى فيه زحف عدو مغير أو تتصرف وهي مقدمة على خط النار!!".

ولا يرى العقاد حلا "للإشكال الذي وقعت فيه هذه الوزارة – بسوء رأيها – إلا أن يستقيل وزير المعارف وتعود الأمور إلى نصابها، فإن استقالته هي التكفير الوحيد لخطئه السخيف".

وفي خطاب من العقاد يعتذر فيه لطه حسين عن إلقاء محاضرات فيما يبدو أنه قد طلب منه إلقاءها، ويزيد الأمر غموضا أن طه حسين كان آنذاك خارج الجامعة، حيث كان يمكن القبول بأن طه قد دعا العقاد لإلقاء سلسلة من المحاضرات في الجامعة على طلبة كلية الآداب، ولما كان ذلك غير ممكن في هذه الفترة التي أخرج فيها طه من الجامعة فإن الأمر يبدو أكثر غرابة. ولنقرأ سطور خطاب العقاد إلى طه حسين:

أخي العلامة الفاضل

تحية وإجلالا. وبعد فإني أعاني ضعفا في الصحة أعالجه ولا أتغلب عليه. ويكاد يلجئني إلى الراحة الطويلة لولا أن للعمل فريضة لا تنسى ، وأراني مضطرا إلى الاكتفاء بأيسر العمل الذي لا محيص عنه. فأرجو أن تقبلوا عذري إذا أنا لم أجد بداً من التخلف عن إلقاء المحاضرات التي تفضلتم فحدثتموني في شأنها. وإني أعتذر أسفا وأرجو قبول التحية والاحترام.

عباس محمود العقاد

٢٥ أكتوبر ١٩٣٢

خدموا العلم فتخلفوا

ويطلب العقاد من طه حسين في رسالة أخرى أن يعمل لإنصاف بعض الأدباء الشبان الذين "خدموا العلم فتخلفوا ، كما يقول العقاد مقارنا بينهم وبين زملائهم الذين عملوا في مجالات أخرى فسبقوهم، مما يثير قضية غياب قيمة العلم في بلادنا منذ فترة طويلة ، أما لماذا اتجه العقاد إلى طه لإنصاف هؤلاء الشبان ، فلأن طه حسين قد صار مراقبا للثقافة في وزارة المعارف مما يتيح له أن ينصف هؤلاء الشبان، يقول العقاد :

حضرة الأخ العلامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء والإجلال

وأتجه إلى إنصافكم في أمر لا أعلم منه فوق ما تعلمون، وهو أمر الشبان الأدباء الذين يقومون على ترجمة وزارة المعارف الإسلامية ، وقد سلخوا الآن في عملهم هذا عشر سنين لو سلخوا بعضها في طلب نصر علمي لأدركوه وأدركوا معه منفعته وفخره ، أو في طلب مال لحصلوا منه ما يغني ، ولكنهم خدموا العلم فتخلفوا ، وفاتهم باسم العلم زملاء لهم لم يخدموه مثل خدمتهم، ومن حقهم أن يطمعوا في رعايتكم ويشقوا في معونتكم، ولهم اليوم كما فهمت مسألة معروضة عليكم، فيها ما يعوضهم ويرجى منه تحسين أحوالهم. فلا أزيد على الإشارة إليها وفيها عندكم الكفاية، ولكم تحياتي وشكري والسلام.

المخلص

عباس محمود العقاد

٩ سبتمبر ١٩٤٢

عظيم من جميع الجوانب

ولما كان العقاد وطه يتبادلان إهداء كتبهما فمن المهم أن نتعرف على آرائهما فيما يكتب الآخر، وهذه رسالة من طه حسين إلى العقاد يحييه فيها على كتابه "عبقرية محمد" ويشكره على احتفائه بكتابه "الحب الضائع" لطه حسين، في مجلة الرسالة.

يقول طه حسين:

فرغت الساعة من قراءة كتابك الممتع "عبقرية محمد"، ولست أكتب إليك الآن لأصور لك رأيي في هذا الكتاب أو إعجابي به، فما أنت في حاجة إلى هذا الرأي وما أنت في حاجة إلى هذا الإعجاب، وما ينبغي أن يصور لك أنت هذا أو ذاك ، إنما ينبغي أن يصور للناس الذين يقرأون والذين لا يقرأون.

وأنا أرجو أن تتيح لي الظروف قريبا أداء هذا الحق لا إليك ولكن إلى الكتاب نفسه فهو يقتضيني هذا الحق، وإلى القراء فهم يقتضونني إياه أيضا، لم أكتب إليك إذن لأحدثك عن هذا الكتاب، وإنما أكتب إليك مهديا أجل الشكر وأصدقه ، وأخلص التحية وأطيبها بعد أن قرأت فضلك الكريم الذي تفضلت به علي "الحب الضائع" في "الرسالة"، وهو فضل منك جديد يضاف إلى فضل منك قديم (لعله يشير إلى وقوفه بجانبه في محنته) مهما أقل فلن أؤدي حقه من الشكر والاعتراف بالجميل، ولكني أرى فيك ما كان "المبرد" يراه في "البحتري" إن صدقتني الذاكرة حين قال له:

أبى الله إلا أن تكون عظيما من جميع جوانبك

فتقبل شكري الخالص وتحيتي الصادقة وأعذر ما اضطر إليه من قصور أو تقصير عن النهوض بحق هذا الشكر كما ينبغي".

لماذا تراجع طه؟

ولا ندري بعد هذا الإعجاب بـ "عبقرية محمد" وصاحبها ، ما الذي دعا طه حسين في ندوة "تليفزيونية" بعد وفاة العقاد، أن يعترف بأنه لم يفهم بعض العبقريات ومنها "عبقرية محمد" التي أبدى استمتاعه بها في رسالة للعقاد. والذي بايعه في حياته بإمارة الشعر حين ألقى خطابه بمسرح الأزبكية ١٩٤٥، حين قال "ضعوا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء: أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه"، ثم عاد طه حسين ليسحب مبايعته للعقاد بعد رحيله حين قال :"أحب أن أؤكد أنني لم أبايع العقاد إمارة الشعر، وما كان لي أن أبايعه لأنني لم أكن شاعرا"!

فهل كان طه يصرح بغير ما يضمر، أم هي تقلبات النفوس البشرية يستوي في ذلك العاديون من البشر، والعباقرة، أم أن طه كان يتقي قلم العقاد الحاد ويصانعه ، على أية حال فقد كان العقاد

صادقا فى مشاعره نحو طه حسين ، وبدا ذلك فى أكثر من أزمة صحية المت بطه حسين، فنجده يسارع بإرسال تلغرافاته الجميلة الحانية على صديقه، ولنقرأ بعض هذه التلغرافات:

• الدكتور طه حسين .. مستشفى الطيران – العباسية.

فى رعاية الله الكريم وعناية الطب القدير، قوام يعتدل به قسوام الأدب والبيان. ويهنأ بسلامه عالم الفكر السليم والفهم القويم.

عباس العقاد

• تحية الغبطة والتهنئة بالشفاء عاكف على المنزل – أياما – بين يدى وافدة الشفاء، ولولا اتقاء الإرهاق من المقابلة لسبقت كتابى وبطاقتى إلى الدار منذ حين.

العقاد ١٩٦٢/١١/٢٧

• الدكتور طه حسين .. شارع الهرم – الجيزة غاشية بعدها شافية واقية بنعمة وعافية.

عباس العقاد

• الدكتور طه حسين.. شارع الهرم نسأل عن صحتكم ونرجو أن يكون بقاؤكم فى ميادين عملكم جواب السؤال عنكم.

عباس العقاد

طه يقنع عبد الوهاب بالغناء في أزمته!

بداية تعرف عبد الوهاب على طه حسين كانت عن طريق احمد شوقي أستاذه في الفن والحياة والذى كان يقوم بتعريفه بنجوم الأدب والفن والسياسة، وكان طه حسين ممن عرفهم شوقي ، لعبد الوهاب، حينما كان يزوره أثناء رئاسته لتحرير جريدة "كوكب الشرق" ، وقد أحس عبد الوهاب بموسيقية بيان طه حسين التي تهم فنانا مثله[1]، ولا ينسى عبد الوهاب كيف حضر طه حسين لتسجيل أول قصيدة ملحنة له وهي "الجندول" ، يقول عبد الوهاب "ويومها اعتبر تلحين قصيدة الجندول علامة جديدة من علامات الفن العربي وانطلاقه"[2] ولا ينسى عبد الوهاب كذلك واقعة تدل على قوة إقناع طه حسين للآخرين في أحلك حالاتهم شدة وقسوة.

ولم يكن أصعب من فراق الأحباء، شدة وقسوة، ومع ذلك كان طه حسين يرى في مثل هذه الأمور دعوة للصبر والاحتمال واستلهام القوة على منازلة الشدائد ، وليس أدل على ذلك من اقناعه للموسيقار محمد عبد الوهاب في حضور أمير الشعراء أحمد شوقي، (وكانوا يصطافون في لبنان ١٩٢٧) بان يغني يوم إبلاغه بوفاة والده، بعد أن كان عبد الوهاب قد قام بتأجيل الحفل الذى كان من المفترض أن يقوم بإحيائه في نفس اليوم، فعاد عبد الوهاب ليلغي التأجيل ويغني بناء على نصيحة طه حسين: غني كما تحس حزنا أو فرحا.

وليلتها شعر عبد الوهاب أنه كان في أحسن حالاته من ناحية قدرته على الإجادة في الغناء.

ولم يكن مستغربا بعد ذلك ألا يتأخر عبد الوهاب عن طه حسين في إجابة أي مطلب له ، فهو القادر على إقناعه حتى بما لم يكن مقتنعا به، ونلحظ أثر ذلك في خطاب غامض المضمون كتبه عبد الوهاب إلى طه حسين على إثر حفل غنائي كان المفترض أن يحييه عبد الوهاب في الزقازيق بناء على طلب من أحد أساتذة الجامعة ، ولا نعرف لأى غرض، ولكن يبدو أن ذلك الأستاذ قد طلب إحياء هذا الحفل بناء على التدخل لدى د. طه حسين وهو أحد أساتذة الجامعة لإقناع عبد الوهاب، وفيما يبدو فقد تأجل الحفل، الذى يبدى موسيقار الأجيال أسفه لعدم إتمامه، بل ويسميه "الحفلة النادرة"!

يقول عبد الوهاب في خطابه الغامض إلى طه حسين بدون تاريخ.

---

(١) قاهر الظلام.. لكمال الملاخ.

(٢) السابق.

سيدى الأستاذ

تحية واحتراما وبعد

توجهت إلى الجامعة لغرض لقائك ولكنى آسف لعدم وجودكم، وقد وصلنى أمس خطاب من الدكتور برادة الذى اتفقت معه على إحياء حفلة مساء الأحد بالزقازيق ، وما كنت أدرى أن أحدا تكلم معه بشأن تأجيل تلك الحفلة إلا أمس من شخص يتكلم معى بالتليفون ، وإنى أرسل إليكم خطابى هذا لتعلموا مبلغ إحراج مركزى مع تقديم أسفى على حرمانى شخصيا من تلك الحفلة النادرة.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتى

عبد الوهاب

الشعراوى وطه حسين فى الأراضى المقدسة(*)

الصراحة التى تحدثت بها سوزان زوجة طه حسين فى كتابها "معك"، والتى جعلتها تروى قصة مفاتحة طه حسين لها بالحب، وتذكر أنها ردت عليه "بفظاظة": أنها لا تحبه ، تجعلنا نصدقها حين تتحدث عن السلوك الإسلامى لطه حسين فى بيتهما. تقول مخاطبة طه حسين بعد رحيله "أفكر فى هذا التوافق الخفى الذى وحدنا دوما فى احترام كل منا لدين الآخر . لقد دهش البعض من ذلك ، فى حين فهم البعض الآخر، إذ رأى أن بوسعى أن أردد صلاتى على حين تستمع إلى القرآن فى الغرفة المجاورة. ويصدقنى اليوم أن أفتح المذياع لأستمع إلى القرآن عندما أبدأ تسبيحى، بل إنى لأسمعه على كل حال فى أعماق نفسى . كنت غالبا ما تحدثنى عن القرآن، وتردد لى البسملة التى كنت تحبها بوجه خاص. وكنت تقرأ التوراة ، وكنت أتحدث عن يسوع. كنت تردد فى كثير من الأحيان أننا لا نكذب على الله، وويل للمكذبين".

هكذا كان يحترم كلاهما "طه وسوزان" دين الآخر فى تسامح هو من روح الإسلام الحنيف.

وتقول سوزان "ففى كثير من المرات التى كنا نتحدث فيها، كان يستشهد ببيت من الشعر، أو بمثل أو بآية من القرآن الذى كان يحب أن يقرأه، وأن يترجمه لى.

أما أبناء طه حسين، أمينة ، ومؤنس، أو "كلود"، و"مرجريت" فالذين يحسنون الظن يرون أنها أسماء تدليل لهما من أسمهما، والذين يسيئون الظن يحملون المسائل أكثر مما تحتمل ، ولكننا نريد أن نصل إلى الجوهر فى السلوك العام والخاص بأبناء طه حسين فهو أكثر دلالة وإقناعا من أى حديث أو تبرير.

يتحدث طه حسين عن وداع إبنته أمينة فى إحدى مرات سفرها مع زوجها، فيقول "فلما همت أن تنصرف ألقت فى يدى شيئا صغيرا وتولت وهى تقول : "اجعل هذا وقاء لك من شر من تحصن إليه. ونظرت فإذا هو مصحف دقيق. لك العهد يا إبنتى: لا يفارقنى مصحفك الدقيق حيا أو ميتا".

أما مؤنس فقد كان "يجاهد فى اليونسكو لنقل آثار العرب وعلماء المسلمين إلى لغات الغرب" وكان موضوع رسالته للدكتوراه عن "تأثير الآداب الإسلامية فى الأدب الفرنسى". ونعود إلى "سوزان" التى تحدثنا عن أثر حدث خطير فى حياة زوجها طه حسين فتقول "وما كان يواسيه شئ لو لم يتمكن من رؤية المدينة المنورة. وأعرف كم كان منفعلا عندما يقول لى : حقا إن

(*) مجلة الشموع – العدد ١٥ – أكتوبر . نوفمبر . ديسمبر ١٩٨٩.

الإسلام دين الصفاء والتسامح".

لقد كان طه يهفو إلى زيارة الأراضي المقدسة وكانت الأراضي المقدسة تهفو إليه. كانت تهفو إليه حين تصدى أحدأبنائها مدافعا عن طه حسين وهو محمود الفضل في وطنه، وكانت تهفو إليه وأحد أبنائها يدعوه لزيارتها.

بين أوراق طه حسين قصاصات ورق صحف بلا تحديد للسنة ، وكتب بجانبها "البلاغ" ٥/١٩، نقرأ فيها دفاعا حارا عن طه حسين ضد إحدى الصحف التي تقولت عليه في نزاهته بعد أن ترك وزارة المعارف، وهي صحيفة "الأساس"، يقول أحمد عبد الغفور عطار من مكة المكرمة:

"لشد ما يؤلمنا نحن أبناء الأقطار العربية الشقيقة أن نرى في مصر ظاهرة تحمل المخلصين لها على أن يألموا ويشفقوا . وهذه الظاهرة هي رمي البارزين فيها بما هم براء منه مما لا يتفق مع الكرامة الإنسانية ولا الشهرة الصحيحة التي استحقوها عن كفاية واقتدار" طه حسين الذي يدخل الوزارة فقيرا ثم يغادرها وهو فقير أيضا ، بل مدين.

طه حسين الذي لو أراد أن يأخذ تلقاء قطرة من قلمه يسكبها على الورق آلافا من الجنيهات لكان له ذلك. طه حسين الذي يستطيع بكلمة واحدة أن يملأ الخزائن بالمال، يزهد وهو قادر، ويعيش وهو فقير مرفوع الرأس موفور الكرامة.

هذا الرجل العظيم الكبير الذي فرض زعامة مصر على الشرق العربي والإسلامي بفنه وأدبه وعلمه وكتبه".

"هذا الرجل الذي حمل الناس في الشرق والغرب أن يحدقوا في مصر طويلا ، وحملهم على الهتاف باسمها والتصفيق لها وتأييدها . هذا الرجل الذي دان مصر دينا ثقيلا لا يقضى، يثار أمامه غبار من بعض عارفي فضله، وممن لطه عليهم فضل أي فضل".

"وإذا أردنا أن نعرف فضل طه على مصر والشرق العربي وما صنع لهما فلنفرض أنه لم يوجد، ثم لننظر ماذا يكون حالهما، أعتقد – والحق معي – أنه لو لم يكن طه لتأخرت مصر والشرق العربي في الثقافة – على الأقل – تأخرا كثيرا".

"هذا مما نأخذه على بعض إخواننا المصريين الذين يتنكرون لمن كانوا سبب مجد مصر وزعامتها، وهؤلاء – كما أظن – يجهلون أن في تنكرهم هذا حرمانا لأنفسهم من الفخار الذي لا يشترى بكل أموال مصر".

لقد احتفظ طه حسين بهذه الكلمات التي خطها شاب عربي من مكة المكرمة يعترف لطه حسين بأنه "هو الذي دفع شباب العرب إلى أن يفكروا تفكيرا حرا مستقلا".

يحتفظ طه حسين بتلك الرسالة المنشورة ، كما يحتفظ برسالة أخرى سبقتها بحوالى عشر سنوات (٢٠ يناير ١٩٤٢) وكاتبها أيضا شاب عربى هو محمد سرور الصبان الذى حرص على أن يسجلها من "مكة المكرمة إلى مصر المحروسة" ، قائلا لطه حسين:

"يسرنى أن أقدم لكم تحايا شباب العرب فى هذه البلاد المقدسة الكريمة التى تقدر أدبكم القيم الرائع حق قدره والتى تعرفكم معرفة الروح" "وهذه البلاد التى تحفل بآثار سيد الخلق ورسول الإسلام والتى ألهمت الأستاذ سفره النفيس (على هامش السيرة) من حقها أن ترى الأستاذ الكبير ، ومن حقه أن يفد إليها حاجا وزائرا ومستلهما للتاريخ ومستوحيا للديار والآثار".

ولقد كان أهل "هذه البلاد المقدسة الكريمة" مشوقين إلى طه، وكان طه مشوقا إلى بلادهم، وقد جاءته الفرصة حينما صار رئيسا للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بل إنه لم يكن ليقبل اختياره لهذا المنصب لولا أنه علم أن دورة هذه اللجنة ستنعقد فى المملكة العربية السعودية، وقد عبر عن ذلك فى حفل افتتاح دورة اللجنة الثقافية التاسعة التى عقدت فى "جدة" فقال[1]

"حين شرفنى مجلس الجامعة العربية باختيارى مشاركاً فى اللجنة الثقافية للجامعة ، ترددت فى قبول هذا الشرف لأن فيه أعباء لا ينهض بها إلا أولو العزم، ولكن لم أكد أسمع أن الدورة ستنعقد فى هذا الوطن العزيز حتى أقبلت غير مترد ، يدفعنى هذا الشوق الطبيعى الذى تمتلئ به قلوب جميع المسلمين مهما تكن أوطانهم، فهذا الوطن وطن العروبة والإسلام".

ويعبر عن مشاعره الأولى حين حل بهذا الوطن المقدس ، فيقول[2]

"أول ما شعرت به ومازلت أشعر به إلى الآن هو الذى يجده الغريب حين يؤوب بعد غيبة طويلة جدا إلى موطن عقله وقلبه وروحه بمعنى عام".

وحينما تهيأ طه حسين للقيام "بالعمرة" عُهد إلى الشيخ عبد الله المنيعى مدير إدارة الثقافة بوزارة المعارف السعودية (التى كان وزيرها الأمير فهد بن عبد العزيز الملك فيما بعد) ليرافقه فى رحلته الروحية ، وقد قام طه حسين بالتنبيه على مرافقه[3] "وهما يغادران مدينة جدة قاصدين البيت الحرام فى مكة المكرمة أن يوقف الركب عند الحديبية ، فلما توقفوا عندها ترجل الرجل وقبض

---

(١) جريدة "البلاد السعودية" ١٦ يناير ١٩٥٥.

(٢) اول فبراير ١٩٥٥ المصدر السابق.

(٣) احمد فتحى عامر – أهرام ١٩٩٥/٤/١٤.

من تراب "الحديبية" قبضة فشمها ثم تمتم ودموعه تنساب على التراب قائلا: والله إني لأشم رائحة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا التراب الطاهر"، وهدأ (مرافقه) من روع الدكتور على مدى نصف الساعة من الراحة، ثم استمر الركب حتى دخل الحرم من باب السلام، والدكتور لا يكاد يخفي زلزلة إيمانه عن رفيقه ، وتوجها إلى الكعبة فتسلم الحجر وقبله باكيا، واستمر يطوف ويسعى في خشوع ضارع، وبكاء خفي حتى أتم عمرته، وقد أخذ منه الإرهاق النفسي أكثر من البدني كل مأخذ".

وقد تحدث عن تلك اللحظات الروحية الرائعة في حياة طه حسين، صديقه الشيخ أمين الخولي الذي كان رئيسا للوفد المصري في اللجنة الثقافية التي رأسها طه حسين ، وكان صاحبه في رحلة العمرة ، فحين[1] "استلم طه حسين الحجر الأسود ظل يتنهد ويبكي ويقبل الحجر حتى وقفت مواكب الحجيج (يقصد المعتمرين) انتظارا لأن يغادر هذا الأديب الكبير المكفوف مكانه، ولكنه أطال البكاء والتنهيد والتقبيل ، ونسي نفسه فتركوه في مكانه، وأجهشوا معه في البكاء والتنهيد".

مسيحية تبكي بين يدي طه

ولعل خير من يعبر عن تلك اللحظات الروحية طه حسين نفسه حين أفضى بها للشاعر كامل الشناوي فقال[2] :

"لقد سبق أن عشت بفكري ، وقلبي في هذه الأماكن المقدسة زهاء عشرين عاما، منذ بدأت أكتب "على هامش السيرة" حتى الآن، ولما زرت مكة والمدينة، أحسست أني أعيش بفكري وقلبي ، وجسدي جميعا. عشت بعقلي الباطن وعقلي الواعي، استعدت كل ذكرياتي القديمة. ومنها ما هو من صميم التاريخ، ومنها ما هو من صميم العقيدة. وكانت الذكريات تختلط بواقعي، فتبدو حقائق حينا ، ورموزا حينا، وكان الشعور بها يغمرني، ويملأ جوانب نفسي" "كنت دائما في كامل وعيي. أخذتني الرهبة والخشية والخشوع كل مأخذ عندما كنت وحدي". ويضيف واصفا رحلته الوحيدة إلى الأماكن المقدسة "وكنت في هذه المرة الواحدة مع الناس ومع نفسي في وقت واحد".

---

(١) عبد المنعم شميس – مجلة الجديد ١٥ يونيو ١٩٧٧.

(٢) آخر ساعة بأوراق طه دون تاريخ.

"ولقد جرت العادة عندما يصل المرء إلى الكعبة، أو المسجد الحرام أن يتسلمه طائفة من الناس يسمون في مكة "بالمطوفين" أى الذين يقومون بإجراءات الطواف بالكعبة ، ويسمون في المدينة "بالمزورين" أى الذين يقومون بإجراءات الزيارة لقبر الرسول عليه السلام. وقد حاولت جهدى أن أتخلص من المطوفين والمزورين. ولكن محاولاتى ذهبت هباء ووجدتنى بين أيديهم أردد بلاوعى ما يقولونه. ووجدتنى فى الوقت نفسه وحدى وإن كنت فى صحبتهم.. كنت شخصية واعية بلا كلام.. وشخصية متكلمة بلاوعى..

كانت الشخصية المتكلمة بلاوعى تردد كلام المطوفين والمزورين.. وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجى ربها فى صدق وصمت وخشوع".

"قلت له سبحانه:

"اللهم لك الحمد . أنت نور السموات والأرض. ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض. ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن . أنت الحق، ووعدك الحق، والجنة حق. والنار حق. والنبيون حق. والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت . وبك خاصمت، وإليك حاكمت . فاغفرلى ما قدمت وأخرت ، وما أسررت وما أعلنت . أنت إلهى، لا إله إلا أنت" وهذا الدعاء "أحفظه منذ زمن بعيد، وهو من أصح ما روى من الحديث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم" و"دائما أناجى ربى بهذا الدعاء".

وعندما سأله كامل الشناوى هل خاطبت به ربك علنا؟

فقال: أنا إذا ما خاطبت ربى ناجيته ، وقد سبق أن أذعت هذا الدعاء "عام ١٩٥١" فى فلورنسا "باللغة الفرنسية فى مؤتمر الحضارة المسيحية.. ولم أكد انتهى من إلقاء هذا الدعاء، حتى دوت قاعة المؤتمر بتصفيق شديد. وجاءتنى سيدة مسيحية، وقالت لى وهى تبكى: خذ دموعى وإعجابى وبلغها للإسلام الذى أحبه كثيرا. فقلت لها: لا داعى للدموع.. إعجابك يكفى".

بين طه والشعراوى

وقد كان الشيخ الشعراوى حاضرا هناك فى الأراضى المقدسة ، فى استقبال طه حسين ، فقد كان محمد متولى الشعراوى يعمل بمكة المكرمة أستاذا فى كلية الشريعة ضمن البعثة التعليمية المصرية هناك، وأناط به زملاؤه وأصدقاؤه من أعضاء البعثة أن يتقدمهم لتكريم طه حسين ، وقد

طلبتُ من المرحوم الشيخ الشعراوى قبل أن يحدثنى عن ذكرياته مع طه حسين فى الأراضى المقدسة . أن يعود بذاكرته حينما سمع باسم طه حسين لأول مرة ، فقال[1] "سمعت عنه وأنا طالب صغير لأنه كان متلما يقولون "عميد الأدب العربى" ، وكنا مولعين بتتبع الأدباء، نقرأ لهم، لعلنا نستطيع تكوين ثروة لغوية لأنفسنا، وأسوة لغوية فى الأسلوب، فكان طه حسين من هذا النوع لتميزه بالعرض الفاهم وسلاسة الأداء، فلم يكن يأتى بالمعانى المعقدة ليدخلها فى آذان الناس، لكنه كان يترك المعانى حتى تختمر لديه ثم تخرج للناس يسيرة سهلة بشكل طبيعى، بعكس كتاب آخرين كانوا يتعجلون ظهور أفكارهم إلى الناس قبل أن تنضج فى عقولهم وفى نفوسهم فيأتى عرضها بشكل ليس بسيطا ولا سهلاً، فكنا مثلا نقرأ للعقاد الذى كان مشتركا فى المكتبات العالمية التى توافيه بأحدث كتبها قبل أن تصل إلى الناس، فتتكون لديه أفكار جديدة لا ينتظر حتى يهضمها، فيذيعها على الناس فيكون فيها شئ من عسر الفهم.

أيضا عاصرنا صادق الرافعى وكان أسلوبه جامدا ولكنه جزل سهل، أما طه حسين فكان سلس الأسلوب كالمنفلوطى ، فاستهوانا أسلوبه.

وعندما كبرنا بعض الشئ، وشغلنا إلى جانب أسلوب طه بمواقفه من الأزهر وبعض قضايا الإسلام، ظهر عندنا بالنسبة له وجدانين اثنين، وجدان إعجاب بلغته وأسلوبه، ووجدان آخر تكون لدينا بسبب كتابه فى الشعر الجاهلى، ولما كبرنا أكثر وجدنا طه حسين علما من أعلام الوفد، وبلدنا كلها وفدية، فاجتمع مع حبنا لأسلوبه ، حبنا لوفديته، فصار له فى نفوسنا مزيج "ملخبط" لذلك عندما قدمنى المصريون للاحتفال بطه حسين فى مكة، أردت تحيته بقصيدة ، ودعوت الله أن يعيننى على أن أوفى طه حسين حقه فيما له، وأمسك "أذنه" فيما عليه"

وعندما عرضنا قصيدة الشعراوى عليه فى الترحيب بطه حسين طلب منى نسخة منها لولا أن القدر كان أسبق منى إليه، وهذه هى القصيدة التى تنشر هنا كاملة لأول مرة كما نقلناها عن الشيخ الشعراوى بخط يده.

بسم الله الرحمن الرحيم

حى وفد النهى وركب الرجاء وتنظر ياشرق بعث العلاء
شمر العرب أجمعون عن السا ق وهبوا للبغية البيضاء
يا ركاب المنى وصالك أضحى قاب قوسين من منيع الخباء
أخذ الغرب منك يا شرق ليلى وهى لا ترتجى بعذب النداء

---

(١) حديث للشعراوى مع المؤلف بمنزله بالهرم فى ١٠ إبريل ١٩٩٧.

وهي لو لم تكن سبا لأبت ... بالذي في دمائها من وفاء
كلما آنست من الشرق صوتا ... حسبته مقدمات الضجاء
ومباني الأصوات دون المعاني ... أورثتها تلفت البلهاء
لا تلوموا ليلى فإن ذويها ... علموها بالعجز مر الجفاء
اطمأنت نفس الغيور فهذي ... نهضة العرب سارعت في مضاء
زيدوا وحدة تغار على المد ... د وتردي سفاسف الأهواء
نحن شعب موحد لا شعوب ... مزقتها مكايد الأعداء
جمعته الدنيا على لغة الضا ... د وقسوى عسراه دين السماء
اطمئني نفس الغيور فإنا ... قد أفقنا من نومة الإغماء
واحدي قد رأيت جامعة العر ... ب مسمى لا اسما من الأسماء
رأت العلم أصل كل ارتباط ... فأقامت منه أساس البناء
وجدت هذه الشعوب فهو ما ... فاختلاف الفهوم أصل البلاء
وإذا ما العقول كانت سواء ... لم تعارض مسالك الأعضاء
اطمئني نفس الغيور وكوني ... في ركاب النهوض حول اللواء
ياحداة الآمال با لله زيدوا ... فمهيج الركبان حلو الحداء
ولقوا بالمنى فإن زمام الـ ... علم قد صار في يدي عداء
هو طه في خير كل قديم ... وجديد على نبوغ سواء
وهو غربي كل فكر تحلل ... أزهري الحجا والاستقصاء
كرموه وكرموا العلم لما ... كلفوه صياغة الأنباء
فعليها مدار كل نهوض ... وإليها أنساب كل ارتقاء
يا عميد البيان أنت زعيم ... بالأمانات أريحي الأداء
وإذا القوم أعطيت من براها ... فارتقب موقفا مديد الرماء
لك في العلم مبدأ طحسني ... مري في العالمين مسرى ذكاء
يجعل العلم للرعية جسما ... ء مشاعا كالماء بل والهواء

فمن الغبن أن يوفر قوت ... لجسوم والروح دون غذاء

لك أيد على المعالم في مصـ ... ـر أزاحت عنه عنيف العناء

وقصرت مهنة المعلم حتى ... صيرتها رسالة الأنبياء

وهوان التعليم في أي شعب ... أن يرى غارسوه كالأجراء

يا فريد الأسلوب قد صغته من ... نغم ساحر شجي الغناء

كلمات كأنهن الغواني ... يترقرقن في شفيف الكساء

مشرقات ما افتقدن إلا لطه ... صاغها الفن من حروف الضياء

كم قديم جلوته فتبدى ... رائعا في تواضع الكبرياء

لفت الناشئين للأدب الضخـ ... ـم وجلى ملاحم البيداء

بك عززت حكومة النقد حتى ... رهبتها صناعة الإنشاء

ومن النقد فاض كل بيان ... ومن النقد غاض كل هراء

وجمال الإسلام في وعدك الحـ ... ـق تجلى فيه جلال الفداء

صور لا تكون في غير حق ... خلدتها مصارع الشهداء

وثبات إلى العلا وثبات ... هازئ بالنكال والإغراء

هامش السيرة الخيرة فيه ... تتغنى سماحة الإنباء

فهو في الأذن معبدي خفيف ... وثقيل الميزان يوم الجزاء

وهو عن نعمة البيان زكاة ... وهذا أدركت سر النماء

ركب طه حياتك في بلد اللـ ... ـه جلال للكعبة الشماء

هي رمز لوحدة الناس في القصـ ... ـد وربي في مطلق الأنحاء

وإذا العقل لم يعلل لشيء ... فمن النص علة الأشياء

وإذا المعجزات أقنعن عقلا ... حقّ ما صدهن دون امتراء

خير ما يعبد الإله به الفتـ ... ـى وفيه معارج الأتقياء

ركب طه حياتك زمزم تسقي ... كل ضيف لسله أورع ماء

لك في حفرها حديث شهي ... وهو مغنيك عن طويل الرشاء

ركب طه هنا مطالع طه ... وانبساق الشريعة السمحاء
كل أرجائها جلالات ذكرى ... فدى الله خاتم الأنبياء
والتحايا لـه صلاة عليه ... وسلام قد زكيا باقتداء
قل لطه قلوب شعب سعود ... خفقت خفقة طروب الولاء
كل قلب فيه مباهج عرس ... خلعت بشرها على الأرجاء
قل لطه آذان شعب سعود ... مرهفات للحن جد ظماء
عشقهم بالعقول والعشق بالعق ... ل يرى قصره على النيغاء
قل لطه جميع شعوب سعود ... ترجمت عنه لغة القراء
سال بالبرق والبريد رجاء ... "الشريف" الصحيفة الغراء
فأجيبهم فالمسلمون جميعا ... في اشتياق لأسعد الأنباء
وهموا آملون أن ينعموا منـ ... ـك بآثار عمرة بلقاء
حسب طه إن استقل بيانا ... أن يشيع القرآن في الأنحاء
قم فبشر في الغرب بالدعوة الحـ ... ـق دعاء الله أي دعاء
حسب طه من دهره عن مولا ... ه إذا فاز واحد باهتداء
يا سيدي إن لي إليك رجاء ... في الذي قد حملت من أعباء
أنشروا العلم ما استطعتم سبيلا ... فيه لا تذل للأعداء
وأعدوا به لهم ما استطعتم ... إن حق الحياة للأقوياء
حين صار الحديد بأس البرايا ... لم يعد في الأسود أي غناء
واجعلوا العلم للحياتين نهلا ... من رحيقيه أمة الخلفاء
فكما رفهت حياة فناء ... هكذا رفهوا حياة البقاء
كل علم بظاهر من حياة ... فهو علم مهما تما لانتهاء
ها هنا بعثة الكنانة للبيـ ... ـت تؤدي ضريبة العلماء
هي في أهلها ومن وطن الرو ... ح نواه ما عاد في الغرباء
عنصراها من أزهري المعاني ... قد تلاقى بجامعي السناء

إنهـــا لا تـــرى لمصـــر نهوضا ... أو تـــرى العرب كلهم في ارتقاء
وهنـا القلـب إن يصـــر قـويا ... نشـــط الجســـم من غزير الدماء
وهـــنا نهضـــة يد اللـه فيـــها ... من كـــداء أساســـها وحـــــراء
إن يفتـــها أبو سعـــود عطوفا ... فســعـــود لهـا أعـــز بقـــــاء
رحـــم اللـــه والـدا راشـــديا ... ولـــــولى رعـــــاية الأبنـــاء
وأدام اللـــــــه آل سعـــــود ... ســعـــــداء في أمـــة ســعـــــداء
حسب الملك في الشعوب يجلى ... فالرعـــايا صـــارت مرايا الرعاء
قـــدروا العلـــم قدره فعـــرفنا ... في هـــــواه وزارة الأمـــــــراء
ســـدّد الله خطـــو فهـــد وأرسى ... عمـــــد العلـــم أيمـــا إرســـــاء
فاســـمُ يا علم ما استطعت سموا ... فالمـــراقي من همـــة الأكفـــاء
فبـآل الشيـخ استقـمت اتجاها ... صافيـــا من شـــوائب الأهـــواء
خلفـــاء الإمام في الـدعوة الحـ ... ـق وفيهـــم صـــرامة الرقـــباء
فينجـد يســوس حـزم وقـــور ... وبـأرض الحجـــاز عـــزم الفتـــاء
والثقافـات حـين يحرسها الديـ ... ـن لها عصـــمة من الأخطـــــاء
وهي للـدين عدة تشرح الكو ... ن فنعنـــوا لقـــدرة البـــــناء
يا عميـد البيـان لا تحرم الأز ... هـر عـونا بصـــــائب الآراء
لسـت أنسى في العلم أيدى قوم ... خدمـــــــوه بهـــمة وذكـــاء
سجـلا لابـن مانع وجنا جيشـ ... ـه جهـــودا سنيـــــــة الآلاء
وإذا مـا الجديـــد بان رقيـــعا ... فعـــلى أصـــل بنيـــة القدمـــاء
وأناديـــك يا أمـين وهـــذا بعض ... ما يـــــرتجى مـــن الأمنـــــاء
حسبه أن يظـل في عمر الدهـ ... ـر فـــدى القـــرآن خـــير وعـــاء
فاعينـــوا برأيكـــم وأشـــيروا ... وابعثـــوا منـــه باهـــر الأضـــواء
فعـــلى رأســـه مثقـف عـزب ... لا يـــرجى لـــه ســـوى الســـراء
هـــو شيـــخ قد جمع الله فيـــه ... ما يريـــد الطمـــوح من إرضـــاء
يلتـــقي فيه محـــدث وقـــديم ... فـــي جلاليهـــما أعـــز التقـــاء

قـد سـألنا با لله فـي بلد اللـ ـه فلبوا جـلال هـذا النـداء
كـم سقيم من نبعته فاذكروه ذاك يسر الأبنـاء بالآبـاء
واصرفوا الناس عن مثار جدال في مسزايا شكلية الأزيـاء
فكـأن النهـوض لا يتـأتى بين حـديي عمـامة وقبـاء
شغـلوا بالإنشاء والبحث أولى يا هـواة العلا بسما في الإنشاء
وفـد مصـر منـا إليـها تحايا ورعـاة مقدسـات الصفـاء
فاحملوها من جيـرة الله نفحا يتهـادى للشـورة البيضـاء
وحـي اللـه عصـبة فزعتنـا فدعتهـا للصيـغة الحمـراء
يـا ولاة الأمـور حسبكم الله معيـدنا على تسـمام البـناء
كـان في الاحتلال أعذار قوم فتـولى لا عـذر بعـد الجـلاء
قل للبـلى لا تيأسي قد خطونا وعلـى اللـه أمـر ذاك القضـاء

٢٤ جمادى الأولى ١٣٧٤
١٨ يناير ١٩٥٥

محمد متولي الشعراوي
عضو بعثة الأزهر بالمملكة العربية السعودية

رد طـه حسين

أما كيف كان صدى هذه القصيدة على طه حسين، فلدينا في ذلك مصدران، الصحف السعودية آنذاك، والشيخ الشعراوي نفسه ، أما الصحف السعودية فقد أوردت رد د. طه حسين على المحتفلين به ومنهم الشعراوي وقصيدته ، فقال موجها عتابه إلى[1] "الزملاء المواطنين من المصريين فقد أكثروا واشتطوا وأسرفوا على أنفسهم وعلي الناس حتى ذكروني ببيتين قديمين أرجو ألا يصدقا عليهم:

أفي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذكـان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

"دعوا أخاكم هذا الضعيف وما قدم إليكم من خير قليل، واصنعوا خيرا مما صنع، واخطر مما

(١) البلاد السعودية ٢٠ يناير ١٩٥٥.

صنع، وأريحوه من إطالة الثناء لأنها تخجله وتشعره بأنه يسمع ما ليس له الحق فيه، ومع ذلك فإن طه حسين يضيف "أكرر لهم شكرى وثنائى وتحيتى واعتذارى إذا لم استطع ولن أستطيع أن أرد إليهم بعض ما أنا مدين لهم به من الشكر، والأمر بينهم وبينى لا ينبغى أن يقف عند تعارض الثناء والشكر، فإنهم يعلمون أننى لا أرضى ذلك ولا أحبه".

"وليذكروا أنهم فى هذه البلاد يمثلون وطنهم ويمثلون حب وطنهم لهذه البلاد، ويمثلون استجابة وطنهم لداعى العروبة كلما دعت، ويمثلون حرص تلك البلاد على أن لا تؤثر نفسها بشئ، وعلى أن لا تستعلى فى الأرض، وعلى أن لا تعيش وحيدة معتزلة، وإنما هى تشعر بالعزة إن عز إخوانها ، وتشعر بالثقافة والعلم إن تثقف إخوانها وتعلموا، تشعر بذلك مخلصة صادقة . شعرت به دائما منذ أقدم العصور ، لم تقصر فى أداء واجبها هذا للإنسانية فى وقت من الأوقات، وهى لا تفعل هذا تفضلا ولا تطولاً ولكنها ترى الحق كل الحق وتؤمن فيما بينها وبين نفسها بأنها لم توجد لتعيش لنفسها، وإنما وجدت لتعيش لجيرانها وإخوانها وللإنسانية".

"ويجب أن يقدروا كذلك أنهم فى هذه البلاد ليسوا رسل وطنهم وحده ولكنهم قبل كل شئ وفوق كل شئ رسل الإسلام الذى حملهم أمانة الخير فاحتملوها. ويجب عليهم أن يحملوها كراما. ويجب عليهم أن يؤدوا هذه الأمانة إلى أهلها ، فالله يأمر الناس بأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها".

ويقول الشيخ الشعراوى[٢] "إن القصيدة أعجبت طه حسين وأعجبت كل الموجودين، وكان له تعليق على كل بيت فيها، حتى أنه قال "لو لم يكن فى حياتى من تكريم سوى هذه الأبيات لكفتنى".

من الشعراوى إلى طه بخط يده

ويعطينا الشيخ الشعراوى درسا إنسانيا بالغ الأهمية فى ضرورة ألا نحاسب المفكرين على بداياتهم وألا نجعل هذه البدايات سيفا مسلطا عليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، لأنهم قد تجاوزوها بما هو أكثر يقينا وإيمانا، ومنهم د. طه حسين، فيقول[٣]:

---

(٢) من حديثه للمؤلف.

(٣) من كتاب "الشعراوى الداعية المجدد" للمؤلف – دار الضياء ١٩٩٢.

"علينا ألا نأخذ الناس بما كانوا عليه في بدء حياتهم وإنما يجب أن نؤاخذهم بما انتهت عليه حياتهم. وأذكر أننا ونحن في بدايات حياتنا التعليمية كنا ندرس أدب وشعر أبي العلاء المعري والمتنبي، فوجدنا بأشعارهما بعض الإلحاديات ، فزهدنا في المعري والمتنبي ، فمثلا يقول المعري "تحطمنا حتى كأننا زجاج، ولكن لا يعاد لنا سبك". فالمعري هنا ينكر يوم القيامة، وفي رأيه أن الزمن يفنينا ولا يعاد لنا بعث؟ فلما ابتعدنا عن أصحاب هذا الشعر الإلحادي، جاء لنا ذات يوم صديق هو الشيخ "فهمي عبد اللطيف"، وقال لي : لقد رأيت المعري في المنام هذه الليلة وهو غاضب منك لأنك جفوته"! فقلت لصديقي : لابد أن نعيد معرفتنا بالمعري، فوجدنا للرجل عذرا معنا وله حق أن يغضب منا، لأننا عندما رحنا نقرأ شعره الذي قاله بعد ذلك وجدناه قد راجع نفسه وعاد يعترف بالبعث والقيامة ، فيقول:

زعم المنجم والطبيب كلاهما: لا تحشر الأجساد. قلت إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر، وإن صح قولي فالخسار عليكما. فما قاله المعري في بدايات حياته من إلحاديات (كان) نتيجة لما يعيشه من حالة الشك التي أوصلته فيما بعد إلى اليقين والإيمان الراسخ العميق.

وهكذا يتبين لنا أن آفة أصحاب الفكر أنهم يسجلون كل خاطر لهم ، والناس لا ينظرون للمناسبات والأوقات التي قيلت فيها هذه الخواطر والأفكار، ويغفلون عما انتهت إليه الخواطر والأفكار في النهاية.

لذلك فعميد الأدب العربي د. طه حسين وغيره، كالدكتور مصطفى محمود، بدأوا حياتهم الفكرية متشككين ثم انتهوا إلى الهدى واليقين ، ولهذا يجب ألا نحاسبهم ونؤاخذهم على أوليات خواطرهم وما كتبوه في مرحلة الشك ، لأنهم بعد ذلك ثبت إيمانهم وكتبوا في الإسلام وعنه كأفضل ما يكون، فقد انتهت حياتهم إلى التوبة والصلاح". وقد أكد الشيخ الشعراوي رأيه عندما طلبت منه أن يكتب بخط يده كلمات يختتم بها حديثه معي عن طه حسين، فكتب يقول:

وخير تكريم لطه أن أسأل الله النفع لكل من أخذ عنه وقرأ له حتى يتصل خير عطائه لكل أبناء العروبة إلى أن تقوم الساعة، رحمة وجزاء عما قدم للغة القرآن.

محمد الشعراوي

١٩٩٧/٤/١٠م

إصدرات أدبية

للمؤلف إبراهيم عبد العزيز

الكاتب الصحفي بمجلة الإذاعة والتليفزيون

١–رحلة في عقول مصرية – ١٩٩١ هيئة الكتاب.

٢–رسائل خاصة جدا – ١٩٩٢ كتاب اليوم.

٣–الملف الشخصي لتوفيق الحكيم – ١٩٩٢ دار المعارف.

٤–يحيى حقي .. ذكريات مطوية (مشترك مع نهى حقي) ١٩٩٣ دار سعاد الصباح.

٥–رسائل يحيى حقي إلى إبنته (مشترك مع نهى حقي) ١٩٩٦ هيئة الكتاب.

٦–أوراق مجهولة للدكتور طه حسين – ١٩٩٧ دار المعارف.

٧–أيام العمر.. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم – ١٩٩٧ هيئة الكتاب.

٨–أشعار توفيق الحكيم – ١٩٩٨ دار قباء.

٩–رسائل طه حسين – ١٩٩٩ ميريت للنشر والمعلومات.

تحت الطبع

*في براح الفكر للدكتور حسين فوزي (كتاب لم ينشر للسندباد).

نصوص مختارة من بعض الرسائل

أنا ...

إنه ؟ ... هذا أنه بعض الناس يعرفون التسليم بمعرفة تتيح لهم أن يتحدثوا فيسرفوا ، أو يعبرون في الحديث عن التسليم لله الذي يعرفونه أو يزعمونه أنهم يعرفونه ، فالجواب يقتضي أن أعترف ... بأني لست أعرف نفسي ...

ولكني أعرف نفسي إلى ذلك الحد الذي يعرف به الناس وفي ضوء ما أعرف ، أعرف أيضاً أنها نفس مؤمنة لم يزل بها حتى الآن أن تلوم على رأي الناس جميعاً على رأي ، ... ذلكم إيمان القلب والعقل جميعاً ...

وأعرف أيضاً إيمان عبد تربى ، لم يعرف من ... أنه ... عبادة ... بمثاب ... فلم تزل تربى عبد تربى الدراسة إيمان القلب والعقل والضمير ...

وما عرفت قط الصبر على ... بأساء ، الحياة ونعمائها جميعاً ، أنا عرفت الحياة ، ... بما فيها من ... ، ولا أبغض عن ... فلم تزل ... الحياة ... أما ... تزال ...

... هذا إيمان ، وهذا الضمير ، وهذا الصبر ، فعشت في الحياة ... فما أنكرت ... سرة ... من مواجب أمر ... وما غلب الظلم ... على ... ما بقي من ... حتى ... بجفوة أو بأقصى ... عشوه ... ما عانيت أمراً كله بعد أن فكرت ذهبت إلى أبعد ... أنه ... والضمير والصبر ، في الحياة ، الحياة التي تحتوي معنى وجوده لم تفسد ولم تعش ... بأنانية الأفراد ...

طه حسين

من جواهر الملك مدير الإدارة العامة

٩/١٠ سنة ١٩٤٥

نجلي حفظ صاحب الكوكب المحبوب

أتيتك الفرقد والاعوان بزمام الرفاهية وكمال العز
وأرجو أن تكونوا أفراد الأسرة الهنائية بخير : (وبعد)
لم يصلني ما يطمئني عن سلامتكم في مسألة حضرتنا (محمد بيه)
نجل عبد الحميد أبيكم خالد وقد حضر بطرفه مسرورًا مستأنسًا
بما أنتم عليه وتعلمكم له تكفونيًا ومستبشرًا بقبول زيارته
وقد عرفني بأنه ابن لكريمة الدرس لديكم وفي الصابرين
وجميع أفراد عائلته في زعل شديد لخوفه ضياع مستقبل
ولدهم ولما لاحظت حالة تشعر الشفقة هالني
ذلك فاضطررت لتكرار رجائي وأمل عظيم بأنه
تجدوا لهذه المسألة الطائر الأول من همتكم
وأنا سوقته تمامًا بل اضعاف اضعاف هذه المسألة
بسيوفه لديكم ونظرة بسيطة منكم جدا
تقربها فأرجو وإني في الرجاء ووالدكم منتظر جدا
في هذا الملح للأهمية ولكم عندي خصوصًا وأنه
في انتظاركم تلبية هذه الرغبة .

والدكم

والسلام عليكم ورحمة الله حسين عبد الله

وطلبوا من عبد الحميد باشا ان يحدد لهم موعدا
يلقاهم فيه فابلغهم انه سيتلقاهم بقلة شيخ
الجامع وحده، وسمعنا انه قال للشيخ اننا
الآن في حكومة دستورية تسيرها قوانينها
ولا تملك عليها ارادة الشيوخ.

لكن كوكب الشرق بقي وحده يبدع ويعيد
في الرد على الكتاب بقلم مصطفى صادق الرافعي
فهل حدثت بعدنا تطورات اخرى؟

ولست ارى باسا بأن تستوحي هذه الكتابة
الى الجزائر في هذه الايام عهد ثورة ثروت باشا.

وهل جاء ثروت باشا الدافور وبا؟ فقد كنت
أعلم قبل سفره انه عين لجنة الجيش بحر من
ثم اوائل اغسطس

في اكس بضعة المصريين لا اعلم عددهم
الا انه منهم نساء ورجال لكنني بين
هؤلاء وهؤلاء، وكانت معنا اميرتان اما
احداهما فشابة خمسينية واما الاخرى فشابة
الجد ما ولكنها اقل منها سنا، وقد مضتا الى باريس
من قبلنا اقترف اليهما كما كتب علينا الله لنجتمع
من تلك الليلة الكواردا ما فيها وتذهب الرائحة بروحها
وسلام عليكم جميعا وتحيات زاكيات من صاحبكم عبد الله

عزيزي معالي صاحب السعادة الدكتور طه حسين بك

تحية صادقة كريمة لك ولسيدة المحترمة حرمك

وبعد فقد تلقيت رسالتك الخاصة
بما ... الكريمة السيد فهرس الدكتور منصور لنا تراجم كبار
... الجامعيين الوفديين في العناية بأمرهم وإني أؤكد لك أن
... ابتدائه لحظة واحدة عند تتبعي هذه المسألة والاهتمام بها
... كتابك أرسلت حضرة الأستاذ محمود سليمان غنام
... فهرس تقدمة فهرست المحاسبة عند نظر المعارضة المقدمة
... أن يتوافوا عنه تأدية واجبهم نحو الدكتور منصور
هذا وإني أنتهز هذه الفرصة فأهيل تحية معتزة
... أدعو الله أن يوفقك على مواصلة جهودك المثمرة في
... سلامة اللفظ ودقة المعنى وسرعة البديهة في كشف
... الحقائق وتصوير الأمور على ما وراء الستار
وليس ببعيد على عميد الأدب العربي أن نرى له كل يوم
... انتصارات وتلك إحدى آيات البينات

حيا الله قلمك وبارك عملك ووفقك بما تحب وترضاه
وتقبل وافر تحياتي

... ١٩٦٦

محمد عبد الوهاب

سيدي الأستاذ

تحية واحتراما وبعد

تشرفت إلى الجامعة لمقابلتكم ولكني
أسف لعدم وجودكم وقد وصلني أمس
خطاب من الدكتور براده الذي اتفقت معه
على إحياء حفلة ساعة الشدة بالزقازيق،
وما كنت أدري أنه أحدا تكلم معه بشأنه
تأجيل تلك الحفلة إلى أن يستشير
تكلم معه بالتلفون رأى أن أرسل إليكم خطابه
من التلغراف مبلغ احتراما مركزي مع تقديم
أسفي عن عرضه شخصيا ساعة القلم
النادرة

وتفضلوا بقبول فائق تحياتي

عبد الوهاب

بيبلوس

أخي العزيز

إما إذا لم تشغلك عني ظروف الحياة في مصر فأنت ترضى لله
إطلاقاً في الكتابة إليك. وأما أنا فشغلني الدهر وجه النهار والسمر
أول الليل والنوم سحره هذا وزد أنك فأنت تدري مدى حبي لك
حبه وشوقك وحنيني إلى أخبارك. وأنا قابل عذرك كل
الأعذار مضطرب سراً سريعاً. وإذا كنت لم أكتب إليك فلأن الأيام
على خلاف ما نريد سراً سريعاً. وإذا كنت لم أكتب إليك فلأن الأيام
التي نقضيها في باريس إلى الآن كانت مقسمة بين العمل والاستمتاع
بها. أخلدت إلى السكون والتأمل بين فرنسا والجزيرة بالكرمة
فرانسيس، الأزهار والمدرسة وما شاكل. فأكلة سيد سعيد
الأخضر من الأعياد التي أقمت لكم في فرنسا. وكنت أذكركم
وأنا أتناول لحم الخروف الذي أعددته لكم إذا الزمان وقد قدرت
سيدي هذا كله فما جواب الله تتصل الله كتبي حتى تشكر صدر كثير
وكيف أخبارك في ظل هذه الكتب من غير جواب. ولست أطلب
لكل كتاب جواباً وإنما أطلب جواباً لكل كتاب. وهذا الكتاب هو
الثاني فقد كتبت الله مرة سابقاً إيضاحاً واجباً أن
تلاحظ أني لست أقل منك عملاً فيجب يدي مجلدات
تريد الله تعالى وأنت تريد أن تكتب للمؤخر وعلامات باريس جزءاً
وليست متنزهات العوالم أقل منزلة من الجزء وسأوشر لك على
هذا فستطيع أن تأخذ لي في الأسبوع ست ساعة من عوالمك
إبراهيم وسلفه تحيتي السنية

ذكرنا كثيراً الطبيعة صاحب الدولة وكثيراً
ذلك أننا كنا نسمره المسرة والذكرة التي تجتمع الشيطان
أو يسيطر على فذكرنا أسماء ثم امتزنا. ومضى على ذلك وقت
طويل ثم مر الباشا أمرك وصلت أمر المذكرة. قال سعيد
ما هذا كرزدجي: لقد نسيتي يا سيدي أمر المذكرة. قال سعيد
قال: نعم. ولست أذكر أني أخرجت سعيد بهذا الجواب
ولكني أحمد الله الحكيم العالم وأرجو الله تشمل عني
عنه أنت وحده له تعرف ما تشمل عليه من سوء وإخاء.

أخوك
٦ مارس
أنجيت بك الرئاسي

طربوس الأصل

وخير تكريم لطلبه أن يسأل الله
النفع لكل من قد عنوقرأ له فجزى بفضل
من عطائه أكمل الجزاء، والعودة إلى الدرس
الساعة رحمة وهدى فما قدم للعلم الدارس

محمد بن عوضا

١٠/٤/٢٠٠٥م

مصيف ساحل البرلس

BRULOS BEAH

تحريراً في ... / ... / ... سنة ١٩٣١

بنو سعاد ابناء الامة . والذين لا ينظرون
عامة بتعب الا التي تعب الامة . والذين
يسيل نعرهم الذين ما يحمله من الحب لسائر
ابناء مصر . بل لعل اكثر ابنائها يفعلون لتوجيه
والاساءة اليه صدوا ابناء التيار الى اليسار .

ولقد كنت ابن الاديب الكريم اوتر لو استطعت ان
اشاركك بنفسه الحديث لولا على باب وقد يغيبه
عن مجالس الثقافة . فلعلك اذا خلوت
الى نفسك قرأت هذا الكتاب وقصر الكلام بيننا
على النفس . واذا رأيت تتفضل ان
تخصص له ساعة اخلو فيها الى نفسك تسأل
هذا الاديب عما نحن نفعل كبيرا

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

صلاح ابو حديد

١٩٥٠/١٢/٢٩

من القرائب اهدت اليوم الجريدة
لأكبر اولاد رئيس الشاني وتتكلم فيه
عنه وجود حصيد في القلب الشرقي
من الهرم الأكبر ويسمى حصيد الوادي
وقد ارضى هذا العلم الأثار عامة
مع كل ما قد اطلعت عليه ولكنه لم
صلت. وفي الختام تقبل مني كل تحية
وكل محبة صادقة

١٤ أغسطس ١٩٢٥

Staatliche Museen
Aegyptische Abteilung
Berlin
Deutschland.

سيدي الأستاذ الجليل

أقدم له وسيدته واسمليه أخلص تحية، وأدعو لكم بكل عافية وسعادة

جاء الكتاب الكريم وأنا في غرناطة سرقسطة الشام ومقدمتها وعاصمتها نفسي به ما ألفى كاتب الأمير إبراهيم على رسم الكتب، أظهر كتاب سيدي وقد خفف بعض القديم وجدد بعض العبارات فأفرغت في قوالب:

أذكرونا مثل ذكرانكم ... رب ذكرى جرت مسرتها

وأسبغ الشكر العظيم على هذه الذكرى.

وبعد فإن ما سميتموه مكرمة العام الماضي كانت صدقا وكنتم عند ظن العلماء بكم. أنتم الأستاذ العالم الجليل فانتقلت الصدف كذبا أم قصرت أم غيرت إلى درجات الأستاذية الصديقية. وفي كلية الآداب هذا العام أخبار وأخبار "وما علينا إن نحن جاريناك الأمر كذب في أذن لوم" وستعلم حين تقدم أني لم أدرس سلام سنت.

فهل عندي ترسم الإجازة بيد أزال ناصبا، وأقضي ما أرجوه أو أظفر بأسبوعين قبل بدء الدراسة فأودع الله أم أنظر فيها.

ثم أختم بتكرار التحية والتعظيم وتقديم آيات الشكر.

المخلص

عبد الرحمن بدوي

٢٠ سبتمبر ١٩٢٤

تمنيت بالتلفون ثلاث مرات لأطلب موعداً للزيارة
لعلمي ان الدار مزدحمة دائماً بالزائرين وأنا ابتعد عن الازدحام
ولكن التلفون طبعاً مشغول ولأن تليفون العميد عميد
التلفونات
كم أنا سعيدة بزيارة وبدون زيارة ! أرجو ان
يعود لطفي كبير قريباً إلى الجامعة "ليستقر الحق في نصابه" !
على فكرة تعبير كاهن أوزيريس
مع التهنئة بعيد الفطر المبارك
"فتحية"

السفير لدينا بالتصريح من جميع الجرائد هو الفساد في الحكومة . ثم عاد رئيس الوزراء إلى موضوع التصريح بقوله : " أنه موقف مصر لم يتغير بعد ولكنه سيكون (بالغالب) كما كان قبل الحرب " . ثم فسر لنا بالتحديد بقوله : " قصدت بكلمة " بالغالب " معناها المنطقي العلمي ومعناها العلمي أنه مسألة موقفنا قبل الحرب ليست ضربة لازب ولا لي قصد محترم على مصر أن كانت تعود عليه بالضرر سواء قريب أو بعيد . ذلك ما أردت بتصريحي قبل . أردت أن أكبر الظن وأسعى الحزمة المنطقة أن تستقر مصالحنا ومصالح انجلترا في أقرب موقف تتشابه حيال تلك المسألة . فما معنى الكلام على تحديد أن يفسر قبل الحرب على أنه تسليم بتبعية موقف مصر لموقف انجلترا . قبل بمسألة أو في أي مسألة سواء . وهل معنى أن تقف مصر موقفا مماثلا لموقف انجلترا أن تقف مثل موقف انجلترا تابع للمتبوع ! وهل تقابل كلمة المماثلة بين الاستعداد في تصريحي — واستعداد مقيدة بكلمة " بالغالب " — هو تماما في فكر المماثلة تماثل على أساس التبعية بين طليعة لديه تابع ومتبوع ؟ " وأتوقع أن يكون قبل التعديل من شأنه تهدئة الخواطر ولو موقتا . ولديه أنك تعلم من سياسة الدولة بل أعلنته في فرنسا أنه الحرب وشيكة الوقوع في الحبشة — وقد كان الأمل لو يطيل الوالد ساعة يكون قد نصيب مصر من فتح الحرب . . .

ولكنه دعنا من أحاديث الماضي ومن أحاديث الجزيرة منذ . ولكنا نريد حديثا . . .

وأقتبس كتابك برجاء أن تبلغ سلامي لدام ظله ولطاهر بك وكلود وأرجو أن تكرتا جميعا في أتم صحة . . .

ثم لويس فريد وصر يقرأ قبل الكتاب أن يجتهد في تحسين خطه . وأنا مسرور لهذا الأمل أن أسأل قبل يشرب البيرة في الحبشة . فلا أعتقد الإجابة . فأشير أن يقبل سلامي وأن يفكر في الموضوع حتى يهتدي الى حل له فيخبرنا به عند رجوعه الى مصر . . .

وختاما نقبل تحياتي القلبية . مع رجائي أن أراك عند رجوعك الى مصر سالما بالعافية وبصحة أحسن ؟ . . .

عبد الرحمن الشرقاوي

DÉLÉGATION PERMANENTE
DU ROYAUME D'EGYPTE
PRÈS LA SOCIÉTÉ DES NATIONS

A. Badawi
Wullenweber Str. 3. b/Nicke
Berlin W. W. 87

سيدي وأستاذي

لا عجيب يُرى في بعد العجائب . وهذه أتم العجائب
لا شيء على النقيض . تنكس فيه طبيعة الأشياء
" وجزاء الحسن أن تساء " ولكني على الرغم تخدم
وأنت خادع الخلص حيثما كنت وكيفما كنت
جزاؤك على الله الخير .

تحية بحار الشوق من تلميذكم المتألم الحزين
أحمد بدوي

Ahmed Badawi

Th. 1-46 فندق الشرق الكبرى — خوام • دمشق (سوريا)

GRAND HOTEL D'ORIENT
KHAOUAM

Damas. le 193

دمشق في ٥ نيسان ١٩٤١

حضرة الدكتور طه

سلام عليكم ورحمة الله

وصلنا بحمد الله الى دمشق ... وقد كان ذهابنا ... سيارة الى دمشق
... الصعوبات لقد لقينا منها الكثير وكنا نضطر احيانا ... مقاعد ليستطيع
... أن نسير على بساط واحد وهذه ... الطريق وبناخم
... ارتفعت سيارة في أحجار ... وجرحت ... رفاقنا
... فضلنا جميعا ان نقضي الليلة ... خصوصا وقد جاءنا الجنود
... لو كنا نعلم ... كثيرا مما لم نعلم ... وألا نجاعة ... وشعر
... فحص ... بعض الشيء، وفي الصباح ... نقلنا المصابين منا الى المستشفى
... ثم ... أن في بعضنا الكفاية ... وفي بعضنا الخير ... فقال
... سنقوم غدا الساعة ... الى بغداد وستقطع ٩١٠ كيلو مترا
... — سنقوم غدا الساعة ... الى بغداد وستقطع ٩١٠ كيلو مترا
الى بغداد . وكل اعضاء الرحلة بشكره بدن ... أولا — تحيات لهم
للرحلة ... لهم أتما لا — وثانيا — توفيقا لنا في الرحلة ويجوز
... الاجازة قليلة ... لهم

حميد

هذا الكتاب

لقد كان رجلا عظيما مضيئا فى شخصيته، وفى إبداعاته ككاتب متعدد المواهب، وفى ترجمته لأدب الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية. فمن ذا الذى يستطيع أن يجمع بين الفن والعلم ويجيد فيهما كما فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.

وهذا الكتاب لإبراهيم عبد العزيز الذى يضع فيه بين أيدينا وثائق وأوراق ومراسلات طه حسين مع نجوم عصره فى الأدب والفن والسياسة والقانون وغيرها من مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل كبير فى إضاءة شخصية طه حسين وتقريبها إلينا فى جميع صورها الإنسانية والنفسية، ويجعلنا نعيش مع رجل ملأ عصره ولا يزال يثير الجدل بعد رحيله. فنراه فى حالات القوة وحالات الضعف، ونشاهده فى حالات التوافق وحالات التناقض، وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا أخرى، نقترب منه بعض الوقت، ونبتعد عنه بعض الوقت. ولكننا فى كل الأحوال نعجب بطه حسين ونعجب له، ونحبه ونقدره باعتباره رمزا من أبرز رموز النهضة الأدبية والفكرية فى القرن العشرين.

نجيب محفوظ

تصميم الغلاف: أحمد الليثى

ميريت
للنشر والمعلومات

To: www.al-mostafa.com